جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات النحوية واللغوية

الخصائص الصوتية والصرفية للهجة دارفور العامية
(نموذج للتداخل اللغوي في شمال دارفور)

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في اللغة العربية
(تخصص علم اللغة)

إعداد الطالب :
صلاح الدين عبدالله عبدالقادر

إشراف الأستاذ الدكتور
بكري محمد الحاج

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الإفتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

سورة النمل

الآية (١٩)

قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾

سورة الروم

الآية (٢٢)

الإهداء

إلى من ربياني صغيرا ، وعلماني الإسلام عقيدة وسلوكاً

وحرضاني على العلم كثيراً ، ورجيا ثمرة جهدي طويلاً

أدعو ربي كما أمرني : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

إلى والدي .

إلى إخوتي الكرام عرفاناً بفضلهم .

إلى رفيقة الدرب زوجتي العزيزة .

إلى أبنائي محمد الأمين ، مشعل ، وولاء .

إلى أسرتي الكريمة .

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعده .

فإن شكر أصحاب الفضل من شكر الله تعالى على نعمه الوافية ، فالشكر مقرون بالعرفان وحفظ الجميل للأستاذ الدكتور/ بكري محمد الحاج ، عميد كلية اللغة العربية السابق ، والمشرف على هذا البحث ، فقد أثرى هذه الدراسة بتوجيهاته القيمة وتابع فصولها بدقة رغم أنه مثقل بأعباء وهموم كثيرة ، فهو أستاذ يؤازرُه علم راسخ وتأصيل ومنهجية ، أشكر له تواضعه الجم وخلقه الطيب .

وأجد نفسي مديناً بالشكر والتقدير للمربي الجليل الأستاذ الدكتور/ إبراهيم آدم إسحق أحد مؤسسي جامعة الفاشر وقسم اللغة العربية فيها ؛ فبفضله توفرت المكتبة المركزية على أمهات كتب اللغة العربية ، وله الفضل كذلك لتأليفه سفره القيم (الأصول العربية للهجة دارفور العامية) فقد أفدت منه كثيراً في هذه الدراسة فهو من غرس في نفسي حب العربية وتابع غرسه فأرشدني ونصحني أن أعهد بهذه الدراسة إلى حيث الأستاذ الدكتور/ بكري الحاج ، فلهما مني الشكر والتقدير وأطال الله في عمرهما ونفع بعلمهما أهله وطلابه .

كما يدين هذا البحث بالشكر الجزيل لجامعة أم درمان الإسلامية منارة العلم وقبله الدارسين ، وإني إذ أشكر لها هذا الفضل على المستوى العام أحب أن أنوه بالمساعدات القيمة التي تلقيتها من أساتذتي وزملائي بكلية اللغة العربية على الوجه الخاص ، وأخص من بينهم أخي وزميلي الأستاذ/ إبراهيم عبدالله أحمد الزين . والأخ/ حسن محمد أحمد منسق الدراسات العليا ، ويمتد الشكر ليشمل جميع العاملين بكلية الدراسات العليا ومكتبة جامعة أم درمان الإسلامية لتعاونهم المتواصل الذي أثمر عن اطلاع الباحث على مصادر قيمة وثمينة مثلت في مجملها ركيزة مهمة من ركائز هذه الدراسة .

والشكر موصول إلى جامعة الفاشر وإلى زملائي في هيئة التدريس بالجامعة ، وإلى أخي/ عبدالقادر محمد عبدالله الذي تفضل بطباعة هذه الرسالة أشكر له صبره وحرصه في أن يرى هذا العمل النور . إليهم جميعاً الشكر والتقدير .

ملخص البحث

هذه الدراسة في اللهجات العربية الحديثة تغطي العامية المتكلمة في دارفور، و تجعل من شمال دارفور نموذجاً لدراسة التداخل اللغوي ، وتهتم بأصوات هذه العامية المتكلمة وطرائق التصريف فيها .

اشتملت الدراسة على خمسة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة ، اندرجت تحت عنوان : الخصائص الصوتية والصرفية للهجة دارفور العامية (نموذج للتداخل اللغوي في شمال دارفور) .

قسمت فصول هذه الدراسة على النحو التالي :

الفصل الأول ويتناول جغرافية المنطقة ، واختلاف البيئات فيها ، وأثر ذلك على اللغة المتكلمة .

أما الفصل الثاني فيتناول الصراع اللغوي في الإقليم ، حيث التقت المجموعات الحامية ولغاتها المحلية باللغة العربية ، وتحاول الدراسة من خلالها الوقوف على الصراع اللغوي وطبيعة اللغة المشتركة الناتجة عن الصراع ، وأثر الإسلام في تهذيب هذه العامية المتكلمة .

أما الفصل الثالث فتم تخصيصه لبعض الظواهر اللغوية التي تميِّز العامية المتكلمة في منطقة الدراسة ، واشتمل على ظواهر من اللهجات القديمة في عامية المنطقة ، وبعض الألفاظ العربية التي بقيت على فصاحتها ، وطرائق هذه العامية في الإعراب ، والتوكيد ، والاشتقاق .

وتناول الفصل الرابع من الدراسة الخصائص الصوتية في عامية المنطقة ، واشتمل المبحث الأول على تلك الأصوات التي عدلت بها العامية عن مستواها الصوابي في الفصحى ، والمبحث الثاني تناول الأصوات التي اكتسبتها العامية من تأثرها باللغات المحلية . أما المبحث الثالث من هذا الفصل ، فحاول الباحث في إطار معالجة هذه العامية أن يبين آثار التداخل اللغوي فيها وفق قانوني المخالفة والمماثلة الصوتيين ، وما لهما من أثر في تبدل أصوات هذه العامية . والمبحث الأخير من هذا الفصل تناول طريقة هذه العامية في نبر مقاطع كلامها ؛ لتبرز من خلاله أثر الأصوات المكتسبة والمعدولة عن مستواها الفصيح في العامية المتكلمة.

أما الفصل الأخير ، فاشتمل على بعض الخصائص الصرفية حيث تنـــاول من بينها الإعلال ، والإبدال ، والنسب ، والتصغير وتخفيف الهمـــزة باعتبارهـــا أبرز الجوانب الصرفية التي تعكس جانباً من ملامح هذه العامية وتظهر عليها أثر البيئة والظروف التي نشأت فيها هذه العامية . وختم البحث بتسجيل أهـــم النتـــائج والتوصيات التي تمخضت عنها الدراسة .

Abstract

This study is about the modern Arabic dialects tends to cover the spoken dialect in Darfur, which makes North Darfur as an example area for linguistic interference. The study focuses on the sounds of this spoken dialect as well as the ways of its conjugation.

The study includes five chapters, introduction, preliminary, and conclusion – they were encompassed under the title of: phonological and morphological properties of Darfur colloquial dialect (linguistic interference examples in North Darfur).

The study has been divided as follows:

Chapter one deals with the geography of the area of the study as well as difference in environments and its impact on the spoken language. Chapter two explores the linguistic conflict existing in the region, i.e Hamitic groups and local languages were intermingled with Arabic language. Also, the study attempts to interpret the linguistic conflict, the nature of a shared language which has been resulted from this conflict, and Islam impact on the politeness of this spoken dialect. Chapter three is devoted to some linguistic phenomena which characterize the spoken dialect in the area of the study. These phenomena include: old dialects of the area, some Arabic utterances that remained perfectly in terms of eloquence, syntactic systems of the dialect, assertion, and derivation. Chapter four investigates the phonological properties of the area dialect, and the first section of this chapter includes the sounds with which the dialect has been modified in terms of correctness and eloquence. The second section examines the sounds that the dialect has acquired through its interference with local languages. Section three attempts to regulate this dialect besides its linguistic interference based on rules of phonological dissimilarity and similarity along with the impact of these rules on the study area's dialect sounds change. The final section concerns with the way of stressing syllables which can reveal both acquired and modified sounds of the spoken dialect.

The final chapter includes some morphological properties: it discussed omission, substitution affinity, minimization, and lowness of AL-hamaza as one of the prominent aspects that reflects some qualities of the dialect in addition to environment influence and circumstances in which the dialect evolved.

The study concluded by providing the most important results and recommendations.

الرموز المستخدمة في هذا البحث :

ولما كانت الكتابة وحدها لا تكفي لضبط بعض ألفاظ اللهجة ضبطاً يطـــابق المنطوق استعنت ببعض الرموز والعلامات التي تقرب ألفاظ اللهجة إلى الصـــورة المنطوقة – ما أمكن – رجعت في ذلك إلى طريقة الدكتور/ محمود خليل عساكر الخبير السابق بلجنة اللهجات في المجمع اللغوي بالقـــاهرة ، وطريقـــة الأســـتاذ الدكتور/ إبراهيم آدم اسحق في كتابه (الأصول العربية للهجة دارفور العامية) .

والعلامات هي :

١- الضمة الممالة " O " ـــــــ من نحو دقو دقو كبالو

٢- الكسرة الممالة (e:) ـــــــ ليك في لك . دى في ذا ، كسرى في الكِسْرَة

٣- الصوت الحامي المركب (نقا nga) كأن تنطق بالنون الساكنة والقـــاف دفعة واحدة مثل (نقا نقا nga nga) للوليد الصغير ، وكتلك التي تظهـــر في آواخر الكلمة الإنجليزية من نحو going ، morning ونحوها .

٤- الصوت الحامي المركب (نجا nja) وذلك كأن تنطق بـــالنون الســـاكنة والجيم دفعة واحدة ، كما في نطق بعض الكلم في عامية دارفور من نحـــو (نجالا في نيالا) المدينة المعروفة ، أو (دنجا فـــي دنيـــا) أو نجمـــانق لإحدى بطون قبائل النوبة ، أو نجرت ومنيجاق ويانج أسماء لأعلام فـــي قبائل جنوب السودان .

٥- النبر الرئيسي Primary Stress وعلامته (˄)

٦- النبر الثانوي Secondary Stress وعلامته (ˌ)

فهرست المحتويات

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الافتتاحية	أ
٢	الإهداء	ب
٣	الشكر والعرفان	ج
٤	ملخص البحث	د – هـ
٥	Abstract	و
٦	الرموز المستخدمة في البحث	ز
٧	فهرست المحتويات	ح – ط
٨	المقدمة	١ – ٥
٩	التمهيد	٦ – ١٣
	الفصل الأول : جغرافية دارفور	
١٠	المبحث الأول : الموقع والسكان	١٤ – ٢٧
١١	المبحث الثاني : الهجرات العربية إلى إقليم دارفور	٢٧ – ٣٦
١٢	المبحث الثالث : اختلاف البيئات وأثره على اللغة العربية	٣٧ – ٤٣
١٣	المبحث الرابع : اللغات المحلية وأثرها على اللغة المتكلمة في الإقليم	٤٤ – ٥٠
	الفصل الثاني : أثر الإسلام والهجرات العربية في لهجات دارفور	
١٥	المبحث الأول : أثر الإسلام في تهذيب اللهجة المتكلمة في دارفور	٥١–٥٩
١٦	المبحث الثاني : التداخل اللغوي وأثره في لهجة دارفور	٦٠ – ٦٤
١٧	المبحث الثالث : دواعي الاختلاف في مستوى اللهجة المتكلمة في دارفور	٦٥ – ٧١
١٨	المبحث الرابع : طبيعة اللغة المشتركة الناتجة عن الصراع اللغوي في الإقليم	٧٢ – ٧٥

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة
	الفصل الثالث : بعض الظواهر اللغوية التي تميز عامية شمال دارفور	
١٩	المبحث الأول : ظواهر من اللهجات القديمة	٧٧ – ٨٨
٢٠	المبحث الثاني : الألفاظ التي بقيت على فصاحتها	٨٩ – ٩٣
٢١	المبحث الثالث : طريقتها في الإعراب (بناء الجملة) ، والتوكيد	٩٤ – ٩٩
٢٢	المبحث الرابع : طريقتها في القلب والاشتقاق	١٠٠ – ١٠٦
	الفصل الرابع : الخصائص الصوتية للهجة شمال دارفور	
٢٣	المبحث الأول : الأصوات المعدولة عن مستواها الصوابي	١٠٨– ١٣٣
٢٤	المبحث الثاني : الأصوات التي لا وجود لها في العربية الفصحى	١٣٤ – ١٤٤
٢٥	المبحث الثالث : التنوع في نبر المقاطع (أسبابه ودواعيه)	١٤٥ – ١٥٨
٢٦	المبحث الرابع : المماثلة والمخالفة وشيوعهما في عامية دارفور	١٥٩ – ١٦٨
	الفصل الخامس : الخصائص الصرفية للهجة شمال دارفور	
٢٧	المبحث الأول : المصادر وأبنيتها .	١٧٠ – ١٧٦
٢٨	المبحث الثاني : الإعلال والإبدال	١٧٧ – ١٩٢
٢٩	المبحث الثالث : صيغ التصغير والنسب .	١٩٣ – ٢٠٤
٣٠	المبحث الرابع : تخفيف الهمزة	٢٠٥ – ٢١٥
٣١	الخاتمة	٢١٦ – ٢١٨
٣٢	فهرس الآيات القرآنية	٢١٩ ــ ٢٢١
٣٣	فهرس الأحاديث النبوية	٢٢٢
٣٤	فهرس الأشعار	٢٢٣ ــ ٢٢٤
٣٥	فهرس القبائل	٢٢٥ــ ٢٢٦
٣٢	المراجع والمصادر	٢٢٧ – ٢٣٦

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده ، محمد بن عبدالله نبيَّ الرحمة ومنبع الحكمة وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعده ، فهذا منحى من دراسة اللهجات العربية الحديثة حريٌّ بالبحث والتنقيب ، يكشف عن أسرارها ، وما امتازت به من خصائص جعلتها تأخذ طابعاً ميزها في بعض جوانبها عن عاميات السودان المتكلمة .

أسباب اختيار الموضوع :

فالناظر إلى عامية دارفور يجدها ذات طابع خاص رغم أن أهل السودان جميعاً يتكلمون هذه العامية ، فإذا كان الاختلاف في بعض الظواهر الصوتية ناشئاً عن اختلاف المكان فإن اللغة المستخدمة في الصلات الاجتماعية والمناسبات والأمثال الشعبية عند أهل دارفور لا تجدها في أيٍّ من بقاع السودان ، فهل يرجع الأثر في ذلك إلى البيئة – ولها في اللغة أثر لا يخفى – أم هل أن هناك أسباباً أخرى جسدت هذا الاختلاف ؟

وفي اللهجة المتكلمة نظام في التصريف والاشتقاق وكذلك في بعض خصائص الصوت في النطق والأداء يغاير كثيراً طرائق الاستخدام المعروفة في العربية ، فهل هذا ناتج عن أثر البيئة والتأثير والتأثر ؟

ومن ناحية أخرى فإن كان الذي سبق من تساؤل يجد الإجابة في إطار البيئة والتأثير المتبادل فكيف حافظت البيئة على بعض الأصول القديمة من الكلم العربية التي لا نجدها إلا في بوادي دارفور؟، وهل هذه اللغة تمثل امتداداً طبيعياً لأصل قديم؟

وهذا بدوره يقود إلى تساؤل آخر عن الهجرات العربية إلى هذا الجزء من بلاد السودان .

أهداف الدراسة :

محاولة التعرف على خصائص هذه اللهجة وطرائق الأداء فيها والعوامل المؤثرة التي طبعتها بتلك الخصائص ، وما إذا كان لها من أصل في النظام العربي،

وتأثر كل ذلك بالبيئة المحلية ، إذ الحرص على معرفة ودراسة لهجة من اللهجات ، يعين على فهم أساليب تلك اللغة ، وبيان ما تحملها من خصائص .

من ناحية أخرى فإن الدراسة تهدف إلى عكس جانب من الصراع اللغوي في هذا الجزء من السودان . إذ تعيش إلى جانب اللغة العربية لغات أخرى من الفصيلة الحامية ، وذلك للوقوف على مدى التأثير والتأثر الذي ينتج غالباً في مثل هذه البيئات ، وكذلك تشبث بالشيء ... وحفاظاً على اللهجة على بعض الأصول القديمة من السليقة العربية التي لا نجدها إلاّ في بوادي جزيرة العرب وجنوبها . والباحث إذ يتجه إلى مثل هذه الدراسات لا يقصد بذلك تفصيح العامية أو الرفع من شأنها ، بل يهدف إلى التركيز على الأصيل من هذه اللهجة وتوثيقه ، وبيان التغيرات التي طرأت على بعض خصائصها وما شابها من إعلال وإبدال وفق القوانين اللغوية .

أهمية الدراسة :

لست هنا بحاجة لأسترجع ما قيل في جدوى مثل هذه الدراسات ، والهدف الذي يتوخاه الباحثون من وراء رحلات البحث والتنقيب في بطون كتب التراث العربي الوفيرة ، ولكن مثل هذه الدراسات كفيلة بإلقاء الضوء على هذه العامية، والكشف عن أصول لهجاتنا العربية المعاصرة ، فبعض جوانب هذه العامية يكتنفها الغموض ، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلاَّ من خلال مثل هذه الدراسات ، فهي السبيل للوصول إلى فهم عام إلى سبر أغوار البحث في خصائص هذه العامية . فهي إضافة عن كونها محاولة لوصف خصائص هذه اللهجة المتكلمة بتجديد العهد بالفصيح المنسي من اللهجة ، ومحاولة تهذيبه ، والحفاظ عليه ، وتقليل الهوة بين المستويين وإنما يعمل على المحافظة عليها ، وعلى لغة كتاب الله ، ودراسة اللهجة من هذه الناحية ورصدها وتسجيلها ، لن يضر الفصحى والمحافظة عليها ، بل سيوسع من آفاق فهمنا لهذه اللغة ، فالعربية رغم مسيرتها الطويلة وما أصاب لهجاتها من تغيرَّ وفق القوانين اللغوية ، فإنها تمتلك خاصية الثبات بفضل حفظ القرآن لها ، والمسلمون يتلونه ويتدارسون أصواته وحروفه ونحوه ودلالته ويأخذون من علمه ، ولهذا فإن البحث في اللهجات هو البحث عن العلة التي تسرى في جسد اللغة للحد من تغلغلها ومن تعمقها فيه ، ولهذا كان الكشف عن التغيرات التي

أصابت اللهجة وعناصر الثبات فيها مجالاً خصباً للدراسة . فالكثير من العاميات العربية ما تزال تحتفظ بقدر وافر من الكلم العربية الفصيحة التي هجرها الاستعمال وأصبحت غير مألوفة لأجيال العربية الصاعدة ، ومنطقة الدراسة تعج بقدر وافر من تلك الكلم الفصيحة المهجورة .

أما اختياري لشمال دارفور ، فليس لأن عاميتها متفردة في بعض جوانبها فقط، ولكن لأن هذه العامية المتكلمة هي لهجتي التي نشأت عليها ، ولمعرفتي بأهلها وبقراها وبواديها ، ولأن صلتى بأهلها لم تنقطع ، وهذا مما يسهل عملية استقصاء مادة البحث من مظانِّها .

ومن ناحية أخرى ، فإن شمال دارفور هي المنطقة التي انصهرت فيها قبائل دارفور ، ونشأت في أحضانها هذه العامية المتكلمة ، وهي التي طبعت هذه العامية بطابعها الذي عليها ، فهي تمثل ، ولفترة طويلة ، حاضرة دارفور الكبرى ، ومقر السلطة ،ومكان التقاء العادات واللغات والأعراق ، لذا إذا استثنيت مناطق البقارة في جنوب دارفور ،وبعض مناطق التماس في أطراف الإقليم من الناحية الغربية ؛ فإن الغالبية من أهل دارفور يتحدثون هذه العامية ويعرفون بها .

المنهج المتبع :

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، محاولاً من خلاله إبراز التغيرات التي طرأت على هذه العامية عبر رحلتها التاريخية ، وما اعتراها من سنن التغير اللغوي في ظواهرها الصوتية والصرفية ، وبيان الانحرافات اللغوية التي أصابتها ، وبخاصة فإن العامية في منطقة الدراسة صادفتها مؤثرات مختلفة تمثلت في تيار اللغات المحلية التي ، أثرت من ثم في غناها ، وألبستها تلك الملامح التي تجسدت في لهجة أهلها .

الدراسات السابقة :

إن دراسة اللهجات العربية من هذه الناحية مبحث تكاثر على دراسته المحدثون من عرب ومستشرقين ، فتمت دراستها في مصر والشام والمغرب والخليج العربي ، وقد اطلعت على أغلب تلك الدراسات وأفدت منها .

فمن تلك المصادر: في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ، وعبدالغفار حامد هلال (اللهجات العربية نشأة وتطوراً) ، ولهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية لعبد العزيز مطر ، ومن الظواهر الصوتية في لهجة القصيم لنوال بنت إبراهيم الحلوة ، والأصول اللغوية في لهجة صنعاء لعبد الغفار حامد هلال ، ومن أصول اللهجات العربية في السودان لعبد المجيد عابدين .

أما الرسائل الجامعية فلا توجد دراسة تحتوي هذا العنوان سوى تلك التي تناولت جوانب في البحث ، مثل : الجملة في لهجة الشايقية رسالة دكتوراه للأستاذ الدكتور بكرى الحاج المشرف على هذه الرسالة . ومن الرسائل التي أفدت منها كذلك كتاب ظواهر لغوية في لهجة الحوازمة السودانية للدكتور جابر محمد جابر ، وموسوعة الدكتور عون الشريف قاسم (قاموس اللهجة العامية في السودان) ، وله أوراق علمية كثيرة في عامية السودان مبثوثة في مجلات المجمع اللغوي في القاهرة والخرطوم ، وكتاب الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، الدكتور ابراهيم آدم اسحق ، وهذا الأخير لم أعثر على غيره في موضوعه عن لهجة دارفور العامية لذلك يمثل العماد الذي عليه ارتكزت هذه الدراسة .

وتأسيساً على ما سبق فإن من الصعوبات التي اعترضت سبيل هذه الدراسة تعلق بعضها بشح المادة المكتوبة عن هذه العامية ، خلا دراسة الدكتور إبراهيم آدم اسحق ، وإن كان للدكتور عبدالمجيد عابدين في كتابه(من أصول اللهجات العربية في السودان) دراسة قيمة في مجاله ولكن كثيراً ما يطلق لفظ الغرب ويعممه على كردفانودرافور ، وكثيراً ما استشهد بعبارات وألفاظ نسبها إلى الغرب وهي في مناطق كردفان .

هيكل الدراسة :

قسمت بحثي إلى خمسة فصول وعشرين مبحثاً . تسبقها مقدمة مشتملة على أسباب اختيار الموضوع وأهميته والهدف من الدراسة والمنهج المتبع فيها والدراسات السابقة وتميهد في الفرق بين مصطلحات اللغة واللسان واللهجة ، ثم توزعت فصول البحث ليشمل الفصل الأول : جغرافية المنطقة واختلاف البيئات فيها وأثر ذلك على اللغة المتكلمة . أما الفصل الثاني : فتناول الصراع اللغوي في

الإقليم حيث التقت المجموعات الحامية ولغاتها المحلية بالعربية المهاجرة ، وطبيعة اللغة المشتركة الناتجة عن الصراع اللغوي ، وأثر الإسلام في تهذيب هذه العامية المتكلمة .

أما الفصل الثالث : فخصصته لبعض الظواهر اللغوية التي تميز عامية منطقة الدراسة واشتمل على ظواهر اللهجات القديمة في عامية المنطقة ، وبعض الألفاظ العربية التي بقيت على فصاحتها ، وطرائق هذه العامية في الإعراب والتوكيد والاشتقاق .

وتناولت في الفصل الرابع من الدراسة الخصائص الصوتية التي اشتملت على تلك الأصوات التي عدلت بها العامية عن مستواها الصوابي في الفصحى ، وكذلك الأصوات التي اكتسبتها من تأثرها باللغات المحلية ، ثم حاولت معالجة تلك الظواهر وفق قانوني المماثلة والمخالفة الصوتيين ، وما لهما من أثر في تبدل أصوات هذه العامية ، وعمدت إلى طريقة هذه اللهجة في نبر مقاطع كلامها .

أما الفصل الأخير فاشتمل على بعض الخصائص الصرفية من إعلال ، وإبدال . ونسب ، وتصغير، وتخفيف للهمزة ، وغير ذلك من موضوعات الصرف التي تعكس جانباً من ملامح هذه العامية التي اكتبستها من أثر البيئة ، والظروف التي نشأت فيها . ثم أعقبت ذلك بخاتمة أبرزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات .

آمل أن تسهم هذه الدراسة وتفتح أمام الدارسين والباحثين في قضايا اللغة مجالاً لمزيد من الدرس والتقصي ، وأن تنفتح مسامات التقويم والتنقيح وإعادة الدراسة . فالقضية عند الباحث ليست محل منازعة ؛ وإنما هي إضافة وتأصيل ، وإلاَّ لاكتفيت بما كتب أستاذي الدكتور إبراهيم آدم إسحق ، ولما رأت هذه الدراسة النور ، خاصة وإنني في كثير من الأحيان أجد نفسي أردد بعضاً مما ذكر ، وأفاض ، ولكن لما كانت اللهجة لا تبقي على حالها فتزول وترحل ، وتتبدل خصائصها القديمة وتكتسب أخرى جديدة بتبدل الظروف ، تظل الحاجة إلى مثل هذه الدراسات باقية ، وأدعو الله أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل .

تمهيد : الفرق بين مصطلحات اللغة واللسان واللهجة :

يَحسُنُ بالباحث التفريق بين مصطلحات يكثر ورودها في موضوع الدراسة هي ، اللغة ، اللسان واللهجة .

أما اللغة : فقد عرفها ابن جني بقوله : " أما حُدها فإنها أصوات يعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم ، وأما تصريفها فُعلة من لغوت أي تكلَّمت . وأصلها لُغوه ككره وفُلة وثُبة كلها لاماتُها واوات " [١] . وجُمع على لغاتٍ ولغيٍ ولغون ، ومنها لغي يلغي إذا هَذِى ومصدره (اللَّغا) وكذلك اللغو في قوله سبحانه : " وإذا مرُّوا باللّغو مرُّوا كراما " [٢]أي بالباطل ، وفي الحديث : من قال في الجمعة صه فقد لغا أي تكلم [٣]. واللغة اللِّسن ، ولغا فلان عن الصواب وعن الطريق إذا مال عنه ، وهذا معنى آخر للغة وهو الميل عن الصواب ، قال ابن الأعرابي : " واللغة أُخذت من هذا ، لأن هؤلاء تكلَّموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين ، واللغو : النطق ، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون ، والطير تلغي بأصواتها أي تنغم ، ولغو الطائر لحنه "[٤].

وتعريف أبي الفتح عثمان بن جني أخذ به جمهور العلماء من بعده ، وزاد بعضهم عليه وتوسَّع في شرحه . وقد أورد محمد سالم محيسن تعريف ابن جني ثم قال : " ... وقيل هي مجموعة من اللهجات تنتمي إلي بيئة معينة ، وأرى أن التعبير الأخير أوضح وأشمل " [٥]، وأحسبه يقصد تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات والتي أصطلح القدماء على تسميتها باللغة .

---

(١) ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٣ ، الهيئة العربية للكتب ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ج١ ، ص٣٤ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٧٢) .

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، باب (٤) في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة حديث رقم (٢٠٠٢) وفي صحيح مسلم في كتاب الجمعة ، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة ج١ ، ص٣١٥ ، حديث رقم (٨٩٢) وكذلك في سنن أبي داود في باب فضل الجمعة (... ومن قال يوم الجمعة لصاحبه صه فقد لغا ، ومن لغا فليس له في جمعته .

(٤) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، د . ط ، دار صادر ، بيروت ، مادة (لغو) مج ١٥ ، ص٢٥١ – ٢٥٢ .

(٥) محمد سالم محيسن ، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، ط١ ، مكتبة القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٨ .

واللسان : اللغة والرسالة ، والمتكلم عن القوم وآلة القول أو جارحة الكلام ، واللسان في قوله تعالى : " وما أرسلنا من رسولٍ إلاَّ بلسان قومه " [١]أي بلغة قومه . وعند ابن سيده : اللسان اللغة ، مؤنثة لا غير – واللسان بكسرٍ : اللغة واللسان : اللغة والرسالة والمتكلم عن القوم ، وآلة القول أو جارحة الكلام وحكى أبوعمرو : لكل قوم لسنٌ ، أي لغة يتكلمون بها ، ويقال رجلٌ لَسنٌ بيِّن اللَّسن إذا كان ذا بيان وفصاحة [٢] .

والمقصود باللسان اللغة التي يتكلم بها الشعب أو الأمة ، قال تعالى عن القرآن الكريم : " وهذا كتابٌ مصدِّقٌ لساناً عربياً " [٣]، أي مصدقُ للتوراة [٤] ، فلسانُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خاطب به العرب أولاً هو لسان القرآن الكريم ، كلاهما يدل على الشيء نفسه ، وهو اللغة التي كانت سائدة في الأوساط العربية حين ظهر الإسلام ، والتي لم يكن العرب آنذاك يجدون مشقة عند التحدث أو الكتابة بها إلي بعضهم بعضا ، فاللسان من هذا اللغة ، فإذا قيل لسانهم ولسان حالهم قصد الناطق والمعبِّر بلغتهم التي يُجمعون في التحدث بها إلى بعضهم بعضاً ، ويقول الدكتور إبراهيم أنيس : " إن العرب في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عمَّا نسميه نحن (اللغة) إلاَّ بكلمة (لسان) . تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات العربية . وقد يُستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة (لسان) وحدها في معنى اللغة نحو ثماني مرات " [٥].

أما اللهجة فقد كانت تعني عند القدماء : طرف اللسان وجرس الكلام ، واللهجة عندهم اللسان ، قال ابن فارس : " اللهجة من قولهم هو فصيح اللهجة ، وهو اللسان ... ولهجة الإنسان لغته التي جبل عليها فاعتادها ، ونشأ عليها ، وحين

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤) .

(٢) لسان العرب مادة (لسن) مج١٣ ، ص٣٨٥ ، الفيروزا بادى ، القاموس المحيط ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٢م ، ج٣ ، ص٢٦٩ .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (١٢) .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، طبعة أولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، مج٨ ، ١٢٧

(٥) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص١٧ .

يفسرها القدماء باللسان فهم يقصدون الحديث والكلام "[١]. فقد ورد في سنن ابن ماجة قول النبي (ﷺ) ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر [٢] ، وإذا كان القدماء قد استخدموا اللهجة بمعنى اللسان فقد ورد عندهم وهم يقصدون اللغة لذلك سمى ابن منظور معجمه الموسوعي لسان العرب ، أي لغة العرب التي يستخدمونها ويتحدثون بها .

فاللهجة وإن بدت مطابقة في معناها للسان واللغة ؛ فإنها تفارقهما في المعنى وفي الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلي بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل : تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تُيسِّر اتصال أفراد هذه البيئات مع بعضها بعضاً ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطُلح على تسميتها باللغة [٣]. واللهجة أكثر ما تبدو مظاهرها في الأصوات ،وطبيعتها ، وكيفية نطقها ، وقد تمتد إلي الألفاظ ومدلولاتها ، أو العبارات وتراكيبها ، وهي وليدة ظروف مختلفة ، ولا تكاد تتسع لغة وينتشر استعمالها حتى تتعدد لهجاتها [٤].

فهذه المصطلحات وإن بدت متقاربة في معانيها ، إلاَّ أن بينها فروقاً ملحوظة ، فاللسان هو اللغة التي يتميز بها شعب عن غيره من الشعوب ، إذ نقول مثلاً ، اللسان العربي ، واللسان الفارسي ، واللسان الهندي ... الخ [٥]. قال تعالى: فارقاً بين اللغة العربية واللغة الرومية :" لسان الذي يلحدون إليه أعجميٌ

---

(١) حسن عيسى أبو ياسين ، الفصحى بين نظريتين ، مجلة جامعة الملك سعود ، كلية الآداب (١) نشر عمادة شئون المكتبات ، مج٣ ، ١٩٩١م ، ص٤ .

(٢) محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، كتاب (١١) في فضائل أصحاب رسول الله ، باب فضل أبي ذر عن عبدالله بن عمرو ج١١ ، ص٥٥ ، حديث رقم ١٥٦ .

(٣) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١٨ .

(٤) محمد الفاتح عمر ، البيئة وأثرها على اللهجات ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٤٦ .

(٥) علي العتوم ، قضايا الشعر العربي في العصر الجاهلي ، ط١ ، جامعة اليرموك ، أربد ، الأردن ، ١٩٨٢م ، ص٢٥٦ .

وهذا لسان عربيٌ مبين " [١] ، وكأن علي العتوم يعطي اللسان معنى أشمل من اللغة، لكن المصادر القديمة التي وقفت عليها من خلال الدراسة تجعل اللسان واللغة متطابقتين في المعنى ، وأحسبه الأرجح ولا فرق بينهما .

أما الفرق بين اللغة واللهجة فقد تباين آراء علماء اللغة في تحديده بدقة ، يقول رمضان عبدالتواب : " ولم تكن العلاقة بين اللغة واللهجة واضحة في أذهان اللغويين العرب ، لذلك نجد بعضهم يخلط بينهما خلطاً فاحشاً ويعد اللهجات العربية لغات مختلفة ، وكلها حجة " [٢]. وهو يشير في ذلك إلي قول ابن جني : " اللغات على اختلافها كلها حجه " [٣] لكن الاختلاف بين لغتين يقوم على أساسٍ من الاختلاف بين معجميهما إلي جانب الاختلافات الأخرى الصوتية والصرفية والنحوية أما اللهجات فإنها تشترك بعضها مع بعض في الانتماء إلي معجم واحد فاللغة أم واللهجات فروعها .

وقد فصَّل إبراهيم أنيس القول في الفرق بينهما فقال : " اللغة لا تعني اللهجة بأي حال ، فاللغة من العام واللهجة من الخاص ، اللغة أن يكون الفصيح قولك (هلُم) ولغة فيه قولك (تعال وأقبل) ، فتعال لغة في هلم لبني فلان ، وأقبل لغة في هلم لبني فلان . وقولك العهن معروف ، والصوف لغة فيه لبني فلان ، أي أن اللغة تعني وجود لفظ آخر في معنى لفظ صحيح [٤].

أما اللهجة فهي تختص برصد ظواهر نطق الكلمة ، أي المستوى الصوتي لها ، ومخارج الحروف فيها ، فبيئة اللهجة تتميز بصفات صوتية خاصة تخالف في بعضها اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة ، فينتج عن ذلك اختلافٌ في نطق الكلمة ولكن لا تخرجه عن رسمه وصورته ، فالمصري يقول مثلاً : (ما أعرفش) ويقول السوداني " ما بعرف " في نفي (أعرف) على سبيل المثال ، ويلاحظ عند السودانيين أنهم يتموُّن المفعول من المضارع على لغة أهل اليمن يقولون : مديون ومكيول

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٠٣) .

(٢) رمضان عبدالتواب ، فصول في فقه العربية ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص٧٣ – ٧٤ .

(٣) ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص١٠.

(٤) حسن عيسى أبو ياسين ، الفصحى بين نظريتين ، الآداب ، (١) ،ص٤ .

ومبيوع في مدين ومكيل ومبيع ، وقد يكون هناك اختلاف في دلالة بعض الألفاظ ، وفي نطقها ، ولكنها قليلة بالقدر الذي يميز هذه اللهجة عن تلك ، ويشعر المعبِّر بهذه اللهجة من خلالها بأن له في استعمال هذه اللغة ذوقاً خاصاً متميزاً من الناحية الصوتية ، ومن ناحية الصرف والتركيب والدلالة ، يعرف بها ويسهل من خلاله تمييزه ونسبته إلي جماعته الخاصة ، فقد ذكرت بعض المعاجم أن كلمة (هجرس) تعني القرد عند الحجازيين ، وتعني (الثعلب) عند تميم ولكن هذه الدلالات كما ذكرنا من القلة بحيث لا تجعل من اللهجة غريبة عن أخواتها ، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في اللغة نفسها [١]. فهي تختص بنبرة الكلام أكثر من اختصاصها بالنحو والتراكيب ، وأغلب هذه الألفاظ مترادفة تؤدي معنى واحداً .

ولم يستخدم علماء اللغة القدامى مصطلح اللهجة في الدرس اللغوي ، وغاية ما نجده عندهم هو ما تردده معاجمهم من أن (اللهجة) هي اللسان ، أو طرفه أو جرس الكلام ، فلم يستعملوا مصطلح اللهجة في الدرس اللغوي على النحو الذي نعرفه في العصر الحديث ، بل إنهم كما ذكر الدكتور : عبده الراجحي لم يستعملوه قط في كتبهم ، فكل هذه اللهجات عندهم لغات ، يقول الراجحي :" ولعلهم كانوا مصيبين في هذه التسمية ؛ لأن هذه اللهجات التي وردت إلينا ، في آثار لغوية كثيرة ليست عربية عامية ، وإنما هي عربية فصيحة ، لها مستويات مختلفة من الفصاحة كما نعرف عن لهجة تميم ، وأسد ، وقيس ، وهذيل ، وغيرها " [٢]. وقد فصَّل أبو عمرو بن العلاء القول في ذلك من قديم حيث روى أبوبكر الزبيدي في طبقات النحويين عن ابن نوفل قوله : " سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عمَّا وضعت مما سُميت عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا . فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أحمل على الأكثر،وأسمي ما

---

(١) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١٧ ، وانظر : شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، ط٢ ، دار المعارف ، بيروت ، د . ت ، ص٣٥٩ .

(٢) عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦م ، ص٢٥٩ .

خالفني لغات "[1]وجاء في كتاب اللغات في القرآن الكريم تعليقاً على قوله تعالى : " وحرامٌ على قرية" [2]، أما بلغة هذيل فهي حِرمٌ على قرية [3] .

فالعلاقة بين اللغة واللهجة من قول أبي عمرو بن العلاء هي العلاقة بين العام والخاص التي قال بها الكثير من العلماء ، فلم يكن مصطلح اللهجة عندهم بهذا المفهوم الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث ، وإنما كانوا يستخدمون كلمة لغة للدلالة على لهجات القبائل العربية المختلفة ، فيقولون : " لغة قريش ، ولغة تميم ، ولغة أسد ، ولغة هذيل ، ولغة طيء " لكن الدكتور السامرائي يرى أن مساحة الخلف بين هذه اللهجات تتجاوز جرس الكلام والاختلاف في الأداء الصوتي للألفاظ، فهي لم تقف عند الأصوات مثل سكرانة وسكران ، مدين ومديون ، ولكن فيها الاختلاف بين الألفاظ ودلالاتها مثل الهجرس ، والثعلب ، والمدية ، والسكين وغير ذلك ، لذلك قال بأنها لغات قائمة بذاتها وليست لهجات [4].

ومن خلال عرض أقوال هؤلاء العلماء ، يتضح أن المحدثين يسيرون على نهج القدماء في استخدام هذه المصطلحات ، لكن الأمر قد اختلط عندهم من قديم ، وبخاصة في العصر الحديث ، حيث أصبح الناس يطلقون كلمة (لهجة) على كل استخدام خرج به صاحبه عن مدار اللغة المشتركة في البيئة المعنية ، وإن كان الكثير منها لغات لجماعات مختلفة في بيئات مختلفة ، تدخل جميعها في إطار لغة واحدة ، فنجد مثلاً في بعض البيئات يميل أهلها إلي الترقيق ، أو التفخيم ، أو إسقاط بعض الأصوات ، أو إبدالها بأخرى ، وهي ظواهر يمكن تسجيلها ، خاصة إذا مثلت اللهجة قطاعاً عريضاً من البيئة اللغوية ، خالفت فيها بيئات أخرى في كثير من صور النطق والتصريف ، حتى تصبح ظاهرة يمكن دراستها مثل لهجة دارفور

---

(٣) أبوبكر جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد العلي وآخرون ، ط٣ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د . ت ، مج١ ، ص١٨٤ – ١٨٥ .

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٩٥) .

(٢) يقرأ بفتح الحاء والراء وإثبات الألف .. إنه أراد ضد الحلال ، وبكسر الحاء وحذف الألف وإسكان الراء (حِرْمٌ) أراد أنه واجب على قرية ، ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع ، د . ط ، دار الفكر ، القاهرة ، د . ت ، ج٢ ، ص٣٢٤ .

(٣) إبراهيم السامرائي ، في اللهجات العربية القديمة ، ط١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص٤٣ .

العامية ، فهي لهجة عامية رسخت في بيئة معينة ، تجسد بوضوح العلاقة بين اللغة واللهجة في الإطار المحلي مع وجود مستويات لهجية أكثر سعةً كتلك التي في الأقطار العربية المختلفة ، وكلها لهجات الفارق بينها هو الإحساس المشترك بين أفراد البيئة المعنية أنهم يتميزون عن مجاوريهم بحيث إذا وجد أحدهم في أي مكان من البيئة اللغوية الشاملة عُرف من لسانه أنه ينتمي إلي البيئة الفلانية . حتى لو غيَّر زِيَّه ، وهذه هي السمة الفاصلة بين لهجة وأخرى ، يقول فندريس : " إن التقسيم اللهجي يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد بأنهم يتكلمون بصورةٍ ما ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور " [١] . فعلى سبيل المثال هناك كلمات يستخدمها أهل السودان في أقاليمه المختلفة ، تستطيع بمجرد سماعك لها أن تنسبها إلي بيئتها ، فإذا وجدت من يقول " هاي وليد ، وا لقيتي –داكو– أو وجدت من يفخم حروف يعقوب ويمدها ، يعقوب –ياخوب– خروف – خاروف " تستطيع أن تقول هذا دارفوري أو غرابي وتنسبه إلي جهته .

ومع ذلك فإن الخط الفاصل بين اللغة واللهجة يصعب تتبعه في غالب الأحيان ورسمه بدقة ، خاصة في ظروف تبدُّل أنماط الحياة التي اقتضت السفر والتنقل ؛ فاللهجات مثل اللغة الأم تتحول وتتبدل ، وتسير وتتحرك إن هيئت لها أسباب السير والحركة ، لذلك هذه البيئات يمكن أن تتغير فيها اللغة واللهجة ولكن تبقى الأخيرة تختص برصد ظواهر الكلمة في نطقها ومستواها الصوتي ونبرة الكلام أكثر من اختصاصها بالنحو والتركيب ، وتبقى اللغات أمهات واللهجات فروعها [٢].

---

(١) جورج فندريس ، اللغة ، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، د . ط ، مطبعة الأنجلو المصرية ، مطبعة البيان العربي ، د . ت ، ص٣١٣ .

(٢) عبدالصبور شاهين ، القياس في الفصحى – الدخيل في العامية ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٢٦١ .

الفصل الأول

جغرافية دارفور

المبحث الأول : الموقع والسكان .

المبحث الثاني : الهجرات العربية إلي إقليم دارفور .

المبحث الثالث : اختلاف البيئات وأثره على اللغة العربية .

المبحث الرابع : اللغات المحلية وأثرها على اللهجة العربية المتكلمة في الإقليم.

الفصل الأول

جغرافية دارفور

المبحث الأول : الموقع والسكان :

إقليم دارفور هو أقصى مديريات جمهورية السودان في الغرب حالياً [١]، يقع بين خطي العرض ١٠ ْ و ١٦ ْ شمالاً ، وخطي الطول ٢٢ ْ و٣٠ َ شرقاً تبلغ مساحته ١٤٠.٠٠٠ ميلاً مربعاً ، تحده من الشمال الصحراء الكبرى ، ومن الجنوب بحر العرب وشمال غرب بحر الغزال ، وتمتد إلي الشرق من دارفور سلسلة من الكثبان الرملية تفصلها عن كردفان . أما من جهة الغرب فإن أرض دارفور تتصل في امتداد طبيعي بجيرانها نتيجة لوحدة المناخ والنبات والتضاريس [٢].

وهذا الوصف لحدود دارفور يتقارب مع الحدود التي ذكرها المؤرخون ، فقال عنها شقير : " إنها تمتد من بئر النطرون بالصحراء الكبرى شمالاً إلي بحر العرب ومديرية بحر الغزال جنوباً ، وتمتد من كردفان عند حلة الشريف كباشي شرقاً إلي وادي كجا الذي يفصلها عن مقاطعة ودَّاي غرباً " [٣] .

وكثيراً ما تغيرت هذه الحدود في عصور التاريخ المختلفة ، إذ كانت دارفور تمد رواقها على أرض واسعة من بلاد ودَّاي ومن كردفان ، وأحياناً من بحر الغزال[٤]. هذا في أيام ازدهار سلطنة دارفور وامتداد نفوذها لتشمل بحـــر

---

(١) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق د . خليل محمود عساكر وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص٥ .

(٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ط١ ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٦٤م ، ص١٤.

(٣) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص٥٧ .

(٤) رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص١٧ .

الغزال جنوباً وكردفان شمالاً وشرقاً وجزءاً كبيراً من وداي غرباً [١]. لكن حدود دارفور الجغرافية في غير تلك الفترات تقتصر على خطوط الطول والعرض التي أشار إليها المؤرخون .

وتنقسم دارفور إلي ثلاث مناطق ، لكلٍ خصائصها ومميزاتها التي كيفت حياة سكانها :

أ/ شمال دارفور (منطقة الدراسة) ، وهي منطقة شبه صحراوية ، يحدها من الشمال الصحراء الكبرى ، وإلي الجنوب خط العرض ٣٠ – ١٤ ْ ... وغالبية أهل شمال دارفور رحل [٢]، يقضون فصل الجفاف حول الآبار والوديان ، ويرحلون في بداية الخريف إلي الجنوب لترعى ماشيتهم زرعه المبكر [٣].

والسكان بعد هذا خليط من القبائل العربية وغير العربية ، شأن كل مناطق دارفور ، مع فارق في الناحية العددية ، فالجماعات التي تنتمي إلي أصل عربي كثرة في الجنوب ، وقلة في الشمال ، وقليلة جداً في الوسط [٤] .

---

(١) قيل إن مملكة دارفور اتسعت في عهد السلطان تيراب اتساعاً لم تشهده في تاريخها فكان حدها من الشمال بئر النطرون ومن الجنوب بحر الغزال ومن الشرق نهر النيل (أي شواطي النيل الأبيض المتاخمة لكردفان) ومن الغرب مضيق ترجه الذي يفصل بينها وبين وداي . وقبله دفعت وداي الجزية لسلاطين الفور ودخل عاصمتها السلطان محمد الفضل في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، التونسي ، تشحيذ الأذهان هامش ٥ ، ص٨٧ . وانظر : يوسف فضل مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص١٠٠ .

(٢) يركِّز التقسيم الجغرافي لشمال دارفور على المناخ الصحراوي في الأطراف الشمالية منها ، فيجعل غالبية سكانها رعاة ، لكن الرعي يتركز في الجزء الشمالي والشمال الشرقي منها وهناك مناطق مستقرة في الوسط والغرب والجنوب تعتمد على الزراعة ، وفي السنوات الأخيرة قلت نسبة الذين يعتمدون على الرعي لظروف تتعلق بالجفاف والهجرة نحو المراكز حيث تتوافر الخدمات التي من بينها التعليم .

(٣) رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٢١ ، وموسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص١٥ .

(٤) هذه النسبة في الوسط كذلك طرأ عليها تغير بفعل العوامل سابقة الذكر ، فقد تغلغلت مجموعات ليست بالقليلة إلي الوسط وساكنت أهل البلاد الأصلين في الحواضر الكبيرة وحولها .

وأهم قبائل شمال دارفور :

(أ) الزيادية :

يرجع الزيادية–كالشنابلة ودار حامد في كردفان– إلي مجموعة فزارة العربية ، وهم رعاة إبل يسكنون بين الميدوبوالبرتي ويتركزون حول الآبار في الصيف ، ويرحلون عنها مع تباشير الخريف ، وإذا ما جاء الشتاء نزحوا إلي أرض الجزو[١] وهم يتجرون في النطرون والملح وينتسبون إلي أبي زيد الهلالي من عرب نجد [٢] .

(ب) المحاميد والنوايبةوالمهارية والعريقات :

تطابق أسماء المجموعات الثلاث الأولى أسماء أقسام قبيلة الرزيقات ، لكنها في ذات الوقت تسميات لقبائل تسكن شمال دارفور، وترعى الإبل ، وإن اتصلت في النسب بالبقارة في الجنوب ، وينسحب هذا الحكم على العريقات أيضاً ، وقد يطلق اسم المحاميد على رعاة الإبل إجمالاً في شمال دارفور[٣] .

(ج) الزغاوة :

من أكبر قبائل دارفور ، وهم خليط من التيبو الحاميين والزنوج ، أما لغتهم فهي لهجة من لهجات التيبو ، غير أنهم يتحدثون العربية كذلك ، وللزغاوة فروع كثيرة ... كايتنقا الذين يعيشون على الأرض الواقعة شمال شرق كتم ، ثم تلا ، وتُورِ، وكوبى إلي الغرب والشمال الغربي منها [٤] . وزغاوة الدور مسيرة أربعة أيام إلي الشمال من الفاشر ، ومنهم فرع يقال لهم (الكملت) في بلاد دارا ، تعلموا اللغة العربية ونسوا لغتهم [٥]. وهناك جماعات ليست من الزغاوة لكنها تشاركهم

---

(١) H . A . Mac Michael : Notes on the Tribes of Darfur . (Type , Written). Khartoum(١٩١٥) p.٣٨ .

(٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٧٥ .

(٣) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص١٥ .

(٥) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٥٨ .

السكن ، وعلى صلة قوية بهم مثل البديات وكنجه ، ويرعى الزغاوة الأغنام والضأن مع قليل من الإبل [١].

(د) البرتي :

شعب البرتي[٢] من المجموعات السكانية الكبيرة بدارفور ، كشعب الزغاوة والفور ، وتمتد مساكنه من منطقة الصياح وجبال تقابو في أقصى الشمال الشرقي ... حتى منطقة الطويشة بالجنوب الشرقي من شمال دارفور . ومدنهم الرئيسة هي: الصياح ، ومليط وهي مقر إدارتهم ، وعاصمة ملكهم ، ومقر نحاسهم ، ومن مدنهم كذلك أم كدادة ، وجبل الحلة ، والطويشة[٣]. ولا يعرف أحد منبت البرتي ، لكن سحنتهم وأشكالهم تبدو وكأنهم خليط من الفور والعرب المتأثرين بالزغاوة . ولغة البرتي تشبه لغة الزغاوة ، رغم غلبة الكلمات العربية في حديثهم . والبرتي قوم مستقرون مسالمون [٤].

(هـ) الميدوب :

أرجع ماكمايكل أصل الميدوب إلي دنقلا ، لاشتمال لغتهم على كثير من كلام المحس ، ولهم عادات وتقاليد وثنية ظلوا متمسكين بها رغم اعتناقهم الإسلام [٥]. وقد كان لبعد الجبال وانتشار الصحراء الفقيرة من حولها أثر بعيد في عزلة سكانها

---

(١) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص١٥ .

(٢) والبرتي شعب وليس قبيلة بالمصطلح التاريخي ، وذلك لأن بداخله تقسيمات عشائرية كثيرة ، تفوق التسعين عداً ، بالإضافة إلي احتوائها عدداً كبيراً من بطون قبائل دارفور الأصلية ، كالتنجروالمراريت والفور ، والزغاوة ، والبرقو ، والتاما ، والداجو ، وغيرها . كما ذابت بداخل البرتي مجموعات عربية كثيرة تفوق الثلاثة عشر بطناً من القبائل العربية المعروفة ، أقامت معهم أو ساكنتهم وصاهرتهم ، ومن ثم أصبحت جزءاً منهم ، وذلك مثل : كنانة ، وعيساوية ، والجعليين (برتي جعل) وعرب رشدان (بني راشد ، و البديرية ، واليرياب (وهم فرع من الجعليين) ، والجوامعة، والكواهلة ، والبزعةوالحمران ، والجليدات، والعلاونة ، والتعالية (بني تعلبه) وغيرها من القبائل العربية ، إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، هامش١ ، ص١٩ .

(٣) إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية) ، ط١ ، الخرطوم ، ٢٠٠٢م ، ج١، ص١٩ .

(٤) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص١٥ .

(٥) علي أبو سن ، مذكرة أبي سن عن مديرية دارفور ، دار الوثائق ١٩٦٨م ، ص٧٩ – ٨٠ .

عن جيرانهم . والميدوب شبه رحل يرعون الأغنام والضأن مع قليل من الإبل ، ويرحلون إلي أرض الجزو في الخريف [١].

(و) البديات :

رحل يعيشون في الأرض التي تلي دار الزغاوة شمالاً ، وقد خلص التونسي إلي أنهم زنوج على صلة قوية بالزغاوة[٢]. أما نعوم شقير فقد حدد موطنهم الأصلي إلي الغرب من آبار النطرون [٣]. ولكن جزءاً كبيراً من هذه القبيلة هاجر من موطنها الأصلي واستقر حول المدن خاصة كتم وكبكابية والفاشر وذلك لظروف بيئتهم الصحراوية التي فقدت جزءاً من ميزاتها بسبب الجفاف ولغرض التعليم كذلك.

وكما هو واضح فالتسمية مشتقة من كلمة (بدو) ، والمرجح أنهم جمَّالة (أي يربون الجمال) جاءوا من شمال إفريقيا عن طريق ليبيا ، واستوطنوا في منطقة الطوارق ، خارج حدود السودان ... وبعد مدة من الزمن تسربتالبديات إلي داخل حدود السودان . ويقيمون الآن شمال دار الزغاوة وبمركز كتم وشمال وادي هور [٤].رغم إن البديات يدينون بالإسلام إلا أنهم يتمسكون بعادات غريبة فيما يختص بالميراث وغيره. ومن عاداتهم اللافتة أن مهر الزواج مرتفع جداً بينهم ، ويدفع غالباً من الإبل والبقر ، قد يصل إلي خمسين رأساً ، وقد يتعذر على الفرد الحصول على هذه المواشي ، لذلك كثيراً ما تقود مشاريع الزواج إلي عادة اجتماعية خطيرة وهو التفكير في الجريمة أو خطف الفتاة فيما يعرف بالجبنقا وهي معروفة عند كثير من قبائل دارفور[٥].

---

(١) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٥٨ . و موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص١٦ .

(٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٣٢ .

(٣) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٥٨ .

(٤) علي أبو سن ، مذكرة أبي سن عن مديرية دارفور ، ص٧٦ .

(٥)انظر :مذكرات أبي سن ، ص٧٥ – ٧٦ .

(ز) التنجر :

اختلفت الآراء حول أصل التنجر ومنشأ مملكتهم ، وتـزعم بعضـها أنهـم عباسيون من منطقة دنقلا ، وتدعي أخرى أنهم من بني هلال ، ويرى بعضـهم أن لهم صلة بالبديات أحد فروع قبيلة التبو[١]، لكن تلك الروايات مهما تباينت واختلفت فإنها لا تنفي أن تكون للتنجر صلة بالعناصر العربية التي يبدو أنهم كـانوا يمثلـون طبقة حاكمة ، تعتمد على قاعدة من العناصر غير العربية ، وأنهم بسـطوا نفـوذهم على دارفور، وأجزاء من ودَّاي [٢]وأن الإسلام بدأ ينتشر في أيـام عظمـتهم فـي القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين [٣] .

هذه أشهر قبائل شمال دارفور ، وهناك مجموعات قبلية أخرى تسـكن فـي شمال دارفور لكنها تقل من حيث العدد ومساحة الأرض التي يشـغلونها ، قاسـمت هذه المجموعات الكبيرة الديار ، ويمكن الإشارة إليها عند الحـديث عـن التـداخل اللغوي في منطقة الدراسة .

٢/ أما وسط دارفور ، فيحتويه خط العرض ٢٠ . ١٤ ْ و ١٢ ْ شمالاً ، ويشمخ في قلبه جبل مرة الذي يقسم وسط دارفور إلي جزأين يختلفان من حيث المناخ والنبـات اختلافاً كبيراً : شرق الجبل وشمالها منطقة مناخها شبه صحراوي ، تغطي وجههـا الرمال و الشجيرات الصغيرة ، وتقل فيها التلال الصخرية ... وتكثـر فـي هـذه المنطقة القرى التي يعيش أهلها على الزراعة [٤].

أما إلي الغرب من الجبل فتوجد منطقة السهل التي تشمل جزءاً عظيماً مـن غرب دارفور ... وتتخللها أكبر وديان دارفور مثل : أزوم ، وكجا ، ووادي باري.

---

(١) يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص٩٢ .

(٢) رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٢١١ .

(٣) ما تزال آثار المساجد والقصور الملكية المبنية بالطوب الأحمر تقف شاهدة ، أن الإسلام امتد إلي دارفور على عهد التنجر ، خاصة في مدنهم : عين فرح ، ومدينة أورى ، العاصمة ، ومركزهم حالياً مدينة كتم ، عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٢١١ .

(٤) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٤ .

ويقطن جبل مرة والسهل الغربي منه الفور والمساليت والقمر وبنو حسين [١].

أ/ الفور :

من أهم القبائل في مديرية دارفور ، وتاريخ الفور يُكِّون السلسلة الفقرية لتاريخ دارفور ، وذلك لنفوذهم من أقدم العصور ، ولطول ما حكموا وسيطروا على بقية السكان حتى العصر الحديث . ومركزهم جبل مرة . يقول شقير : " وقد اختلط العرب بهم ، فأسسوا معهم مملكة قوية دامت من سنة ٨٤٨هـ إلي سنة ١٢٩١هـ ومن فصائلهم :الكنجارة وهم ملوكهم الأولون ، ويدعون النسبة إلي بني العباس " [٢] وقد أشار أبو سن في مذكراته إلي فصائل الفور الثلاثة وهم الكنجاراوالكراكيتوالتموركا ثم قال : " وأهم هذه الفروع هو الكنجارا ، ومنهم استمد الفرعان الأخوان عظمتهما ، ويمكننا أن نعتبر الكنجارا جسراً عبرت عليه حضارة العرب إلي بقية الفور " [٣].

أما عن أصلهم : فقد رجح بيتون أنهم مزيج من الزنوج والحاميين" [٤] .

ب/ المساليت : تقع أرضهم في منتصف الحدود الغربية لدارفور هي : اسيجا ، وكجا من الغرب وبارى وأزوم من الشرق [٥]. وإن اختلفت الروايات حول أصل المساليت فإن أغلبها لا تستبعد أن يكون قد حدث اختلاط بينهم وبعض القبائل

---

(١) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٤ .

(٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٥٧ .

(٣) قد أورد آركل روايتين في تعريف كلمة فور : تقول أحدهم بأنهم أبناء (فر) Fir ، بينما ينتمي الفرتيت إلي فيراتFirat ، وفر وفيرات أخوان . ولفظة فرتيت ليس اسماً لقبيلة ، وإنما يقصد بها الوثني ، وتطلق على عدد من القبائل التي تسكن غربي بحر الغزال . وتذهب الرواية الثانية إلي أن الفرتيت كانوا في القديم يعيشون غربي جبل مرة ، ثم نزحوا إلي بحر الغزال بعد أن حمل عليهم أول السلاطين المسلمين في دارفور ، أما من بقي منهم وقبل الإسلام ديناً فسموا بالفور ، يوسف فضل حسن مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص٩٣ ، وانظر : موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي،ص٢٤ .

(٤) وكلمة (فور For) بهذا النطقأعجمية ، لأن هذا الصوت (O) لا وجود له في العربية إلا أن هذا اللفظ إن كان محرفاً من لفظ فور (Fur) زنه (فُعْل) كنور وسور فله وجه في العربية المزهر ١٩٩/٢ . د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية) هامش٢ ، ص٥ .

(٥) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٤ .

العربية ، أما لغتهم فشبيهة بلسان أهل ودَّاي [١] وهم مجاورون للقِمِر من جهة الجنوب [٢].

ج/ القمر :

تعرف بلادهم بدار قمر ، وتقع شمال بلاد المساليت ، وشرق دار تامة . وهي قبيلة حدودية بين السودان وتشاد ، وتقطن المنطقة الواقعة شمال مدينة الجنينة حتى حدود كرنوي بدار الزغاوة . وحاضرتهم مدينة كلبس ، وهي مقر رئاستهم القبلية ... وللقمر مقر آخر بجنوب دارفور يبدو أنهم هاجروا إليه حديثاً ، هو مدينة (كتيلة) وما يجاورها من القرى [٣]. ويدعي القمر الانتساب إلي أصل عربي ، ويتكلم معظمهم اللغة العربية [٤].

د/ بنو حسين :

رعاة بقر يعيشون إلي الشرق من القمر ، ولهم لسان عربي فصيح فهم في عداد القبائل العربية في دارفور [٥].

هـ/ المناصره وبنو فضل :

وهاتان من القبائل العربية التي جاءت من أرض النيل إلي دارفور قبل ستة أجيال تقريباً ، وتعيش هاتان القبيلتان في المثلث الواقع بين الفاشر والطويشة وجبل الحلة . ولكنهم اليوم ينتشرون في غرب كردفان أيضاً ، أما نعوم شقير فينسبهم إلي الزيادية ، ومن مراكزهم ساني كرو إلي الجنوب الشرقي من الفاشر [٦].

و/ الميما :

وهم خليط من التيبو والزنوج والعرب ، ويشاركون المناصرة وبني فضل السكن في منطقة ودعة ، وقد وفد الميما إلي ودَّاي ثم إلي دارفور من تمبكتو ، حيث

---

(١) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٥ .

(٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٥٨ .

(٣) إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣٨ .

(٤) رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٣٠ .

(٥) ماكمايكل ، مذكرات عن قبائل دارفور ، ص٣ .

(٦) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٧٤ .

كانوا يجاورون الطوارق . أما لغتهم فشبيهة بلغة الزغاوة والقرعان [١]، ويطابق هذا الرأي ما ذكره الرحالة ناختيجال حين ذهب إلي أن أصل الميما قبيلة كبيرة تسكن جنوب ودَّاي ، فقدت جزءاً من لغتها بسبب الاختلاط ، واحتفظت البقية الباقية منهم بلغتهم الخاصة التي تقرب من لغة الزغاوة والقرعان [٢].

٣/ جنوب دارفور :

يقع هذا الإقليم بين خطي العرض ١٢ ْ و ١٠ ْ شمالاً ، ويحُدُّه من الشمال القوز وجبل مرة ، ومن الجنوب بحر العرب ومنطقة ذبابة التسي تسي [٣]. وجنوب دارفور سهل طيني تغطيه شجيرات كثيفة إلي جانب الأشجار الكبيرة وتتخللها وديان أهمها وادي بليل الذي ينحدر من جبل مرة . وينقسم سكان جنوب دارفور إلي مجموعتين رئيسيتين هما : البقارة ، وأهل السودان [٤].

أ/ البقارة :

تطلق لفظة البقارة على رعاة البقر في السودان ، وأغلبهم في جنوب دارفور الذي يشاركهم السكن فيه أهل السودان ، كما يتصلون على حدودهم الجنوبية الغربية بالزنوج من جانقىوفرتيت ويضم البقارة : [٥].

١- الرزيقات : وهم أغنى قبائل البقارة وأكثرها عدداً ، وأقواها مركزاً وأشدها قوة ، وموطنهم بأقصى جنوب شرق دارفور وهم رعاة ماشية [٦]، وتعتبر من أكبر القبائل العربية كثافة في السكان . لذلك يذكر نعوم شقير بأنهم كانوا يسمون تراب الهين (أي ملء الكفين) لكثرتهم [٧].

---

(١) ماكمايكل ، مذكرات عن قبائل دارفور ، ص١٠ .

(٢) محمد عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، هامش ٤ ، ص١٣٧ – ١٣٨ ، رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور ،ص ٣٢ .

(٣) محمد عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، ص٥ .

(٤) رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٢٠ ، وموسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٦ .

(٥) ماكمايكل ، مذكرات عن قبائل دارفور ، ص١ .

(٦) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، هامش٥ ، ص٨٥.

(٧) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٧٣ .

وتنتمي قبيلة الرزيقات إلي جهينة العربية ، التي انتشرت قبائلها البدوية بكلٍ من دارفور وكردفان وتشاد [١]، وينقسمون إلي ثلاث شعب [٢]: المهارية والمحاميد والنوايبة . وهناك ثلاث قبائل في شمال دارفور بهذه الأسماء ولكنهم رعاة إبل [٣].

٢ –**الهبانية** : مركزهم الكلكة (برام حالياً) ويوجد مجموعة صغيرة منها في كردفانوالنيل الأبيض ، ويحد ديارهم من الشرق الرزيقات ومن ناحية الغرب دار التعايشة ، والمساليت شمالاً ، والدينكا جنوباً ، وهم من العرب البقارة ، وأبناء عمومة التعايشة، ويلتقي نسب القبيلتين في جدهم جنيد [٤].

٣ –**التعايشة** : تقع دار التعايشة في الجزء الجنوبي الغربي من ولاية جنوب دارفور بين خطي عرض ١٢ ْ و ١٠ ْ شمالاً ، وتحد من الشرق بدار بني هلبة ودار فلاتة التي تقع غرب محافظة برام ، ومنهم عبدالله التعايشي خليفة الإمام المهدي ، ومن مراكزهم مندوه قرب الكلكة[٥]، ويتركزون بصورة رئيسة في منطقة رهيد البردي .

٤ –**المعاليا** : ذكرهم نعوم شقير ضمن قبائل الأبالة الذين يعيشون في دارفور وقال: " إن أكثر المعاليا حضر ، وأن من مراكزهم كركورة التي تقع شمال الطويشة"[٦]. أما أبو سن فعدَّهم من البقارة ، ومن القبائل كثيرة النزوح بين كردفان ودارفور ويبدو أن ما ذكره نعوم شقير كان في أول عهدهم ، ولكن بعد أن استقروا في جنوب

---

(١) أحمد عبدالقادر أرباب ، مضارب ومشارب قبائل جهينة وبني مخزوم وحلفائهم في جمهورية السودان وتشاد ، ط١ ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم ، ٢٠٠٢م ، ص١٠٦ .

(٢) كانت قبيلة الرزيقات منقسمة فيما بينها ، واستطاع مادبو زعيم المهارية توحيدهم تحت إمرته حيث كان فريق منهم بزعامة عجيل وهم أولاد سلامة ، فتزوج مادبو بإحدى بنات عجيل ، وبذلك اتحدت القبيلة تحت زعامة مادبو ، فأصبحت الرزيقات قوة عظيمة استعصى على السلاطين إخضاعها ، بل لجأت إليهم أحياناً جيرانهم من قبائل الهبانية، والبني هلبة ، ومعاليا وبني خزام ، وغيرهم خوفاً من بطش السلاطين، وفراراً من ضرائبهم المرهقة ، مذكرات أبي سن عن قبائل دارفور ، ص٦٠ .

(٣) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، هامش٥ ، ص٨٥ .

(٤) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٧٣ ، مذكرات أبي سن عن قبائل دارفور ، ص٦٤ .

(٥) أحمد عبدالقادر أرباب ، مضارب ومشارب قبائل جهينة وبني مخزوم وحلفائهم في جمهورية السودان وتشاد ، ص٤٨ ، و نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٧٣ .

(٦) المصدر السابق ، ص٧٢ ، ورجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، ص١٥٩ .

دارفور إلي جوار قبيلة الرزيقات عمدوا إلي تربيـــة الأبقـــار خاصـــة وأن طبيعـــة المنطقة تفرض عليهم ذلك .

والمعاليا من القبائل التي توزعت بين شرق وجنوب دارفور وغرب كردفان، وسكنت حواضر دارفور . وكان في القديم حلفاؤهم ومجاوروهم مـــن الرزيقـــات ، ولكن في بداية فترة الحكم الثنائي أضيفوا إلي الرزيقات في نظارة واحدة تحت إمرة الرزيقات[١]. وهذا أضعف كثيراً تلك الأحلاف التي كانت بينهم ، وطالبت جماعات من المعاليا بنظارة منفصلة خاصةً إخوتهم في كردفان . ومن مراكزهم اليوم عديلـــة ، وشارف ، وقوز المعاليا المنسوب إليهم .

٥ – **الفلاتة :** يرجع نسب الفلاتة إلي عقبة بن نافع ، الصحابي المشهور ، فالفلاتـــة من خلاصة العرب ، أما والدتهم فقيل إنها من البربر ... هاجرت مجموعة الفلاتـــة إلي دارفور من مالي ، وقد عبروا في طريقهم ديار الهوسا فـــي منتصـــف القـــرن الرابع عشر ، واستقرت مجموعات منهم في جنوب دارفور فـــي قريضـــة ، ومـــن مراكزهم تلس ، وجنوب الفاشر في منطقة كريو ، وفي مدينة الفاشر ، وغربها فـــي بركة ، وإلي الجنوب من الفاشر في كتال (دار السلام حالياً) [٢]. وقد قسم أبو سن في مذكرته الفلاتة إلي فرعين رئيسين هما (أبكا وأبا) ، وفرع ثالث لم يشر إليـــه الكاتب السابق (أرباب) وهم الفلاتة وذكر أبو سن أن هـــذه اللفظـــة تطلـــق علـــى المجموعة التي نزحت إلي السودان حديثاً ... وتشبه لغة الأمبررو لغة الإبـــا لحـــد كبير[٣].

---

(١) علي أبو سن ، مذكرة أبي سن عن قبائل دارفور ، ص٦٥ .

(٢) أحمد عبدالقادر أرباب ، مضارب ومشارب قبائل جهينة وبني مخزوم وحلفائهم في جمهورية السودان وتشاد ، ص١٣٣ .

(٣) المجموعة الأولى من الفلاته التي هاجرت إلي السودان قديماً يرجع لها الفضل في نشر الإسلام في دارفور حيث كان على رأس هذه المجموعة الشيخ الجليل موسى جكولو الجد الثالث عشر للمجاهد عثمان = = ابن فودى ، فأخذوا لغة تلك الجدة وأكثروا من التسرى بالزنجيات ، وتناسلوا منهم ، وتغيرت سحناتهم ويرجع الفضل كذلك للفلاته المهاجرين في تعليم مذهب الإمام مالك والكتابة بخط ورش في الخلاوي بدل الخط العمري ، وأيضاً قراءة الحزب والشرافة وزخرفتها ، والاحتفال بختمة القرآن ، انظر : أحمد عبدالقادرأرباب ، مضارب ومشارب قبائل جهينة وبني مخزوم وحلفائهم في جمهورية السودان وتشاد ، ص١٣٣ – ١٣٥ ، مذكرات أبي سن عن قبائل دارفور ، ص٦٦ .

ب/ أهل السودان :

هذا التعبير أطلقته وثائق المهدية على القبائل غير العربية التي تعيش في جنوب دارفور ، ولقد استوطن (أهل السودان) دارفور قبل خمسمائة عام أو ربما ألف عام واختلطت دماؤهم بدماء الفور وبعض الدماء العربية ، ولكنها احتفظت بطابعها الزنجي... ويختلف أهل السودان عن البقارة في أنهم زراع مستقرون[١] . أما قبائلهم فهي :

١ –الداجو : اختلفت الروايات التي قدمها المؤرخون حول أصل الداجو فهناك رواية تقول بأنهم سكان دارفور الأصليون ، وتزعم ثانية أنهم هاجروا إليها من شمال إفريقيا وتنادي ثالثة بهجرتهم من النيل ، واستيطانهم بجنوب دارفور حيث أقاموا ملكا [٢].

ويرجح بعض المؤرخين أن الداجو سلالة سودانية قديمة ، وأنهم ليسوا من البربر، أو من الزغاوة ، غير أنهم مدينون في قيام دولتهم هذه إلي مهاجرين أرقى منهم حضارةً ، وأنشأ هؤلاء المهاجرون طبقة حاكمة خضع لها الداجو، وليس من المعروف تماماً مصدر هذه الطبقة الحاكمة ، ويغلب الظن أنها جاءت من الشرق أي من وادي النيل ، والدليل على ذلك توزيع جماعات الداجو ، إذ إن امتدادهم من الشرق إلي الغرب يساعد على هذا الاستنتاج ، ذلك أنه كان للداجو مواطن موزعة بين كردفان ودار صليح (وداي) وفي إقليم غرب تشاد [٣]. لكن هذه الروايات على تباينها تتفق على أنها مجموعة كبيرة استطاعت أن تبسط نفوذها وتقيم سلطنة سبقت حكم التنجور[٤].

---

(١) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٤ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٤١ .

(١) التونسي ، تشحيذ الأذهان ، مقدمة الكتاب ، ص٦ .

وقد عرف الداجو عند المؤرخين القدامى باسم التاجوين ، وكـــانوا يســـكنون على مقربة من قبيلة الزغاوة ، واقتصر نفوذهم على الجزء الجنوبي الشـــرقي مـــن دارفور [١].

٢ –**البرقد** : زنوج يشبهون في تكوينهم الجسماني وعاداتهم أهل إفريقيـــا الوســـطى ويعتقد ماكمايكل أنهم من أصل نوبي ، للتشابه بين لغتهم ولغة النوبة . يسكن البرقد شمال نيالا وشرقها ومن مراكزهم برنجل[٢]. وقد ذكر أبو سن أنهم يوجدون كـــذلك في غرب كردفان[٣]. أما عن علاقة البرقدبالميدوب فإنها تقوم دليلاً يرجح ما ذهـــب إليه الباحثون في أصل هذه القبيلة يقول أبو سن : " يقول البرقد إن أقرب القبائل لهم هم الميدوب ، لذا رجحَّ الباحثون أن أصل القبيلة يرجع إلي بـــلاد النوبـــة ، وأنهـــم نزحوا من تلك المنطقة مع الميدوب عند اندثار الدولة المسيحية التي كانت قائمة في تلك المنطقة " [٤].

---

(٢) التونسي ، تشحيذ الأذهان ، مقدمة الكتاب ، ص٦ .

(٣) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٢٥ .

(٤) يقول البرقد إنهم سيطروا يوماً من الأيام على جميع غرب كردفان وإنه كانت لهم سلطنة قوية ... والمعروف إنه كانت لهم نفوذ في جبل كاجا .

(٥) علي أبو سن ، مذكرة أبي سن عن مديرية دارفور ، ص٧٦ – ٧٧ .

المبحث الثاني : الهجرات العربية إلي إقليم دارفور :

ظلت الصلات بين شمال القارة الإفريقية في المغرب العربي ومصر ، وجنوب القارة وغربها قوية ومتصلة عبر التاريخ ، إذ لم تكن الصحراء الكبرى عائقاً ، بل كانت سبيلاً ممهداً لتحركات المجموعات البشرية في كلا الاتجاهين ، وقد تعاظمت وتيرة هذه الاتصالات مع الفتح الإسلامي ، وازدهرت في القرن الرابع الهجري ممالك إسلامية في كلٍ من غانا ، ومالي ، والسنغال التي نشأت فيها بخاصة حركة المرابطين [1]، بقيادة عبد الله بن يس ، وقامت بعض السلطنات الإسلامية في دارفور وودَّاي ... وكان يرفد قيام هذه الدول هجرات واسعة المدى للقبائل العربية التي استقرت في هذه المواطن وامتزجت بسكان البلاد الأصليين ،وأحدثت مع الزمن تحولات عرقية وثقافية واسعة تركت آثارها على حياة الناس في هذه المواطن .

هذه الهجرات العربية إلي دارفور تعود إلي زمن متقدم ليس كما يظن البعض أنها ترجع إلي القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين حينما قامت سلطنة دارفور الإسلامية . فبعض هذه المجموعات العربية هاجرت إلي دارفور في وقت مبكر وكان الدافع لهذه الهجرات في بدايتها سياسياً ، حيث ساءت العلاقة بين عرب مصر وبين حكامها العباسيين الذين استعانوا بالعناصر غير العربية في إدارة شئون الحكم والجيش ، ففكَّرت مجموعات من هذه القبائل في الهجرة جنوباً . وقد حانت الفرصة عندما أعلن أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية التركية في مصر ٢٥٤هـ عن إعداد حملة قريبة تتجه إلي بلاد النوبة ، فاشترك في هذه الحملة مجموعة من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة ، وقد آثر الكثير منهم عدم العودة

---

(١) المرابطون هم من قبائل صنهاجة وزعيمهم السياسي هو يحي بن إبراهيم الجدالي ١٠٥٦م وكان زعيمهم الروحي هو عبدالله بن يس الجزولي ، وكان لظهور هذه الدولة في القرن الرابع أثر عظيم في نشر الإسلام بين قبائل البربر . وسموا كذلك لرباطهم وتوحدهم في معنى ترابط المجاهدين . وكانت تعاليم المرابطين قد اجتذبت الكثير من زعماء التكروروالماندنقو ، ثم احتلوا (كومبى صالح) عاصمة غانا . وهم من أنشأوا مدينة (تمبكتو) التي أصبحت فيما بعد مركزاً إسلامياً وثقافياً وتجارياً في بلاد السودان الغربي . انظر : حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ١٤٩ ــ ١٥٥ .

إلي مصر ... لذلك لا يستبعد أن يكون بنو هلال ممن تسربوا غرباً إلـــي كردفـــان ودارفور [١].

وقد دلت الدراسات على أن كثيراً من القبائل العربية انتقلت في هجرتها أولاً إلي مناطق غرب السودان ، وبخاصة دارفور ، ومنطقة بحيرة تشاد فـــي ودَّاي ثـــم اتجه بعضها إلي مناطق الوسط على نهر النيل [٢].

وكان موقع دارفور الجغرافي يعدُ عاملاً مهماً شجع القبائل العربية للهجـــرة إليه ، إذ إنه يمثل منطقة ربط وصلة بين السودان النيلي وبلاد السودان الأوســـط ، التي نشأت فيها ممالك الكانموالبرنو الواقعة في حوض بحيرة تشاد ، وتلتقي عنـــده من جهة أخرى طرق القوافل التي ربطت شمال الصحراء الكبرى وجنوبها الشرقي وبين شرق القارة وغربها [٣]. وقد ترتب على هذه الحقيقة أن تعرضـــت دارفـــور للتأثيرات الثقافية والعرقية التي ميزتها وطبعتها بطابع خاص . بعـــد أن أصـــبحت ميداناً تقابلت فيه الهجرات وطرق القوافل [٤]. وكانت بذلك دارفور منطقـــة عبـــور لكل المجموعات التي تتجه شرقاً ، فقد عبرت هذه القوافل منطقة دارفور فوجـــدت بيئة صالحة للاستقرار فأقامت فيها ، لأن طبيعتها الصحراوية أو شبه الصـــحراوية تناسب القبائل العربية وهم رعاة ، وبعضها الآخر عبرت دارفور قاصدة بيـــت الله الحرام لأداء مناسك الحج ، وكان هذا دافعاً آخر ورافداً للحركة السكانية فـــي بـــلاد السودان من الغرب إلي الشرق إلي يومنا هذا [٥]وبخاصة مجموعة الفولاني (الفلاتا) الذين انتظموا في رحلات سنوية إلي الأراضي المقدسة عبر دارفور وقد اســـتقرت مجموعات منها وانتشرت في كثير من جهات السودان .

---

(١) أحمد عبدالقادر أرباب ، مضارب ومشارب قبائل جهينة وبني مخزوم وخلفائهم في جمهورية السودان وتشاد ، ص٥ ، د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣ .

(٢) أنظر : رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٤٩ – ٥٣ .

(٣) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٧٢ .

(٤) المصدر السابق ، والصفحة .

(٥) الأمين محمود عثمان ، سلطنة الفور الإسلامية (دراسة تحليلية ١٤٠٠ – ١٩١٦م) ط١ ، الدار الوطنية للإعلام ، السودان ، ٢٠٠٠م ، ص٣٦٠ .

كذلك فقد عدّ بعض الباحثين سقوط الأندلس وهجرة المسلمين منهـا بسـبب الاضطهاد جنوباً دافعاً لازدياد نسبة العرب المهاجرين إلي دارفور ، يقول الأمـين محمود محمد عثمان : " ولكن سقوط الأندلس في عام ١٤٩٢م تمخضت عن أحداث جسام تمثلت في الاضطهاد الديني من قبل الصليبية المنتصـرة ، فأقيمـت محـاكم للتفتيش لاستئصال شأفة المسلمين من بلاد الأندلس . إزاء هذا الاضطهاد تكدَّسـت شمال إفريقيا بمن نجا من مسلمي الأندلس . فاتجه بعضهم مباشرة نحو الجنـوب ، متجاوزاً الصحراء إلي بلاد السودان ثم إلي السودان الشرقي حاملاً المذهب المالكي والخط المغربي ، ورواية ورش ، والطريقة التجانيـة " [١]. وهـذه أحسـبها مـن الهجرات المهمة التي خلَّفت – بلا شك – أثراً واضحاً على اللغـة المتكلمـة فـي المناطق التي قدمت إليها .

وتعتبر التجارة ، بالإضافة إلي العوامـل السـابقة ، عنصـراً مهمـاً دفـع بالمجموعات العربية للهجرة إلي دارفور ، فقد اشتهر هـذا الإقلـيم بـوفرة السـلع والمحاصيل ، إضافة إلي المراكز التجارية المشهورة مثل (أورى) عاصمة مملكـة التنجور ، الذين حكموا الإقليم في القرنين الخامس والسادس عشر للميلاد . ومدينـة (كوبى) المدينة التاريخية التي تقع على بعد عشرين ميلاً غربي الفاشر وهي من أهم مدن دارفور قديماً ومن مراكزها التجارية [٢]، ويرجع الفضل في تنشيط التجـارة من شمال إفريقيـا وغربهـا إلـي هـذه المراكـز لمجموعـات مـن الطـوارق كالفيزانوالتيبووالواحية[٣]، والهوارة والشيخية[٤]، والطريفية وغيرهم ، فقد نشـطت هذه المجموعات ووجدت التشجيع من السلطان تيراب وأخيه عبـدالرحمن الرشـيد

---

(١) الأمين محمود عثمان ، سلطنة الفور الإسلامية ، ص٣٦٠.

(٢) رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٨٢ – ٨٣ .

(٣) الواحية في أصولهم الأولى هم أولئك الذين قدموا إلي دارفور من الواحات في الصحراء الكبرى مثل واحة سليمهوالنخيله ، وواحة النطرون ، والعوينات ، وهم خليط من قبائل البربر كالتيبو والطوارق . وقد هاجر الواحية إلي شمال دارفور من وقت مبكر يُرجَّح أنه في القرن السابع عشر حين ساد الجفاف والتصحر هذه الواحات . (إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٣ .

(٤) أما الشيخية فهم خليط من العرب والنوبة ، هاجروا إلي دارفور من صعيد مصر ، بقصد التجارة ويتركز أغلبهم الآن في مدينة الفاشر في شمالها وفي القرية المنسوبة إليهم (حلة شيخ) .

فأثروا حركة التجارة بين دارفور وشمال إفريقيا وغربها من جهة ، وبين دارفور ومصر على وجه الخصوص من جهة أخرى ، عبر درب الأربعين [١]، الذي كان يُعد وسيلة دارفور الأولى للإطلال على العالم الخارجي ، إذ كان عبره يرسِل سلاطين دارفور كسوة الكعبة المشرفة [٢].

أما مسالك وطرق الهجرة إلي دارفور فقد تعددت وكذلك البلدان التي انطلقت منها هذه القبائل العربية ، حيث صار بعض هذه البلاد دياراً للعرب وتعرَّب أهلها مثل مصر وبلاد النوبة ، وليبيا وتونس ، في حين كانت الأخرى ممراً لهذه القبائل التي عاشت ضمن سكانها من الزنوج والبربر لكنها أحدثت تغيراً واضحاً في التركيبة السكانية وفي ثقافة ولغة أهل تلك البلاد التي هاجروا إليها .

وقد أجمع الباحثون على أهمية الطريق القادم من مصر باعتباره أهم رافد عبرت منه القبائل العربية إلي دارفور وقد أشار إلي ذلك التونسي حين قال : " أما الهجرات العربية الرئيسية إلي هذا الإقليم ، فيبدو أنها جاءت من مصر وشمال إفريقيا ، عبر السهول والبراري الواقعة بين النوبة وإقليم تشاد ، وذلك بعد أن قامت في مصر وشمال إفريقيا دول مستقلة عن الخلافة العباسية " [٣]. وقد ذكر الدكتور رجب محمد عبدالحليم بطوناً لقبائل عربية تسكن دارفور لها أصول في محافظات مصر ، مثل جهينة وبنو هلبة والرزيقات وغيرها ما يقوم دليلاً على أهمية مصر باعتبارها معبراً رئيسياً لهذه الهجرات يقول : " ويبدو أن الجهة الرئيسية التي أتى منها العرب إلي دارفور كانت مصر ... بدليل أن القبائل العربية في دارفور والسودان عامة هي نفسها التي تحتل الكتلة الرئيسية للقبائل العربية التي تنتشر في مصر منذ القدم وحتى اليوم ، والدليل على ذلك جهينة التي تسكن دارفور لا زالت في محافظة الشرقية وفي شبين القناطر بمحافظة القليوبية ، وفي أسيوط،وكذلك قبائل

---

(١) هو طريق الأربعين يوماً الذي يصل بين أسيوط في صعيد مصر وكوبى الواقعة شمال غرب الفاشر ، ماراً بواحتي الخارجة وسليمة ، وقد وصفه التونسي بدقة باعتباره من أهم الطرق البرية . وهذا الطريق فقد مكانته التجارية وشهرته بإنشاء خطوط السكة حديد التي وصلت إلي نيالا غرباً ، يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ، ص١٠٢ – ١٠٣ .

(٢) إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٣ .

(٣) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان ، ص٦ .

فزارة و الرزيقات الذين يعيشون في دارفور مازالوا منتشرين في كوم أمبو. وبنو هلبة الذين يعيشون في دارفور ما زالوا في محافظة الجيزة " [١]. وغير ذلك من القبائل كثير .

فالقبائل التي أشار إليها الكاتب تشكل أكبر المجموعات العربية في دارفور خاصة مجموعة جهينة . ولكن هذا لا يمنع فيما أحسب أن تكون هذه المجموعات التي آثر بعضها البقاء في مصر، واصل بعضها الآخر السير إلي بلاد المغرب ، ثم عبرت إلي دارفور من شمال إفريقيا. وقد أشار التونسي إلي هذا الطريق باعتباره ثاني الطرق و المعابر المهمة التي أتت منها القبائل العربية إلي دارفور. هذا الطريق يربط السودان بالبلدان التي تقع في ساحل البحر المتوسط ، ويمتد ليشمل ليبيا والجزائر، و تونس ، و مراكش و يتفرع إلي طرق عديدة تصل جميعها دافور بالعالم الخارجي يقول : موسى المبارك الحسن في إشارة للطريقين : " واتصلت دارفور بالعالم عن طريقين : أحدهما طريق الأربعين الذي يبدأ من أسيوط بصعيد مصر ، وينتهي عند كوبى شمال غربي الفاشر، وكانت كوبى كما ذكر الرحالة أكبر مدن السودان الغربي مطلقاً.تليها سنار في الأهمية ثانياً ... ويبدأ الطريق الثاني شرقاً صوب دارفور، ومن هذا الدرب وفدت إلي دارفور ثقافة المغرب وقبائله [٢]. فقد هاجرت جماعات من بني عطية (العطوية) الذين كانوا يسكنون في قسطنطينة الجزائر، واستقروا في كردفان و دارفور و اصبحوا ضمن الكبابيش. ومن تونس هاجر التنجور، وكان علي رأس هذه الهجرة سليمان سولونج الذي تمكن من إقامة سلطنة في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي في دارفور؟ أما من ليبيا فقد أشار التونسي إلي هجرة عرب فزان [٣]إلي دارفور في رحلات تجارية [٤].

---

(١) رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور ، ص٨٧ .

(٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص٣٠ .

(٣) الفزان مجموعة من التجار هاجرت من فزان الليبية واستوطنت مدينة الفاشر ولهم جامع ودور للعبادة وتعليم القرآن الكريم مشهورة ، وماتزال هذه المجموعة على اتصال بأصولها في ليبيا ، ومثلهم كذلك الشناقيطالمورتانيون فقد استقرت مجموعة منها في مدينة الفاشر .

(٤) انظر رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص١٠٨ – ١١٠ .

أما ثالث الطرق والمعابر المهمة فهو طريق البحر الأحمر الذي لعب دورًا مهماً عبرت من خلاله المجموعات العربية إلي السودان ، و من ثم إلي دارفور . يقول عبد الحميد عابدين : " نود أن نقرر منذ البداية أمرين : أحدهما أن الموجات العربية كانت علي مدى عصور التاريخ تتخذ من البحر الأحمر – في أي جزء من أجزائه – طريقاً للهجرة من الجزيرة إلي الساحل الأفريقي ، غير أن الشواهد التاريخية تدل علي أن طريق سيناء قبل الإسلام وبعده قد حمل النصيب الأكبر من تلك الموجات التي كان لها أعظم الأثر في تعريب أرض وادي النيل شماله وجنوبه"(١).

وطريق سينا الذي ذكره عابدين هو ذاته الذي عبر به الفاتحون إلي المغرب وهذا يعضِّد بدوره تلك الآراء التي تذهب إلي القول بأن معظم القبائل العربية هاجرت إلي دارفور من بلاد المغرب . و يبدو هناك بعض الآراء تقلل من أهمية الطريق الثالث(الطريق الشرقي) وأن نسبة الوافدين منها إلى دارفور لا تقارن بنسبة الوافدين إلى هذا الإقليم من بلاد المغرب و مصر ، وقد أشار رجب محمد عبدالحليم إلى بعض المجموعات التي وفدت منها إلى دارفور خاصة من اليمن مثل الكروبات الذين سكنوا في الجزء الشمالي الغربي، وكذلك الحمر (بفتح الحاء والميم) أما من عمان فقد هاجرت بطون من قبيلة مهرة (الماهرية) التي استقرت في دارفور(٢) فطريق البحر الأحمر له أهمية من بين الطرق التي وفدت منها المجموعات العربية إلي إقليم دارفور ، ولكن بأعداد قليلة مقارنة بالمعبرين الأول و الثاني .

بعد أن وقفت الدراسة علي عوامل الهجرة إلى دارفور، والأسباب التي دفعت بالقبائل العربية إلى الهجرة، وبعد معرفة الطرق التي سلكوها ، والبلدان التي وفدوا منها إلي دارفور ، فإن المجموعات التي وصلت إلى دارفور اندرجت تحت هجرتين : قديمة وحديثة . أما الهجرة المبكرة للمجموعات العربية فإن أغلب الذين هاجروا فيها كانوا تجاراً وصلوا إلى دارفور عبر المسالك التي سبقت الإشارة إليها ، مثل رحلات التجار (الجلابة) الذين سلكوا درب الأربعين وهؤلاء نشَّطوا الحركة

---

(١) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص١٤ .

(٢) انظر رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص٩٦ – ١٠٢ .

التجارية ، وقامت على أثرها مدن تضم وكالات للتجار . وكذلك الذين قدموا من إفريقيا ، كالهوارة والطريفيةوالإسرة[١]. ويلحق بهؤلاء عرب آخرون آثروا الاستقرار وسئموا حياة البداوة والترحال ، واحترفوا الزراعة، وذلك كعرب بشير، وعرب جليدات ، و البزعة، والترجم، وعرب علاونة ، و بنى راشد ، وبنى فضل، و بنى منصور وبنى جرار و الجوامعة (ستقف الدراسة على أماكن وجودهم في شمال دارفور إن شاء الله) وغيرهم . فهؤلاء امتزجوا بالسكان الأصليين من المجموعات الحامية ، وتأثرت لهجتهم بلغات هذه المجموعات التي تجاورهم [٢].

فهذه مجموعات صغيرة نسبياً ، سبقت في هجرتها إلي إقليم دارفور وامتزجت بالسكان الأصليين ، ورغم أنهم احتفظوا بعربيتهم في مستواها الدارج ، فإنهم تأثروا كثيراً بالسكان الأصليين .

أما المجموعات الكبيرة التي وصلت إلي دارفور في هجرات منتظمة ، والتي انتسبت جميعها إلي جهينة ، فإن جزءاً كبيراً منها قد هاجرت في زمن الأحلاف، وهي هجرات حديثة نسبياً . وإنها وإن كانت تنتسب في أصولها إلي مجموعات وقبائل أخرى ، فإنها انضمت إلي جهينة لقوتها ، ... تفادياً [٣]لخطر الفناء والهزيمة على يد غيرها من القبائل أو السلطات التركية الحاكمة .

فقد تحالفت هذه المجموعات العربية بعضها مع بعض لمقاومة السلطات التركية الحاكمة التي كانت تأخذ في اضطهاد القرويين ومحاولة القضاء عليهم ، وبمرور الأيام كانت تضيع الأصول ، ويتم الاندماج ، ويحمل الجميع اسم القبيلة الأقوى [٤].

---

(١) تنتسب الأسرة إلي سرار بن كردم العباسي ، وهم سكان محافظة أم كدادة في الجزء الشرقي من شمال دارفور ، وذكر الثقاة أن الوطن الأصلي لقبيلة الأسرة هو مدينة الفاشر الحالية ، قبل أن يشتريها منهم السلطان عبد الرحمن الرشيد ، حيث جعلها عاصمة لسلطنة دارفور واحتفظ الأسرة بحي يحمل اسمهم ، أما عاصمة الأسرة اليوم فهي مدينة أم كدادة عاصمة شرق دارفور (انظر : مضارب ومشارب قبائل جهينة ، ص ٢٠ – ٢١) .

(٢) إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ج١ ، ص٢٣ .

(٣) رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور ، ص١١٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص١١٦ .

وهذه الظاهرة (ظاهرة الاندماج والانتساب إلي مجموعة كبيرة) من المـــرجح أن القبائل التي هاجرت إلي دارفور قد حملتها معها . فإن قبيلة البرتي اليوم تضـــم بطوناً كثيرة من قبائل دارفور الأصلية ، وكذلك من المجموعات العربية الصغيرة ، أقامت معهم وصاهرتهم ، ومن ثم أصبحت جزءاً منهم . ومن ذلك مثـــل : كنانـــة وعيساوية والجعليين (برتي جعل) ، وعرب رشدان (بني راشـــد) والبديريـــةو(البرياب) وهم فرع من الجعليين ، والجوامعة ، والكواهلة ، والبزعة[١]، والحمران[٢]وغيرها من القبائل العربية [٣].

فإذا كانت القبائل العربية الكبيرة التي هاجرت إلي دارفور باستثناء الزياديـــة في الشمال ، والمعاليا في الشرق والجنوب ،والبزعة في شـــرق دارفـــور وشـــمال وكردفان وغربيها ، وهذه المجموعة تنتمي إلي فزارة ، فـــإن أغلـــب المجموعـــات الأخرى غلبت عليها النسبة إلي جهينة [٤]، فهي قبيلة كبيرة انتشرت فـــي مســـاحة واسعة من البلاد العربية ، وبلاد السودان ، وشمال إفريقيا وساهمت إلي حد كبيـــر

---

(١) البزعة قبيلة عربية هاجرت من الجزيرة إلي أواسط السودان ، واستقرت بها المقام في كردفان ودارفور وأصبحت لها تاريخها ونظامها ، وأختلط لسانها بقبائل الفور والبرتي وغيرها من المجموعات غير العربية ، ولكن هذا نجده في المجموعة التي اختارت دارفور موطناً لها ، أما بقية أفراد القبيلة الذين أتخذوا من بوادي كردفان خاصة شمالي الأبيض وشمالها وغربها فإنها ما تزال تحافظ على قدر وافر من سليقتها العربية ، أحمد عبد الله آدم ، نموذج للتماذج والتعايش لقبائل السودان ، شركة مطابع السودان ، ج١ ، ص٢٧ .

(٢) أما الحمران فهم الحمر Hamar وهي من القبائل العريقة في كردفان التي نافست الكبابيش في النصف الشمالي منها ، وهناك من يرجح نسبتهم إلي حمير . وأنهم جاءوا من اليمن ، وأنهم هاجروا في عصر الحجاج بن يوسف الثقفي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وعبروا البحر الأحمر ، ويقال إنهم نزلوا أولاً حول (التاكة) كسلا ثم تحركوا إلي النيل الأزرق ثم إلي مواطن استقرارهم في كردفان ودارفور، انظر رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور ، ص١١٦ .

(٣) إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، هامش٥ ، ص١٩ .

(٤) جهينة على ما هو معروف عند علماء الأنساب إحدى قبائل اليمن ، وتنتسب إلي جهينة بن زيد بن ليث ابن سود بن أسلم ابن الحافي بن قضاعة ، وهي قبيلة عظيمة ، وفيها بطون كثيرة ، وكانت منازلهم بأطراف الحجاز من جهة الشمال ، وحول ينابيعها ، وما يقع شمالها ، القلقشدي، أبوالعباس أحمد ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الإيباري ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢م ، وكانت جهينة مع القبائل التي شاركت في فتح مصر مع عمرو ابن العاص – جمهرة أنساب العرب ، ص٤٤٤ – ٤٨٦ .

في نشر العروبة والإسلام في تلك المناطق التي انتشرت فيها ، فكانت هذه الشهرة ، لذلك يرى رجب عبدالحليم أن النسبة إليها راجعة لهذا السبب في قوله : " والواقع أن أمر هذه النسبة لم يأت من فراغ ، وإنما نبع من ظروف هذه القبيلة ، ولدورها في نشر العروبة والإسلام في دارفور وفي السودان بشكل عام " (١).

من خلال نظرة عامة إلي خريطة دارفور إلى التوزيع السكاني الذي توفر من خلال الدراسة ، فإن القبائل العربية تداخلت وامتزجت بالسكان الأصليين . وباستثناء المجموعات الرعوية التي آثرت حياة الترحال ، فإنه لا توجد أماكن لا يسكنها العرب إلاّ مواضع قليلة . وهذا التداخل بين العرب والفور ، وكذلك المجموعات الأخرى من الفصيلة الحامية في مناطق السكن والإقامة ، أتاح الفرصة لعملية اجتماعية في غاية الأهمية ، أخذت تتفاعل على مدى القرون والأزمان ، تلك هي عملية الاختلاط والمصاهرة ، والتزاوج بين العرب وسكان البلاد الأصليين . وقد أتيح لهذه العملية أن تنجح لأسباب عديدة جملها الدكتور رجب عبدالحليم في قوله : " منها أن العرب الذين دخلوا إقليم دارفور لم يدخلوه كغزاة ، وإنما دخلوه في هجرات جماعية أو فردية ، وبطريقة غاية في السلمية والهدوء ، لم يحملوا فيه الحديد والنار والسيف كما قال بعض الباحثين الأوربيين ، وإنما دخلوه بوصفهم طلاب مأوى ومهاجرين مسالمين ... فقد صبغوا هذا الإقليم بالصبغة العربية الواضحة ، وكانوا هم الأساس والعامل الرئيسي في نشر العروبة والدماء العربية ، وكذلك في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية " (٢).

---

(١) العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص١١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٩٠ .

المبحث الثالث : اختلاف البيئات وأثره على اللغة العربية :

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً ، فمنها ما تتاح لهـا فرصة مواتية فتنتشر في مناطق واسعة من الأرض ، ويتكلم بها عدد كبير من الأمم والشعوب كما حدث للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى ، والإنجليزيـة والأسبانية والبرتقالية والفرنسية والألمانية في العصور الحديثة ، ومنها ما تسد أمامه المسالك فيقضي عليها أن تظل حبيسة في منطقة ضيقة من الأرض ، وفي فئة قليلة من الناس كما حدث للغة البسكية[١]، والليتونية[٢]، ومنها ما تكون في حالـة وسـط شأن الحبشية والفارسية [٣].

فإذا كانت العربية قد انتشرت في مساحة واسعة من الأرض ، وتكلَّم بها خلق كثير وأجناس عديدة ، فإن البيئة قد تركت آثارها على هذه اللغة وقد اجتازت جزيرة العرب إلي مهاجرها الجديدة . وهذا شأن كل لغة عندما تهاجر وتتعرض لظـروف بيئية مغايرة . ولقد واجهت العربية ظروفاً فرضت عليها التفاعـل والتـأقلم معهـا وعلى رأس تلك الظروف اللغات المحلية التي واجهتها العربية في أوطانها الجديـدة والتي كان من الطبيعي أن تتأثر بها ، خاصة وأن العرب حيثما ذهبـوا لا يظلَّـون طبقة حاكمة ، متعالية منعزلة عن جمهور الناس ، بل إنهم كانوا في معظم الأحوال يذوبون في بيئة من ينزلون بهم ، والانخراط الفاعل في حياتهم ، غير أنها لصـلتها القوية بأرومتها ومنبعها الأصيل تعصمها من الانحدار والزوال ، وكذلك بقاؤها بين هذه الشعوب لغة أدب ودين ، لولا هذا وذاك لفقدت هذه اللغة الكثير من خصائصها المميزة لها[٤]، فالملاحظ أنه كلما أوغلت لغة في مناطق مترامية الأطراف، وأبعدت

---

(١) يتكلم بها نحو مليون ونصف من الباسكيين الذين يقطنون جبال البرانس الغربية في العدوتين الفرنسية والإسبانية (علي عبدالواحد وافي ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ،ص١٠٧ .

(٢) يتكلم بها سكان ليتوانيا الذين يبلغ عددهم الآن نحو مليونين ، المصدر السابق ، ص١٠٨ .

(٣) علي عبدالواحد وافي ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، ط٣ ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص١٠٧ – ١٠٨ .

(٤) انظر : إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية) ، المقدمة ، وعلي عبدالواحد وافي ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ،ص١١٥ .

عن مراكزها الرئيسة ، فقدت مع البعد بعض ما لهـا مـن خصـائص وصـفات، وصِيغت على جوهرٍ آخر يخالف جوهرها الأول .

وفي العالم العربي اليوم لهجات متعددة : بين عراقية ، وسورية ، مصرية ، وسودانية ، حجازية ومغربية ، وقد يوجد في الإقليم الواحد أكثر مـن لهجـة . وإذا كانت العربية قد نشرت رايتها مع الإسلام ، فإنها حلَّت ببلاد كانت فيها لغات قائمة لم تلبث أن تأثرت بها ، كالفارسية في العراق والسريانية في الشام ، والقبطية فـي مصر ، والبربرية في المغرب ، وسرت إلي الأقطار العربية لغات أخـرى أجنبيـة كالتركية والفرنسية ، والإنجليزية ، والإسبانية ، والإيطالية ، فأثرت هذه بدورها في اللغة العربية (١).

فنتيجة لكل هذه المعطيات وللعوامل الطارئة عليها مـن ثقافيـة واجتماعيـة وهجرات وتنقل ، تأثرت العربية في بيئاتها التي هاجرت إليها ، فنـتج عـن تلـك العوامل لهجات هي وليدة ظروف مختلفة ، مردها إلي البيئة الجغرافية ، ولكل لهجة نتكلمها الآن تاريخ بعيد ، وهي مزيج متداخل من العناصر التي تواردت عليها مـع الجماعات التي وفدت إلي كل قطر ، وقد تعرَّض الوافدون لمخالطة مـن سـبقوهم ومن جاوروهم من العرب وغيرهم من طريق الحلف والـولاء ، أو المصـاهرة أو الغزو ، أو العمل المشترك ، فنتج عن ذلك أن تداخلت عناصر من لهجات متعـددة للعرب وغيرهم ، وتألفت منها على مرَّ الزمن صورة متطورة مركبة ، لهـا طـابع خاص ، تختلف قليلاً أو كثيراً عن الصور المعاصرة لها التي تطورت فـي بيئـات أُخر وعن الصور الأخرى التي حملها العرب الأوَّلون إلي مهجـرهم الجديـد (٢)، ونتيجة للهجرات المتصلة ومخالطة العرب لغيرهم من الشعوب ، لم يكن من الممكن لتلك اللهجات القديمة التي حملها العرب أن تستمر على حالها القديم فـي المنـاطق الجديدة ، نسبة للتشتت الكبير الذي تعرضت له القبائل العربية (في الجهـات التـي

---

(١) محمد الفاتح عمر ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٤٧ .

(٢) عبدالمجيد عابدين ، أصول اللهجات العربية في السودان (دراسة مقارنة في اللهجات العربية) ، ط١ ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص٦٠٥ .

سبق ذكرها) ، وكل ذلك ما يجعل احتفاظ كل لهجة بسماتها المميزة لها جميعاً أمراً بعيد الاحتمال [١]، لذلك تختلف اللهجات فيما بينها باختلاف القبائل النازحة والبيئة التي استقرت فيها والظروف التي أحاطت بها ، واللغة كائن حي يتطور ليواكب تطور الحياة ، والحياة التي واجهها العرب في بيئاتهم الجديدة تختلف عن حياتهم الصحراوية السابقة ، وتختلف فيما بينها ، ولا بد للغة من أن تعبِّر عن كل ذلك الاختلاف دون أن تفقد خواصها الأساسية [٢].

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة تحت تأثير عامل البيئة وما يكتنفه من ظروف تبدو آثارها واضحة ، خاصة في نواحي الصوت والدلالة ، من ذلك ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، من أنه لما قدم من دوس – وهي بطن من الأزد– عام خيبر ، لقي رسول الله (ﷺ) وقد وقعت من يده السكين ، فقال له النبي (ﷺ) : " ناولني السكين " فالتفت أبو هريرة يمنةً ويسرة ، ولم يفهم المراد بهذا اللفظ ، فكرر الرسول له القول ، فقال أبو هريرة : " آ لمدية تريد ؟ أو تسمى سكيناً عندكم ؟ فوالله لم أكن سمعتها إلاَّ يومئذٍ " [٣].

أما مظاهر الاختلافات الصوتية الناشئة عن اختلاف البيئات ، فتبدو واضحة في طبيعة الصوت ، وكيفية نطقه ، (فالقاف) في الفصحى قد اختفت من لهجة أهل القاهرة ، وهي ذاتها قد تحولت إلي (كاف) في بعض الأصوات عندما تأتي مفتوحة في أول الكلام ، فمن (قتل) نجد من يقول (كَتَل) ، وكاتل في قاتل ، وهذا مجال واسع يرجع أساسه لعدة عوامل من بينها اختلاف البيئات . ومن خلاله يمكن أن نفرق بين مجموعات كبيرة : هذا مصري ، وهذا شامي ، وذاك مغربي ، وهذا

---

(١) عبدالمجيد عابدين ، أصول اللهجات العربية في السودان ص : ٦٠٥ .

(٢)علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، ط٤ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، هامش١ ، ص١٢٦ – ١٢٧ .

(٣) وهذا الحديث ورد في صحيحي البخاري ومسلم وبلفظ آخر ، ففي صحيح البخاري ، كتاب (٢٩) باب إذا ادعت المرأة ابناً ، حديث رقم (٦٣٨٧) ، مج٦ ، ص٢٤٨٥ عن أبي هريرة ، وانظر : أبو الحسن مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، كتاب رقم (٦٤) ، الأنبياء ، حديث رقم ٣٢٤٤ ، مج٣ ، ص١٢٦٠ عن أبي هريرة .

سوداني وهذا يمني وبين مجموعات صغيرة ، في البيئة الواحدة هذا صعيدي وهـذا اسكندراني ، وفي السودان تستطيع أن تميز بين لغة أهل الجزيـرة ولغـة أهـل أم درمان ، وتستطيع بمجرد سماعك لبعض الأصوات أن تحكـم علـى قائلهـا أنـه دارفوري أو غرَّابي – وله خصائصه الصوتية المميزة عند أهل السودان – يقـول عبدالحميد محمد أحمد : " حتى إن العارفين ببواطن الأمور يستطيعون تصـنيف أي لسان بمجرد سماع صوته وإعادته إلي أصله وقبيلته ، ما لم ينشأ التباسٌ ومداخلة في البيئة مما يؤثر مباشرة على هذه الألسن " [١]. وقد قسمت البيئة اللهجية في السودان إلي وحدتين لهجتين (وسط السودان وأطراف السودان) وهذا التقسيم فيما أحسـب لا يغطي البيئات اللهجية المتباينة في هذه البلاد الواسعة خاصة وأن التقسـيم اللهجـي يرجع إلي إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد بأنهم يتكلمون بصورة ما ، ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المتجاور [٢]، فيقول الدكتور عبدالحميـد عن هاتين الوحدتين : " فسورة الإخلاص لو عرضناها قراءة على أهل هذا الوسـط لقراؤها كما نزلت ... ولو طلبنا لأهل أطراف هذا الوسط وهـم الـذين يرطنـون لقرأوها" قل هو الله أهد ، الله السمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أهد " . وحتى حرف القاف في (قل) ينطقونه قريباً من حرف (الكاف)[٣].

ومما هو داخل في هذا الباب أن البيئة يمكن أن تلعب دوراً مهماً في اختيـار اللغة المثالية ؛ لذلك استبعد الدكتور طه حسين بيئات كثيرة في معرض حديثه عـن اللغة المشتركة ، واستقر رأيه على بيئة القرشيين في مكة ، وكان يرى أن كل بيئـة توفرت لها تلك المقومات خليقة بأن تفرض لغتها ، واستبعد في فرضيَّته كل البيئات التي تجاور مكة ، فاستبعد بيئة الغساسنة ، والمنـاذرة ، لوقوعهـا فـي أطـراف الجزيرة، فهي بيئات أقرب إلي الأعاجم منها إلي العربيـة ، كمـا اسـتبعد بيئـات

---

(١) عبد الحميد محمد أحمد ، الإنسان واللسان السوداني ، دار عزة ، الخرطوم ، ٢٠٠٥م ، ص٣٣٠ .

(٢) جورج فندريس ، اللغة ، تعريب عبدالمجيد الدواخليوعبدالحميد القصاص ، د . ط ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص٣١٣ .

(٣) عبد الحميد محمد أحمد ، الإنسان واللسان السوداني ، ص٣٣ .

الجنوب ومنها (كنده) لأنها بيئات يمنية ، وأن سلطانها لم يدم طويلاً بحيث يسمح لها فرض لغتها ، وكذا بيئتي الطائف وشمال الحجاز [١].

فالناظر إلي مستويات العربية المستخدمة يلمس القدرة البالغة للتواؤم مع ظروف البيئة المتغيرة ، فاللهجات لها القدرة على وضع معايير بالغة الدقة ؛ لذا تختلف ألسنة الناس حسب بيئاتهم وأقاليمهم ، فالظروف المحيطة بالفرد تلزمه التكُّيف معها ؛ ولهذا العامل وحده يرجع الاختلاف الواسع في لغات العالم ، بل هناك من يذهب إلى أبعد من هذا فيجعل للبيئة أثراً في اختلاف التكوين الطبيعي لأعضاء النطق ، وعليه ينشأ الكثير من الفروق والتباين في الأصوات ، كما يقول محمد الفاتح عمر : " فللبيئة والوراثة شأن في اختلاف التكوين الطبيعي لأعضاء النطق ، وتباين الأصوات ... واللهجة كاللغة الأم تتحول ، وتتبدل وتسير وتتحرك إن هيئت لها أسباب السير والحركة [٢]، فكل هذا التنوع في الطبيعة والبشر ينعكس أثره في اللغة المستخدمة ، يقول عبدالحميد محمد أحمد : " لذلك تجد ساكني الصحراء يميلون إلي مدِّ أواخر الكلمات ، وكذلك نسبة نبرات الصوت المستخدمة لحاجة هؤلاء إلي المسافة الزمانية – وله كذلك أثرٌ لا يُخفى – فإذا انتفى هذا السبب وتقارب الناس ، ترادفت الكلمات سراعاً " [٣]. لذلك عرب البادية كثيراً ما يحتاجون إلي حركة المد الطويلة هذه ، وأحياناً يُتبعون التشديد هذه الحركة الطويلة فيقولون مثلاً في محمد (حُّماد) ، (ناصر) مع إمالة الصاد وحذف الراء وهكذا .

أما في حالة السودان ، فإن الاختلاف الكبير في مستويات اللغة المستخدمة بين أقاليمها وبقية البلدان العربية ، مرده إلي تمُّيز المناخ السوداني الذي فرض طبيعة حياة تختلف عن تلك التي كانت في جزيرة العرب ، فالعرب الفاتحون استقر بعضهم على ضفاف النيل ، وتغير قاموسه الرعوي إلي قاموس زراعي ، فيه بعضٌ من اللغات المحلية ؛ ولذلك فإن العرب الذين امتهنوا الرعي وجدوا نباتات ليس لها وجود في جزيرة العرب ، فاخترعوا ألفاظاً جديدة لبعضها واستمعوا لقاموس من

---

(١) انظر : د . طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ج١،ص٨٤ .

(٢) محمد الفاتح عمر ، البيئة وأثرها على اللهجات ، مجمع اللغة العربية ، ص٤٦ .

(٣) عبد الحميد محمد أحمد ، الإنسان واللسان السوداني ، ص٣٣ .

سبقهم في بعضها الآخر[١] وهذا يجري على كل بقاع السودان حيث تتنوع مفردات البيئة بتنوع المناخ فيها . يقول عون الشريف قاسم في هذا المجال عن بيئة دارفور : " واللغة الحية – شأن كل الأحياء – تتكيف بظروف البيئة ، وتتلون بتلون عناصرها ، وكان هذا دأب العربية في دارفور في تنوعها واختلاف لهجاتها ومفرداتها وتراكيبها ، صورة حية لهذا الإقليم المترامي الأطراف والمتباين في الأجناس والسحنات ، فنجد فيها الأعراب المتبدين الذين يجوبون القفار بحثاً عن الكلأ والماء . فهؤلاء نجد في لغتهم صورة حية تكاد تطابق ما عهدها العرب في جاهليتهم ، خاصة عند أولئك الذين لم يختلطوا بالسكان الأصليين [٢]، ففي دامرة العرب شمالي مدينة كتم وفي منطقة (أم سيالة) ، أو عند الزيادية شمالي مدينة مليط، تجد فيها هذه الشواهد اللغوية المعيارية ماثلة . ونجد في جانب آخر صورة للبيئات الزراعية المستقرة حول مدينة الفاشر، وجبل مرة ، ووسط دارفور . وفي هذه البيئة نحو المصطلحات الزراعية المتعلقة بالزراعة بين نوبية وفوراوية وما إلي ذلك مما لا عهد للعرب به .

وهذا التنوع في البيئة نجد له شواهد قوية في شمال دارفور، فالذين يسكنون في الأطراف الشمالية أثر فيهم لسان البرتي، والزغاوة، والميدوب، وفي الغرب نجد لغة التنجور، والفور ، فآثار البيئة تبدو واضحة ترفع من شأن لغة وتحط من شأن أخرى . فكل لغة توافرت لها المقومات تنشر رايتها ويقوى عودها . وقد تحول ظروف البيئة دون مجموعات أخرى فتمنعها الاحتكاك بغيرها فتُضيِّق عليها فرصة اكتساب لغة جديدة ، ومن ثم الاحتفاظ بلغتها المحلية . وذلك ما حدث لسكان المناطق الوعرة في جبل مرة .يقول رجب عبد الحليم :" ولا شك أن البيئة الطبيعية كان لها تأثيرها في احتفاظ القليل جداً من أهل دارفور بلغاتهم المحلية دون أن يعرفوا اللغة العربية ، ففي المناطق الجبلية الوعرة التي لم يستطع العرب

---

(١) عادل الشيخ عبدالله ، منزلة عربية السودان من لغة التنزيل ، مجلة التأصيل السودانية ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم ، العدد ١٢ ، ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص١٢٧ .

(٢) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ط٣ ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، ص١١ ، المقدمة .

الوصولإليها ، وخاصة في جبل مرة والتي عاش أهلها في عزلة عن جيـرانهم ... ولذلك لم تنتشر العربية بين هذه الجماعة من الناس الذين أصبحوا لا يعرفون فيهـا إلا عبارتي الشهادة "[1] وإلي اليوم هناك مناطق في جبل مرة تقل معرفـة أهلهـا بالعربية لاكتفاء هذه المجموعات بحياتهـا البسـيطة ، وعزلتهـا وقلـة احتكاكهـا بالمجموعات الأخرى . وما يزال تعليق التونسي على بعض سكان جبل مرة أنهم لا يعرفون من العربية إلا الشهادتين ويقولونها متقطعين ، فقد ظهـرت واضـحة فـي مشاكل دارفور الأخيرة (٢٠٠٣م) ونزوح مجموعات منها إلـي الفاشـر ، خاصـة سكان (جبل سي) فإن مجموعات منها اضطرتها الظروف فدخلت الحواضـر هـذه وهي لا تتحدث العربية ، ولا تتفاهم مع أهلها إلا بترجمـان . لـذلك فالاحتكـاك والمداخلة يدخلان ضمن العناصر المهمة التي تعمل على تغيير البيئة اللغوية ، ومن ثم تتحرك عمليات التأثير والتأثر وبدونهما تبقى اللغة راكدة جامدة بعيدة عن التطوُّر .

---

(١) رجب عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور ، ص١٩٢ – ١٩٣ .

المبحث الرابع : اللغات المحلية وأثرها على اللغة المتكلمة في الإقليم :

إذا كان الذي سبق من تأثير البيئة على اللغة بصورة عامة ؛ فإن إقليم دارفور ، ومنها منطقة الدراسة قد سادت فيها ولفترات طويلة لغات محلية من الفصيلة الحامية ، وكلها لا تمتُّ إلي العربية بصلة مثل : لغة التاما ، ولغة البرقد ، ولغة المساليت، ولغة الزغاوة ، ولغة الميدوب وغيرها . بالإضافة إلي لغات الممالك التي سادت فيها من قبل ، وذلك مثل : لغة الداجو ، ولغة الفور التي أصبحت في وقت من الأوقات لسان التنجور بقوة السلطان ، وبالمجاورة وبالمصاهرة ، وكلها كما هو معروف في علم اللغة من الفصيلة الحامية [١]، وقد أثرت هذه اللغات على العربية العامية المتكلمة في الإقليم بعامل التأثير والتأثر فجذبتها نحوها فكانت هذه العامية المعروفة بلهجة دارفور .

أما دواعي تأثير هذه اللغات المتكلمة على عامية دارفور ، فيمكن إجمالها في : كثرتها ، وتمركزها ، وتمسك أهلها بها . فهذه اللغات المحلية كثرتها غالبة ، إذا علمنا أن دارفور تشتمل على نحو ثماني عشرة سلالة غير عربية ، تتحدث اثنتي عشرة لغة مختلفة ، بالإضافة إلي اللغة العربية التي تعرفها الغالبية العظمى من سكان دارفور [٢].

فهذه المجموعات على كثرتها وانتشارها لا تعير اهتماماً للعربية إلا إذا دعتها الحاجة إلي التحدث بها ، يقول عنهم إبراهيم آدم إسحق : " ... ولا ترغب في التكلم بالعربية سواء العربية الفصحى أو الدارجة المتكلمة في دارفور ، إلا لماماً ، وذلك حين تدفعها الحاجة إلي الاتصال بغيرها من المتكلمين بالعربية في الأسواق ، وفيما تقتضيه مصلحتها من أوجه التعامل معها ، أو حين تلجئها الضرورة إلي التعامل مع أهل المدن والحواضر ومن إليهم ، وذلك لأن هذه القبائل الحامية تعدُّ العربية اللغة الثانية من ثم فلا تحفل بها " [٣]. لذلك عربيتها مستعجمة ، فهي لا تكلف نفسها

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٧ – ١٨ .

(٢) مصطفى مسعد ، سلطنة دارفور ، ص٢١٧ ، وانظر : د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١١ .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣١ .

معرفة قواعد العربية في البناء والتركيب وغيرهما ، وإذا كان عامل الغلبة مهماً في قانون اللغات ، فقد أخذ موضعاً لهذه اللغات المحلية في عامية دارفور . كذلك مما يعمق من أثر هذه اللغات المحلية أنها تمركزت في الحواضر ، وحياتها على قدر كبير من الاستقرار ، خاصة تلك التي تعاقب أهلها على حكم دارفور مثل : الداجو ،والتنجور، والفور ، في الوقت الذي آثرت فيه القبائل العربية المهاجرة التجوال على أطراف الإقليم ؛ لذلك كان تأثيرها على هذه اللغات المتمركزة ضعيفاً ، يقول إبراهيم آدم إسحق :" وحين نعود مرة أخرى إلي الخريطة السكانية لقبائل دارفور الأصلية ، ولما يمكن أن تكون للهجرات العربية المتعاقبة من تأثير عليها لغوياً ، أو اجتماعياً ، نجد أن القبائل العربية الرعوية اكتفت بالتجوال كما أشرنا على أطراف المملكة ، في حين تركز وجود قبائل دارفور الأصلية وما اختلط بها من البطون والعشائر العربية في الهجرات المبكرة في وسطها كما رأينا ، مما جعل تأثيرها عليها هامشياً إن لم يكن معدوماً ألبتة " [١].

إن ما ذكره الدكتور إبراهيم بشأن المجموعات العربية التي آثرت التجوال والعيش على أطراف الإقليم فإن هذه المجموعات تأثيرها ضعيف ، واللغة تؤخذ بالاحتكاك والمخالطة . ولكن في حالة المجموعة الثانية والتي هاجرت إلي الإقليم منذ وقت مبكر واختلطت بالسكان الأصليين في حواضر دارفور ، فإن تأثيرها فيما أحسب لم يكن ضعيفاً ، بل خلفت أثراً عميقاً تمثل في العامية التي يتكلمها أهل دارفور محل الدراسة ، ويكون مخالفاً لقوانين الصراع اللغوي والاحتكاك إن لم نلمس لها أثراً واضحاً ، خاصة تلك المجموعات التي وفدت إلي دارفور من شمال إفريقيا ومن غربها ، ولما تحملها من ثقافة ودين – وأثرهما لا يخفى بين عوامل الغلبة اللغوية – فقد ذابت هذه المجموعات تماماً في السكان الأصليين حتى قال عنهم الأستاذ إبراهيم إسحق :" ومنهم من اندرج في القبائل المستوطنة المستقرة ، وتغيرت أساليب حياتهم ، ولم يبق لبعضهم من إعرابيته الأصلية إلاَّ نسبه الأبوي ، وبعض الوثائق والذكريات " [٢] لذلك يأمل الدكتور إبراهيم آدم إسحق أن يجد لهم أثراً فيقول

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية، ص٣٩ .

(٢) إبراهيم إسحق إبراهيم ، هجرات الهلالين ، ص٣١٧ ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٣ .

:" وإنما الذي يمكن نشدانه في مثل هذه الحالة هو ما إذا كان أولئك التجار الحضريُّون المهاجرون إلي دارفور من شمال إفريقيا ومن غربها قد أثروا في لهجتها العربية أم لا ؟ " (١).

كذلك من دواعي تأثير اللغات المحلية على عامية دارفور : تمسك أهلها بها ، فهذه المجموعات – على كثرتها – كانت ترتطن لغاتها الأعجمية فيما بينها ، ولا تستخدم العربية إلا لضرورة ، فالداجو(٢)مثلاً كانت لهم مملكة قائمة في دارفور وسبقت من حيث التاريخ حكم الفور والتنجور ، وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى القرن الرابع عشر ... فإنه ليس لدينا ما يشير إلي استعراب أهلها ، أما لسانهم فمن المرجح أنه لم يكن يومئذ اللسان العربي ، بدليل أنهم ما يزالون حتى اليوم متمسكين بلغتهم الحامية في كل الأماكن التي يقطنونها إلي جانب اللغة العربية التي تعد عندهم اللغة الثانية (٣).

أما سلاطين الفور فإنهم على تعاقب أزمانهم عدا السلطان علي دينار ت ١٩١٦م ، أصروا على أن تكون لغة الخطاب في البلاط الفوراويلغة الفور، مما استدعى وجود تراجمة في مجلس السلطان (٤) ... بالرغم من أن السلطان نفسه يجيد اللغة العربية ، فيمكن أن نتصور بعد هذا الأثر الذي تركته لغة الفور – وأهلها في قمة السلطة – على اللغة العربية ، خاصة إذا عرفنا أنها استمرت لغة البلاط الملكي في دولة الفور ما يقرب من أربعة قرون ، وهي لغة حامية ، تختلف

---

(١) الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٤ .

(٢) الداجو أول من أسس دولة في منطقة دارفور ، ثم أزاحهم التنجور عن وسطها فاستقروا في مواطنهم الحالية (تشحيذ الأذهان للتونسي ، ص٦) .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧ .

(٤) يسمى المترجم الذي ينقل ما يتكلم به أحد الرعية باللسان العربي إلي السلطان بلغة الفور (خشم الكلام) وهذا عرف دبلوماسي سائر بين الشعوب فيما يعرف باللغة القومية ، وثبت في القديم أن ملوك غانة الوثنيين استخدموا تراجمة ووزراء من العرب المسلمين ، وأن السلطان كنكن موسى مع إجادته (اللسان العربي) فقد كان يكلم المهندار– مرافقه بالقاهرة عن طريق ترجمان ، وذلك خلال مروره به وهو في طريقه إلي الحج ٧٢٤ – ١٣٢٤م زمن الناصر محمد قلاوون (مجلة جامعة أمدرمان الإسلامية – العدد الثاني ١٩٦٩م من محاضرة قدمها د . إبراهيم طرخان بعنوان الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٩٦٩ ، ص٣٤ .

عن الفصيلة السامية التي جاءت منها اللغة العربية في نظام الأصوات وفي الأبنية وفي التراكيب ، لذلك فإن تأثيرها على العامية المتكلمة في دارفور كان واضحاً بالرغم من أنها لغة الدين ، ولغة الشعائر ، ولغة الخطاب لعامة الناس ، ولغة الرسائل والمكاتبات الديوانية فقط في البلاط الفوراوي ، ولذلك فإنها لم تجد في تلك العهود من العناية والتشجيع ما يجعلها لغة أدبية رفيعة ينظم بها الشعراء أو يكتب بها المتأدبون إن وجدوا ، ومن ثم ظلت اللغة العربية ، لغة شعبية في مستواها الدارج ، يتكلمها عامة الناس وخاصتهم[١].

١. لذلك فإن تأثير هذه اللغات المحلية على العربية في دارفور كان واضحاً جعلها تأخذ سمتاً مغايراً ميزها عن العربية المتكلمة في بقية أقاليم السودان ، فمن تلك الآثار الأصوات الفوراويةالمستعجمة التي استقرت في عامية أهل دارفور تلك الأصوات التي لا نجدها في اللغة العربية ، مثل الصوت الحامي المركب (نقا nga) من نحو : (نقا نقا[٢]nganga) للطفل الوليد ، وكذلك الصوت الحامي المركب (نجا nja) الذي نجده في كلمات من نحو (نجالا) أي نيالا عاصمة جنوب دارفور و(نجرمتي) لصغار اللوبياء الرخص ، و(نجرنجار) لفتات الكسرة المتبقية على المائدة . ومن ذلك الصوتP ،ب وهو حرف أعجمي في الأبجدية الزغاوية[٣] نجده في بعض الكلم العامية في دارفور مثل (بوت Put) أي أخرج سريعاً من جيبه بلغة الزغاوة ، وهذه الكلمة ذاتها مستخدمة وبذات المعنى مع قلب الحرف الأول (ب) في عامية دارفور (جرَّ بوت كدى سلَّة)[٤]وتبدو من الكلم الحالية حتى عند الزغاوة ، ولكن من ناحية التأثير نجد أن لغة الفور

---

(١) الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٩ .

(٢) المصدر السابق ، صفحة الرموز المستخدمة ي .

(٣) آدم محمد عبدالله عيسى (آدم تاجر) ، الزغاوة تراث وأعراق ، ط١ ، الجماهرية الليبية ، ١٩٩١م ، ص٧.

(٤) (بوت كدى) العبارة كأنها تحكي صوت قلع الشيء .

طغت على العامية في دارفور لمكانة أهلها وللأسباب سابقة الذكر لذلك نجد الكثير من الكلم الفوراوية ما تزال تجري على ألسنة الناس في الخطاب الدارج وذلك نحو (كو Co) ، و(كونا Cona) و (كوكا Coca) ، وكلها بمعنى فلنذهب ، و(كبكرَّي Cabcurre) [١] وهي الرياح الإعصاريةCyclonic Winds و(كركبنق) للمغزلة اليدوية التي يستخدمها أهل دارفور قديماً في صناعة التوب البلدي المعروف (بالتُكية) ، ويجمع على تكاكي . وكانت تستخدم في دارفور محل العملة ، ويتم تداولها بمقاييس متعارف عليها بينهم ، تماماً مثل الريال المجيدي والذهب والفضة .

كذلك نجد أن أصوات اللغة الفوراوية وأبنيتها وتراكيبها وهي أعجمية حامية أثرت في أصوات الكلم العربية في مستواها الدارج ، وفي مقاطعها الصوتية ، وفي أبنيتها كذلك فجذبتها إليها ، وفي أحيان كثيرة صرفتها عن وجهتها أو كادت ، وذلك في نحو (آفي) بمعنى عافية ، وهي من ألفاظ التحية في دارفور و(قيدين) بمعنى قاعدين ، أي جالسين أو ماكثين و(بييد) بمعنى بعيد ... (وياخوب) أي يعقوب وكلها فيما أحسب تأتي جرياً مع التخفيف والابتعاد عن حرف (العين) الحلقي ، وإبداله بالهمزة . وكذلك كلمة جبنقا (Jabunga) وهي عادة أخذ البنت البكر وتزويجها بعيداً عن أهلها . والملاحظ أنها كلمة مركبة من مقطعين ، أحدهما عربي وهو (جبَّ) بمعنى القطع أو الهرب أو الغلبة ، وهي كما ترى من معاني هذه العادة . وثانيهما مقطع فوراوي وهو (nga) بمعنى العادة أو السلوك [٢].

وإذا كانت لغة الفور قد أثرت على عامية دارفور هذا التأثير الكبير، فإن هناك لغات حامية أخرى اقتصر تأثيرها على مستويات معينة ، مثل تأثير لغة الزغاوة على البرتي في الأطراف الشمالية من دارفور . ولغة الزغاوة ضمن لهجات التيبو وهي من أسرة اللغات الصحراوية ، تنعدم فيها ظواهر التثنية ، أو

---

(٥) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٠ .

(١) آدم محمد عبدالله عيسى (آدم تاجر) ، الزغاوة تراث وأعراق ، ط١ ، الجماهيرية الليبية ، ١٩٩١م ، ص٧ .

التذكير، والتأنيث . فنجدهم مثلاً لا يفرقون بين المذكر والمؤنث فيقولون : جاء أحمد ، وجاء فاطمة ، بدلاً من جاء أحمد ، وجاءت فاطمة ، وأيضاً لا توجد فيها تثنية فهم يقولون : أحمد وفاطمة ، ولا يوجد جمع يقولون : الرجال أكل ، وإن اتفقت مع العربية في واو الجماعة فإنها تستخدمه مع المثنى يقولون : الرجلان أكلوا، (وهذا الاستعمال لا يقتصر على دارفور وحدها بل امتد ليشمل بقية العاميات العربية المتكلمة في السودان) ... وتقديم الفاعل على المفعول ، ففي : أكل الولد الطعام ، يقولون : الطعام أكل الولد ، شربت الماء ، الماء شربت وهكذا [١]. هذا المستوى من الدارجة المستعجمة عند الزغاوة نجد لها بعض الأثر عند البرتي في المناطق الشمالية من دارفور خاصة في عدم التفريق بين المذكر والمؤنث يقولون للولد والبنت (تعال) (قُوْم) في الأمر (قم) ، ويستخدمون (كلَّمته أو أوريته) للرجل والمرأة وهكذا . لذلك فإن الناظر إلي العربية المتكلمة في دارفور يلمح فيها وبصورة واضحة ، تأثير هذه اللغات المحلية ، وهي تخالف العربية في جوانب أساسية ، فهي والعربية ليست من أرومة واحدة ، ويدخل عامل البيئة فيقسم هذه العربية إلي مستويات – وله أثر لا يخفى – وقد أرجع العلماء اختلاف اللهجات عن بعضها بعضاً لاختلاف قوالب النطق في المناطق المختلفة ، وتلك قاعدة تنتظم جميع البشر فالإنسان يُلبس أي لغة ثوب لغته الخاصة [٢]. وهذه القاعدة تمثلت بصورة واضحة في عامية دارفور ، ولكنها كذلك تأثرت بالعربية ، وإذا كانت اللغة العربية قد تأثرت كل هذا التأثير باللغات المحلية ، فإنها من جانبها استطاعت أن تؤثر في هذه اللغات المحلية ، لما لها من خصائص وميزات جعلتها تتقدم على الكثير من اللغات الحية ، ولارتباطها الوثيق بالدين الذي جمع هذه اللغات المحلية حول العربية لغة القرآن الكريم ، فإذا كان تأثير تلك اللغات على العربية لم يتعدَّ بعض الظواهر الصوتية وجوانب من التركيب والبناء ؛ فإن العربية استطاعت أن تميت لغات بحالها

---

(١) عصام عبدالله علي ، الزغاوة اللغة والتاريخ ، مجلة التأصيل ، من محاضرة قدمت بمركز الداسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٩م ، ص١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) أ . د يوسف الخليفة أبوبكر ، من جريدة الصحافة السودانية ، العدد (٥٠٤٦) ، وهو من كتاب (لهجة جوبا العربية) ، ٢٠٠٧م .

من الفصيلة الحامية في دارفور، منها على سبيل المثال : لغات البرتي ،والبرقد ،والميما والقمر وغيرها ، بل استطاعت أن تميت لغة التنجور[١] وتلحقها بهذه المجموعات حيث صاروا إلي موقف مماثل لقبائل البرتيوالبرقدوالميما وسواهم ممن تم تعريبهم واستكمال حصرهم في العربية ، لتصير لسان رضاعة ولغة وحيدة للتخاطب [٢]، ولم تسلم لغة الزغاوة من حصار العربية لها ، فزغاوة الدور شمالي مدينة كتم تعلموا العربية ونسوا لغتهم [٣]، وغيرهم ممن هاجروا إلي وسط دارفور واختلطوا بالمجموعات الأخرى مثل زغاوة (تيتل) بالقرب من مليط وغيرهم . وسنقف على أثر العربية على اللغات المحلية في موضعه من الدراسة إن شاء الله .

---

(٣) التنجور كما سبقت الإشارة إليها تعاقبوا على حكم دارفور بعد الداجو ، ولكنهم استغلوا دخول بعض بني هلال فيهم استغلالاً أيدلوجياً ساق إلي انتحالهم الأصل العربي الهلالي الإسلامي الذي رأوا فيه سمواً = = وفخراً يرفعونه في وجوه قاهريهم من الكيرا وأتباعهم من الفور ... هجرات الهلالين من جزيرة العرب إلي شمال إفريقيا وبلاد السودان ، إبراهيم إسحق إبراهيم ، ص٢٥ .

(١) هجرات الهلالين من جزيرة العرب إلي شمال إفريقيا وبلاد السودان ، إبراهيم إسحق إبراهيم ، ص٢٥١.

(٢) انظر : نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٥٨ .

الفصل الثاني : أثر الإسلام والهجرات العربية في لهجات دارفور

المبحث الأول : التداخل اللغوي وأثره في لهجة دارفور

المبحث الثاني : أثر الإسلام في تهذيب اللهجة المتكلمة في دارفور

المبحث الثالث : دواعي الاختلاف في مستوى اللهجة المتكلمة في دارفور

المبحث الرابع : طبيعة اللغة المشتركة الناتجة عن الصراع اللغوي في الإقليم

الفصل الثاني

المبحث الأول : أثر الإسلام والهجرات العربية في لهجات دارفور :

أثر الإسلام في تهذيب اللهجة المتكلمة في دارفور :

قبل الحديث عن أثر الإسلام في تهذيب لهجة أهل دارفور، لا بد من الإشارة إلي أثر الإسلام على اللغة العربية بصورة عامة ، فهذه العربية التي نتكلّمها قد تأثرت بالقرآن الكريم ، فقد حفظها على مرَّ الزمان وزاد من ثروتها ، وعمل على انتشارها .

فلولا القرآن الكريم لما خرجت العربية من جزيرة العرب ، فهي لم تخرج وتنتشر إلاَّ بالفتوح الإسلامية ، وهو عامل مهم دفع بالعربية إلي خارج الجزيرة ، فتلّقفتها أجناس من الأمم من غير العرب . ويقول د . رمضان عبدالتواب : " ولولا أن شرفها الله عزَّ وجل فأنزل بها كتابه ، وقيّض له من خلقه من يتلوه صباح مساء ، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان ، لولا كل هذا لأمست العربية الفصحى لغة أثرية ، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ، ولسادت اللهجات العربية المختلفة ، وازدادت على مرَّ الزمان بعداً عن الأصل الذي انسلخت منه "[١] ، إذ ظلت لأكثر من عشرين قرناً يفهم آخر المتحدثين بها ما قاله أوائلهم ، وما كان ذلك ليكون إلاَّ بحفظ القرآن للعربية ، ويخبرنا التاريخ بلغات سادت ثم بادت مثل كل لغات العالم القديم ، وعلى رأسها معظم اللغات السامية القديمة [٢] .

لم يقتصر دور الإسلام وكتابه المنزل على نشر العربية وحفظها فقط ، بل حقق نوعاً من الاتصال بين الفصحى ولهجاتها من ناحية ، وبين اللهجات المختلفة بعضها ببعض من ناحية أخرى ، تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ : " كان هناك القرآن الكريم ، كتاب المسلمين جميعاً ، على اختلاف لهجاتهم وأقاليمهم ، وتفاوت بيئاتهم المادية والمعنوية ، يتلونه في صلواتهم ، ويسمعونه يتلى

---

(١) رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس ، مجلة مجمع اللغة العربية ، العدد ٣٣ ، ١٩٧٤م ، ص١١٣ .

(٢) إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية من تقديم البروفيسور عون الشريف قاسم للكتاب ، ص أ .

عليهم في المساجد والبيوت ، وفي الحواضر والثغور ، وفي نجوع البوادي وقرى الريف والجبال فيلتقون فيه على الفصحى في أنقى أصالتها وأعلى بيانها ، وما من أثر إقليمي استطاع أن يعطل نفوذ هذا الكتاب الجامع الموحَّد ، أو يحول دون اتصال لهجة محلية ، مهما تكن عزلتها بكتاب العربية الأكبر "[١] . بل كانت ترى أن أثر القرآن الكريم أعمق من هذا ، وأصبحت لغة مألوفة في كل البلاد التي امتد إليها الإسلام فقالت : " لا يقتصر الأمر في هذا الاتصال على الألفاظ الدينية التي دخلت في كل اللهجات الشعبية ، وإنما يمتد إلي إلف المتعربين للغة القرآن لطول ما يتلونه أو يتلى عليهم ، بحيث صار في استطاعة أي متعرب من العراق إلي المغرب أن يسمع اللغة الفصحى ، في المحافل والمنابر والمواسم الدينية فلا يحسُّ غربةً عنها أو جفوةً لها "[٢] .

يمثل مجيء الإسلام إلي دارفور حادثة من أبرز الحوادث التاريخية التي وقعت في منطقة السافنا المتاخمة للصحراء الكبرى ، وذلك لما نجم عنه من تحولات ثقافية وفكرية واجتماعية ، بل وسلالية ، كانت لها أبعاد عميقة ليس في دارفور فحسب ، بل وفي كثير من المناطق المجاورة لها ، ... أكسبته هوية وذاتية جديدتين ، وفتحت أمامه آفاقاً حضارية واسعة المناطق ، وهيأت له الاتصال المباشر بدين جديد ، ومجموعة لغوية جديدة ، وبأبجدية أحرف سمت به لأول مرة إلي مصاف الأمم المدوَّنة للكلمة المكتوبة [٣] .

فالروايات التي حملها المؤرخون تشير إلي اعتناق دارفور للإسلام في وقت مبكر ، قبل قيام مملكة الفور التي جاءت في فترة متأخرة بالنظر إلي الممالك [٤]

---

(١) عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ ، لغتنا والحياة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٦٩م ، ص٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨٩ .

(٣) إبراهيم موسى محمد ، المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية ، مجلة البحوث والدراسات ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد السابع ، ١٩٩٧م .

(٤) أشارت الروايات إلي أن الداجو هم أول من أسس دولة في إقليم دارفور ، ثم تلاهم التنجور ، ثم أسرة كيرا من الفور ، ومن هذا الاسم الأخير جاء اسم سلطنة دارفور ، مصطفى مسعد ، سلطنة دارفور ، تاريخها وبعض مظاهر حضارتها ، ص٢٢٣ .

)التي سبقتها في هذه المنطقة ، لكن التونسي يركِّز على فترة تولي السلطان سليمان سولونج عرش سلطنة دارفور سنة (١٦٤٠م) ؛ لما لهذه الفترة من أهمية ، حيث تزامن معها تدفق الهجرات العربية إلي دارفور ، يقول التونسي : " ومع أن الإسلام أخذ يشق طريقه إلي هذه البلاد حوالي القرن الثالث عشر الميلادي على الأقل ، حيث أخذت تنهال عليه الهجرات العربية من الشمال والشرق والغرب ، فإن الإسلام لم يصبح الدين الرسمي للبلاد إلا حين تولى السلطان سليمان سولونج عرش سلطنة دارفور سنة (١٦٤٠م) " [١] ، لذلك من الباحثين من قدم دور السلطة في دارفور وأهميته على الهجرات يقول أبوسليم : " إنه أي الإسلام قد دخل كدين وعقيدة وحضارة أرقى وأسمى ، وإنه لم يكن مسنوداً بهجرات عربية واسعة وإن التحول للإسلام كان عملية داخلية ، لأن البلاط السلطاني هو الذي اتخذ الإسلام ديناً ، ثم فرض طابع الإسلام على الدولة ، وعمل على نشره في البلاد [٢] . وكان الاهتمام بالدين الإسلامي ونشره مجالاً تسابق حوله سلاطين الفور على تعاقب فتراتهم ، وإن كانت الروايات تقدم دور السلطان أحمد بكر واهتمامه بأمر الدعوة ونشره ؛ فقد عمل على جعل دولته إسلامية فجذب إليها العلماء ، وعمل على بناء الخلاوي والمساجد وألزم الرعية على المداومة على أداء شعائر الإسلام ، وعمل كذلك على تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية . وأنه أول من أدخل الكتابة ، وعمل على نشرها وتعميمها في دارفور[٣] ، يقول نعوم شقير : " وليس أدل على احترام ملوك دارفور للإسلام من تطبيق لتعاليمه في محاكم الدولة ، وبنائهم لعشرات المساجد ، ومعاهد تدريس القرآن الكريم ، وكما يشهد بذلك عهد السلطان أحمد بكر بن موسى بن سليمان سولونج " [٤] ويقول في هذا قيصر موسى الزين : " شهدت دارفور تدفق

---

(١) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، التونسي ، ص٧ .

(٢) سلطنة الفور الإسلامية ، ص٣٥٨ .

(٣) تشحيذ الأذهان ، ص٧١ سلطنة الفور الإسلامية ، ص٧١ ، أنظر إلي : نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص١٣٤ – ١٣٩ .

(٤) انظر : نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص٤٧٢ وما بعدها .

العلماء المسلمين (الفُقرا) ، وشجع السلاطين ذلك مما ساهم في تشجيع الأسلمة والتعريب " [١].

فكان عهد السلطان أحمد بكر يمثل أخصب الفترات التي انتشر فيها الدين الإسلامي ، ودخل إلي دارفور عدد كبير من العلماء من شتى البقاع الإسلامية ، فوجدوا التقدير والاحترام من السلطة في دارفور، مما ساعد كثيراً في أداء رسالة الدعوة ، يقول التونسي عن السلطان أحمد بكر واهتمامه بالعلماء : " وإليه يرجع الفضل في تعميم الإسلام في بلاد دارفور ، واعتنى هذا السلطان ببناء المساجد واستقدم عدداً من المشايخ من مختلف البلاد ، ومنحهم أراضي ، وأعفاهم من الضرائب " [٢] ، وكان الفقيه يجد الاهتمام في مجتمع دارفور بصورة عامة يقول صاحب كاتب سلطنة دارفور الإسلامية : " لقد أعلى المجتمع الفوراوي من شأن العلماء وإكرامهم على سائر فئات المجتمع ، فالفقيه مقدم في الرأي والفتوى في القرية ، وهو إمام الناس ومعلمهم ... ويتولى السلطان والمجتمع مؤونته ومعاشه ، حيث إن السلطان يقطعه حاكورة الجاه ، وأهل القرية يعمرون له الحاكورة بالزراعة في نفاير متعددة طوال الموسم ، والمجتمع يعلِّي من شأن الفقهاء اجتماعياً بتسهيل الزواج لهم ... " [٣] . وكان (الفُقرا) ورجال الدين من العلماء على قدر كبير من المعرفة بأمور الدين والفقه ، إذ لا يقتصر دورهم على تحفيظ القرآن الكريم وحده بل يتعداه إلي العلوم المتعلقة به من فقه ولغة وغيرهما من العلوم التي كانت تختص بها الخلاوي في دارفور ، يقول إبراهيم موسى محمد ــ وهو يعدِّد بعض صنوف الكتب التي كانت تدرس في خلاوي دارفور ــ : " وكان (الفُقرا) يقومون بتدريس عدد من الكتب ، منها على سبيل المثال لا الحصر: موطأ الإمام مالك ، ومختصر خليل والأخضري ، والكتب الخاصة بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقاموس تاج العروس ، وبعض أشعار العرب ، وعلوم النحو مثل كتاب الأجرومية،

---

(١) قيصر موسى الزين ، فترة انتشار الإسلام والسلطنات (٦٤١ – ١٨٢١م) ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان الأهلية ، الحرم للمنتجات الورقية ، أم درمان ١٩٩٨م ، ص٩٤ .

(٢) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، هامش (١) ، ص٧١ .

(٣) الأمين محمود محمد عثمان ، سلطنة الفور الإسلامية ، ص٣٧٠ .

وألفية ابن مالك وتذكرة القرطبي ، وبعض كتب التصريف ، وكانوا يكتبون على هذه الكتب أنواعاً من الشروح والتعليقات إلي جانب المتن الأصلي "[١] . وكانت الخلاوى تدرس اللغة العربية ثم الحفظ والتجويد للقرآن الكريم ، ثم بعد ذلك يدرسون علوم الدين واللغة ، كل هذا يقف شاهداً على مدى اهتمام أهل دارفور بالقرآن ولغته [٢] ، وعند أهل دارفور عبارات سائدة في هذا الجانب مثل "الـــ ما حافظ ابن عاشر ما يدخل الفاشر " فكان الانتقال من القرية إلي المدينة يسبقه التسلح بحفظ القرآن وبعض كتب الفقه على المذهب المالكي .

لقد كان لانتشار الإسلام أثرٌ واضحٌ على مجتمع دارفور ، وقد ظهر هذا الأثر في صورٍ مختلفة منها :

أولاً : الانتساب إلي العرب : أحسبه من أهم الموضوعات التي ينبغي الوقوف عندها ، إذ يدلك وبصورة قاطعة على مدى حركة التعريب والاستعراب التي سادت مجتمع دارفور ، يقول إبراهيم على طرخان : " وساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها ، فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها ، أن كثيراً من الشعوب الإفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادَّعت الأصول الشرقية ، وإذا كان هذا الادعاء لم يظهر ولم يعرف إلاَّ بعد انتشار الإسلام واللغة العربية في تلك البلاد ، فهذا دليل على حرص هذه الشعوب على التمسك بكل ما هو شرقي عربي ، لأن الإسلام جاء من الشرق ، وعلى أيدي العرب ، كما يدل في الوقت نفسه على مدى الترحيب والرضي والقبول الذي ظفر به الإسلام ولغته [٣] . وكانت عملية الأسلمة لهذا المجتمع قد صاحبها الامتزاج والمصاهرة مما نتج عنها تحوّل شعب دارفور إلي شعب عربي مسلم ، وهذا يرجع في الأساس إلي تعمق الإسلام في نفوسهم ، وقد أشار إلي هذا ركس أُوفاهي وهو يتحدث عن ادعاء أغلب

---

(١) إبراهيم موسى محمد ، المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية ، ص٧٣ .

(٢) جلست يوماً إلي الشيخ أحمد عبدالله آمين (رحمه الله) من حفظة القرآن ، وكان إماماً لأحد المساجد في مدينة الفاشر ، وهو يعدد لي الحفظة من أسرته ، فعندما جاء دور الشيخ (عرفة) أحد أجداده ومن خريجي الأزهر الشريف ، قال : " كان مع حفظه للقرآن يحفظ ألفية بن مالك عن ظهر قلب " .

(٣) إبراهيم علي طرخان ، الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٩٦٩م ، ص٣١ .

(الفُقرا)ورجال الدين في دارفور الأصول العربية ، يقول : " يجب أن يبدأ أي تقييم لتأثير الإسلام على دولة دارفور وشعوبها بالفقراء ورجال الدين ، تدعي تقريباً كل عشائر الفقراء الرئيسية في دارفور سلسلة نسب أجنبية ، وهم يردَّون أصلهم إلي مهاجر مما وراء حدود السلطنة ... "[١] .

ثانياً : موات بعض اللغات المحلية أو نسيانها : كذلك من الآثار الواضحة للإسلام والهجرات العربية أن كثيراً من قبائل دارفور الأصلية التي تتحدث لغات محلية مختلفة ، قد نسيت لغاتها ، واكتسبت اللسان العربي ، لحاجتهم إلي تعلم الأبجدية العربية ، والخط العربي للتمكن من قراءة القرآن الكريم ولمعرفة المسائل الفقهية والدينية ، فقد كانت الخلاوي تدرس الأبجدية العربية أولاً قبل الحفظ والتجويد ، كما سبقت الإشارة إليه ، ووضعت في الاعتبار الفترة التي يقضيها المهاجر في هذه الخلاوى ، لذلك يقول أوفاهي : " إن الدين الإسلامي يمثل سبباً رئيساً في موات كثير من اللغات المحلية (برقد – برتي – ميما ... وغيرهم) واستبدالها باللغة العربية "[٢] ، فأصبحت العربية مألوفة بين سكان دارفور، لا يحس المتكلم بها غربةً، وقد أشار إلي ذلك خليل عساكر في تصديره لكتاب التونسي حين قال : " ومما يسر للتونسي التعرف على نواحي الحياة في البلاد ، سهولة التخاطب مع كافة الطبقات باللغة العربية التي لا يجهلها سوى القليل من أهل دارفوار " [٣] فالعربية في دارفور لم تكن لغة مقدسة ، أو لغة القرآن الكريم فقط ، وذات استعمالات قليلة في حياة الناس، وإنما كانت لغة معظم الناس ولا تزال كذلك[٤] .

---

(١) أ . د . ركس أوفاهي ، الدولة والمجتمع في دارفور ، ترجمة عبدالحفيظ سليمان عمر ، ط١ ، هيلوبولس ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٤٢ .

(٣) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، ص١٠ .

(٤) إذا كان من استثناء فقد سبقت الإشارة إليه في الظروف البيئية التي حرمت بعض ساكني الجبال والمناطق الوعرة في دارفور التي لم يستطع العرب الوصول إليها ، وأولئك هم من عناهم التونسي حين قال عنهم : إنهم لا يعرفون من العربية إلا كلمتي الشهادة ، وينطقونها متقطعتين ثم قال: " غير أن هؤلاء الذين لا يعرفون العربية من أهل هذا الجبل عددهم قليل ، في حين كانت غالبية أهل الجبل تتكلم العربية بجانب الفوراية " التونسي ، تشحيذ الأذهان ، ص١٩٣ ، والاستثناء ما يزال قائماً، فقد أصبحت حركة النزوح الأخيرة عند فور (جبل سي) الذي يمتد إلي الشمال الغربي من جبل مرة ، فقد نزحوا إلي مدينة الفاشر ،

ثالثاً : أسماء الأعلام : فالإسلام الذي قبله أهل دارفور طواعية دون إكراه ، هداهم إلي استبدال أسمائهم بأسماء عربية مستقاةمن القرآن الكريم يقول التونسي: وهكذا تعربت دارفور وأصبحت إقليماً عربياً مثل غيره من أقاليم السودان ، فأصبح لسان الناس عربياً ، وأسماؤهم أسماء عربية ، حتى الفور الأعاجم الذين لم تنتشر العربية بينهم انتشارها بين القبائل الأخرى كانت أسماء ملوكهم ، وأسماء ملوك جبال مرة ، وأسماء حكام قراها [١] ، ونواحيها عربية " [٢] .

فالأثر الإسلامي يبدو أكثر وضوحاً إذا قورنت الأسماء العربية المكتسبة بالأسماء المحلية التي يبدو أنها كانت سائدة ، فقد أشار إلي بعضها إبراهيم موسى حمد في سياق حديثه عن سيادة الأسماء العربية في تلك المنطقة فقال : " ... وإلي جانب ذلك فقد سادت في المنطقة الأسماء الإسلامية العربية ، وذلك بداية من عهد السلطان سليمان سولونق الذي يمثل اسمه رمزاً للتلاقح بين الإسلام والأسماء المحلية ، ... ومنذ تلك الفترة استعربت الأسماء في دارفور تماماً ، واختفت كثير من الأسماء المحلية مثل دالي [٣] ، وشاو دورشيد[٤] ، ونامدويل[٥] وأن معظم الأسماء في دارفور ظلت منذ دخول الإسلام وحتى يومنا هذا شديدة الارتباط بالأسماء المذكورة في القرآن الكريم [٦] .

وفيهم من كبار السن من لا يعرف العربية ، ولا يفهمها إلاَّ بترجمان ، وهذا يؤكد من ناحية أخرى الأثر الذي تتركه ظروف البيئة على اكتساب اللغات والتأثر بها .

(١) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان ، ص٣٢٩ .

(٢) فشيخ الجبل كان يسمى أبابكر ، ورئيس طائفة من طوائف التموركة، وهي إحدى قبائل الفور الأعاجم الثلاث كان يسمى على كرتب ، وكان ابنه الذي صادقه التونسي يسمى عبدالله كرتب وهكذا ، التونسي ، تشحيذ الأذهان ، ص٣٢٩ .

(٣) هو بلغة الفور (اللسان) أو الناطق ، والقانون العرفي الذي حكم به سلاطين الفور الأوائل عرف بقانون دالي .

(٤) اسم أحد ملوك التنجور المشهورين الذي حكم دارفور من منطقة عين فرح غرب مدينة كتم ، وآثار قصوره ما تزال على قمة جبل فرح .

(٥) هو جد البرتي المعروفين (ببرتي تقابو) الذين يسكنون حول جبل تقابو، وقد نشأت حوله أساطير تحدثت عن أنه تميز بضخامة الجسم وبطول القامة .

(١) الأصل في تسمية المولود في دارفور يتم بالرجوع إلي القرآن الكريم ، ويتولي أمر التسمية الفكي ، انظر : إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٤٠ – ٢٤٢. ويراعى في ذلك اليوم

وظاهرة انتشار الأسماء العربية لم تتوقف عند أسماء الناس وحدها بل تعَّدتها إلي أسماء الشهور، فتعربت هي الأخرى ، يقول رجب عبدالحليم : " ذلك أن الأسماء العربية لم تخلع على الناس فقط ، ولكنها خلعت أيضاً على أسماء الشهور ، ولذلك فإنهم لا يعرفون الشهور الإفرنيجة والقطبية والأعجمية ، وأهل العلم منهم يسمون الشهور كما سمتها العرب قديماً بالأسماء المشهورة الآن كالمحرم وصفر وربيع ، إلي غير ذلك من الشهور ، أما عوام الناس فإنهم يسمون الشهور العربية بأسماء أخرى تحمل معنى عربياً ، فيبدأون حساب السنة بشهر شوال ويسمونه بالفطر ، كما يسمون شهر ذي القعدة فطرين ، وشهر ذي الحجة بالضحية ، ومحرماً بالضحيتين ... وهكذا "(١) .

فهذه جوانب في مجملها انعكست على اللهجة المتكلمة في دارفور ، فهي إلي جانب اشتراكها في بعض جوانبها مع باقي أقاليم السودان (٢) ؛ فإنها تحتفظ بملامح خاصة بها لا تكاد توجد في غيرها من عاميات السودان الأخرى ، فألفاظ التحية ، والأدعية ، والتعاويذ ، ولغة مباركة العيدين ، وغيرها من جوانب اللغة الاجتماعية مع أنها عربية ، ففي دارفور لها طابع مختلف ، يقول إبراهيم آدم اسحق : " وإلي

الذي وافق ولادة الولد ، ولهم في ذلك أصول يصعب تجاوزها ، فمن ولد في يوم الجمعة من البنين سمى آدم ، ومن البنات سميت حواء ، أما يومالإثنين ، فمن البنين يسمى محمد، أما من البنات فخديجة أو فاطمة ، وفي يوم الأربعاء إبراهيم وهكذا ، أما إذا وافق يوم ولادة المولود اسم الوالد أو الوالدة فإنهم يحرفون الاسم قليلاً فبدلاً من آدم يسمى آدمو أو أدومة ، أو الدومة ، أو أبوالبشر ، واسم حواء يمكن أن تحرف إلي حوايه وحوايو وهكذا في خديجة وخدوج وخديجاي وفي إبراهيم إبراهومه وبرهوم وهكذا ، لذلك بإمكان المرء في السابق أن ينادي آدم أو أبكر أو إبراهيم أو محمد أو اسحق فيوافق اسم الشخص المقصود بالتخمين ، وإن كان هذا الأمر قد اختفى في العقدين أو الثلاثة الماضية ، وحل محل هذه الأسماء أسماء عربية حديثة ومع ذلك فإنها ما تزال من أكثر مناطق السودان تمسكاً بهذه الأسماء المستوحاه من القرآن الكريم ، فهم لا يفرقون في ذلك بين أسماء الأنبياء والرسل طالما وردت جميعها في القرآن الكريم، انظر : إبراهيم موسى محمد ، المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية ، ص٧٥ .

(١) رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، ص١٩٧ .

(٢) يقول محمد بن عمر التونسي : " وهذه العربية التي يتكلمها أهل دارفور والسودانيون عامة يتكلمونها بلهجة حسنة تختلف قليلاً عن لهجتي مصر والشام ، .... " محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان ، ص : ٣٢٠ .

جانب اسماء الناس [١] ، وأسماء القرى والمدن ، والجبال[٢] ، والوهاد ونحوها، فان هناك لغة اجتماعية أخرى تكاد تنفرد بها دارفور عن أجزاء السودان الأخرى هي لغة المناسبات العامة ، من أفراح وأتراح ، ونحوهما ، كألفاظ التحية لمن قدم من السفر بخاصة ، ولغة مباركة العيدين ، ولغة (المؤاجرة) أي العزاء في الميت ، ولغة مباركة الزواج لمن تزوج ... ولغة المهاجرين أي (صبية الخلاوى) حين يطوفون القرى والأحياء يطلبون الطعام من أهلها ، ولغة الألعاب الشعبية ، وألعاب الصبية في القرى ونحوها [٣] . فهي تؤدى بلغة عربية مبسطة ، تحمل معاني عميقة مثلاً (جيداً جيت) ، لمن قدم من السفر . وفي أغلب الأحيان الرد كذلك بلغة متعارف عليها وثابتة تقريباً ، فجيداً جيتوا أو جيت يقال فيها جيِّد حالك ، مثلاً أو جوِّد حالك وفي العزاء للميت : " الله يغفر ليهووينطي دار أخير من دار الدنيا " أو في موت طفل صغير : " طفيلة المولى " أو : " طويرة الجنة الله يجعلو سلف ... أو شافع طير الجنان يشفع لوالدينه" فهذه ملامح تضيء بعضاً من جوانب اللهجة المتكلمة في دارفور والتي سنعرض لها من خلال الدراسة (إن شاء الله) .

---

(١) سبقت الإشارة إلي الأسماء الإسلامية في دارفور ولكن هناك معانٍ مستقاة من القرآن لبعض الألقاب الإسلامية مثل إبراهيم الخليل ، حليمة سعدية ، وخديجة كبرى وفاطمة زهرة ، ومحمد المصطفى والمختار وغيرها من الأسماء التي حملت على الألقاب الإسلامية التي تعلقت بها ، ولكن لا تجد لفظ (سمى) هذا إلاَّ عند أهل دارفور ؛ فكل مولود وافق اسمه اسم جده سمى (سمي جدو) وينادون مثلاً (بـــ سمى) إذا وافق اسمك اسمه آخذاً من قوله تعالى : " هل تعلم له سمياً " سورة مريم (٦٥) .

(٢) يستوقفني كثيراً منطقة (طور) جبل صغير في مدخل جبل مرة من الناحية الجنوبية الشرقية ، تحمل تماماً معنى (طور) الذي ورد في القرآن الكريم ، حيث الجبل عبارة عن تل صغير تتشابك فيه الأشجار تقف شاهدة أن بعض هذه الأسماء مستوحاة من القرآن .

(٣) إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣٣٩ .

المبحث الثاني : التداخل اللغوي وأثره في لهجة دارفور :

التداخل اللغوي تفاعل وتطور في اللغة باكتسابها أصواتاً جديدة ، وطرائق في التصريف مغايرة ، وغيرها من الجوانب التي تضيف إلي رصيد اللغة كل جديد، وبالتداخل وما ينتج عنه من تأثير وتأثر تسير اللغات في ركب التطور [١] وله أهمية في حياة اللغة يقولرمضان عبدالتواب : " أصبح من المسلَّم به عند اللغويين أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية ، يؤدي إلي تداخلها إنْ قليلاً وإنْ كثيراً ، ويكادون يقطعون أن التطور الدائم للغة من اللغات ، وهي في معزل عن كل احتكاك وتأثر خارجي ، يعدُّ أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق ، ذلك لأن الأثر البالغ الذي يقع على إحدى اللغات من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً مهماً في التطور اللغوي ، ويترتب عليه نتائج بعيدة المدى لدرجة أن بعض العلماء يذهبون إلي القول بأنه لا توجد لغة متطورة لم تختلط بغيرها " [٢] . ومنهم من ذهب إلي جعل الاقتراض ، والتبادل والتأثير والتأثُر قانوناً اجتماعياً وإنسانياً مضطرداً ، أساسه أن أي احتكاك بين لغة وأخرى يؤدي إلي تأثير وتأثر بينهما ، يقول علي عبدالواحد وافي : " وهذا الاحتكاك أمرٌ حتمي ، لا يمكن للغة حية نامية أن تتحاشاه ، فتظل منعزلة عن سائر اللغات ، ولكن يمكن لهذه اللغة أن تكثر من هذا التأثر فتسير في أخذ الألفاظ عن غيرها شوطاً بعيداً ، أو تقلل من اندفاعها في هذا السبيل فيقل أخذها عن غيرها " [٣] .

ولهذا القانون خضعت اللغات في مبدأ نشأتها ، واختلطت مع غيرها فأثرت وتأثرت، وفي حال اللغة العربية في أوطان العروبة تحدث عون الشريف قاسم عن الاختلاط بين المجموعات الطارئة – يقصد المهاجرين العرب – وسكان البلاد الأصليين ، وما نتج عن ذلك من احتكاك وتأثر ، يقول : " وكل ذلك أدى إلي أوضاع لغوية جديدة ، جاءت نتيجة الصدام والاختلاط والتفاعل بين المجموعات البشرية التي

---

(١) إنَّ استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (تطور) لا يعني تقييم هذا التطور ، والحكم عليه بالحسن أو بالقبح، فهو لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة (التغيُّر) ، انظر : رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص ٥، وبالمعنى نفسه يكثر وروده في موضوع الدراسة ، ص ٢.

(٢) رمضان عبدالتواب ، المدخل إلي علم اللغة ، ص١٧١ .

(٣) علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٢٣ .

ازدحمت في هذه الساحات ، وبمرور الزمان وتقلب الأحوال ، برز إلي الوجود ما هو معهود لدينا من اللهجات العربية المنتشرة الآن في أوطان العروبة " [١] .ويرى عابدين أن اللهجات الحديثة في السودان قد تشكَّلت من خلال هذا التفاعل والاختلاط يقول : "التداخل بين اللهجات عملية مستمرة ، في مراحل التطور اللغوي ، وهو مرتبط أشد ارتباط بما كان يحدث من تداخل بين الجماعات الطارئة والمستوطنة ... وعلى هذه الطريقة تشكلت اللهجات العربية الحديثة في السودان ، فكل لهجة منها مزيج من عناصر شتى ، ترجع إلي عديد من اللهجات التي حملها العرب معهم إلي مهاجرهم في السودان ، والمؤثرات المحلية التي صادفتها ، ولا سبيل إلي الزعم بأن هناك لهجة معينة من لهجات السودان تطابق في جميع ظواهرها اللغوية لهجة أخرى قديمة أو حديثة "[٢]، فالناظر للهجة دارفور العامية يكتشف وضعاً قريباً مما كان عليه الحال في أوطان العروبة الأخرى ، مع فارق في ظروف البيئة ، واللغات المحلية التي اختلطت بها العربية في هذه المواطن ، فلما كثرت دواعي الاتصال والاحتكاك بين المجموعات العربية بعضها مع بعض من جهة ، باللغات المحلية التي نزلت بها من جهة أخرى ، وتبادل شعوبها كنتيجة لذلك عاداتها الاجتماعية ونظمها القبلية ، وطرائقها في النطق والتعبير ، أسهمت بالتالي في غنى هذه العامية وأكسبتها ملامح خاصة لا تكاد توجد في غيرها من عاميات السودان المتكلمة اليوم، وكل هذا بسبب التداخل والاحتكاك ، فالقبائل العربية التي وصلت إلي دارفور جاءت من مشارب مختلفة ، وبطون عدة – كما سبقت الإشارة إليها – واختلطت كذلك بمجموعات محلية لغاتها من فصائل مختلفة حامية وبربرية وغيرهما ، فاكتسبت من خلالها أصواتاً جديدة لم تكن الأبجدية العربية تعرفها ، فالمقطع الصوتي (نجا) الذي نجده في أغلب لغات السودان المحلية قد استخدمته عامية دارفور في كلمات عربية فصيحة مثل (دُنيا) ، فهذه العامية لا تعرف إلاَّ (دِنجا) ، وأحسب أنهم من الناحية الصوتية لما كسروا حرف الدال راموا إخفاء النون الساكن في الياء ، فكان

---

(١) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية في السودان مجلة الدراسات اللغوية ، العدد ١٢ – ١٣ ، مطبعة التمدن المحددودة ، الخرطوم ، ص ٦٨ .

(٢) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٦ .

هذا الصوت ، لكنهم حين يرتفعون إلي اللغة الجادة [١]، ينطقونها صحيحة وغيرها من الأصوات اندرجت في تلك العامية بتأثير العجمة كما سيأتي في الدراسة الصوتية إن شاء الله .

فالعربية في دارفور أتيحت لها فرص كثيرة للاحتكاك مع غيرها من اللغات المحلية ، فاستطاعت لقوتها ونفوذها الديني أن تميت لغات قديمة عرفت بمسمياتها – سبقت الإشارة إليها – لم تتوافر لها شروط الغلبة ، وبالتالي البقاء فاندثرت وتحدث أهلها العربية مثل لغة البرتي[٢]، والتنجور،والميما، وغيرهم ، وأصبحت العامية الدارجة لغة المعاملة والاتصال والشعائر الدينية للمجموعات الأخرى مثل الفور ، والزغاوة ، والميدوب وغيرهم ، وهؤلاء كذلك منهم من تعرب ونسى أصل لغته [٣] وقد ركز (فاينرايشVeinerich) الاختصاص في قضية الاتصال بين اللغات على عنصر الجاذبية والقوة اللغويتين حين قال :" يتم الاتصال بين لغتين أو أكثر إذا تكلمها أو تكلمهما بالتناوب أشخاص معينون في زمان ما ، وبمكان ما ، وهذا الاتصال يؤدي إلي التداخل والاقتراض ، ولا بد من وجود عنصر الجاذبية والقوة للغتين " [٤]، وأحسبهما كانتا حاضرتين في حال العربية مع اللغات المحلية في الإقليم ، فأصبحت العربية في صورتها الدارجة لغة التواصل بينهم جميعاً ، بها تؤدى الشعائر الدينية ، وكل الألفاظ المتعلقة بالعبادة مستقاه منها ، وألفاظ عربية أخرى كثيرة تشترك هذه اللغات في استخدامها ، فكلمة (تعبان) مثلاً في لغة الفور (تعبان) وكذلك في لغة الزغاوة ، وبهذا المعنى تستخدمها القبائل الزنجية في الجنوب، والمجموعات العربية هي الأخرى تأثرت ، فدخلت لغتها أصوات جديدة ،

---

(١) تستخدم صحيحة في لغة التعزية (المؤاجرة) مثلاً يقولون : " الله ينطي دار أخير من دار الدنيا ، أي يعطيه داراً خيراً له من هذه الدار ، أو يقولون دا حال الدنيا ، أو الدنيا دا حالو ، وكذلك في لغة الأغاني الشعبية ، تقول إحدى الفتيات وقد أجبرت على الزواج من رجلٍ لا تحبه (دنيا مالو بهيننني * طايرهجايهبشيليني) ، وكأنها تنتظر الخروج إلي عالم آخر يتبدل فيه الحال إلي أحسن .

(٢) كانت تتحدث بلغة محلية تشبه في كثير من مفرداتها لغة الزغاوة ، غير أنها بدأت تختفي ببطء حتى انقرضت اليوم تماماً ... إبراهيم موسى محمد ، المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور ، ص٧٥ .

(٣) مثل زغاوة (تيتل) بالقرب من مليط الحالية بشمال دارفور ، فلم يبق لهم إلاَّ النسب إلي القبيلة .

(٤) رمضان عبدالتواب ، المدخل إلي علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط٢ ، ص١٢٥ .

وصرفت بعض كلماتها على طريقة تلك اللغات المحلية ، فالمقطع الفوراوي (نقا) (Nga) استخدم في النسب ، وفي الجمع وفي بعض العادات المحلية وغيرها ، ففي النسب إلي القبيلة نجد مثلاً ، كايتنقا، ودادنقاوبنسقا[١]، وفي الجمع سولنقا يعني عرب ، وجبنقا العادة المعروفة ، حيث تؤخذ البنت من أهلها وتزوج عن طريق القاضي ، وهكذا استخدم هذا المقطع ، فالتأثير متبادل خاصة بين العربية ولغة الفور التي استطاعت الحفاظ على كيانها ، لما توافر لها من نفوذ سياسي قوي لأنها صاحبة الأرض والسلطة ، وثقافتها الضاربة في أعماق التاريخ على قدر كبير من التقدير بين سكان المنطقة ، فالكثير من أصواتها وطريقتها في التصريف وجدت طريقها إلي عامية دارفور المتكلمة ، فكلمة (بَلْدَا) [٢] تعني في لغة الفور السارية أو العمود الذي يكون في وسط القطية ، أو التكل[٣] نجدها بهذا المعنى في لغة الزغاوةوالبرتي ، وغيرهما من المجموعات التي استوطنت وسط الإقليم ، وهكذا انطبعت معالم التفاعل والتبادل اللغوي بين هذه اللغات المحلية واللغة العربية فرفدت كلٌّ منها الآخرى ، يقول عون الشريف قاسم : " وأهم مظاهره في شكل كلمات وتعابير دالة على امتزاج العناصر ، وتلاقح الثقافات وتعدد المصادر اللغوية التي استمدت منها كيانها ، ودراسة اللغة من هذا المنظور كفيلة بتوضيح معظم التيارات الحضارية والثقافية التي تعرضت لها البلاد ، لأن كل تيار يترك أثره في شكل كلمات " [٤] .

---

(١) إحدى بطون قبيلة الزغاوة ، وأكثرها اختلاطاً بالتنجور والفور ، تسمى الكثير منهم كذلك لغته الأصلية ، دادنقا ، وهم جماعة من أمناء البيت السلطاني المالك ، وكانت تمثل رأس الرمح في نظام الإدارة الأهلية في دارفور ، وما يزال الملك رحمة الله محمود يمثل رمزاً لهذه القبيلة وعمدة لمدينة الفاشر في النظام الأهلي ، بتصرف من إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨١ أما (بسنقا) فهي إحدى بطون قبيلة البرتي وتساهم في القوة العسكرية للسلطان .

(٢) آدم محمد عبدالله (آدم تاجر) الزغاوة تراث وأعراق ، ص٥٤ .

(٣) التكل يستخدم في عامية السودان للمطبخ ، وهي قطية صغيرة في حجمها نسبياً عن القطية المعروفة ، وتكون دائماً في زاوية بطرف المنزل ، وهي عند عون الشريف قاسم المطبخ ، وسمي كذلك لأنه يكون عادةً متكولاً أو مسنوداً إلى البيت ، أو ربما لأنها تمثل عماد البيت ، ويقال في المثل (قاعد زي خادم التكل) لمن مال في جلسته . انظر : قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص١٥٨ .

(٤) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية في السودان ، العدد ١٢ – ١٣ ، ج١، ٢ ، ص٣٩ .

فالعامية في دارفور نتاج لتفاعل وتأثير متبادل بين تيارات لغوية متنوعة ، ولكن لما كانت فرص احتكاك العربية بلغة الفور أوسع من فرص رصيفاتها في المنطقة ؛ فإننا نجد بسبب هذا التأثير كثيراً من الكلم الفوراويةالصليبة ما تزال تجري على ألسنة الناس في الخطاب الدارج ، وتمثل ذلك في شكل كلمات وأسماء أعلام ومناطق منتهية بالمقطع الفوراوي (O) مثل كو ، وكونا ، وكوكو ، وكلها بمعنى فلنذهب وفي أسماء الأعلام مثل أبوه [١] ، وغيرها من الأسماء المنتهية باللاحقة(O) ومناطق مثل (دالي دِكو) [٢] قرية كبيرة بجبل مرة أو (تركُّو) منطقة شمال شرق الفاشر ، ونجد أحياناً الكلمة من جزأين الأول عربي والثاني فوراوي أو الاسم وصفته مثل (عبدالله دكو) أي أسود ، وقلم فتا ، ونور فتا) [٣] وغيرها من الآثار التي بقيت تحكي قوة التماذج والتداخل بين العربية واللغات المحلية في الإقليم.

---

(١) إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٦٧ – ٦٨ بتصرف .

(٢) دالي في لغة الفور بمعنى اللسان ، وبه يسمى القانون الذي حكم به سلاطين الفور (بقانون دالي) ويعني عندهم الحكم القاطع الذي لا استئناف بعده ، وغالباً للفصل في القضايا التي عجزت المحاكم الأهلية الموزعة في أنحاء السلطنة حلها ، (دالي دكو) القرية سميت هكذا ... .

(٣) قلم فتا ، فتا في الألوان عند الفور للأبيض ، وقلم فتا عند شيوخ الخلاوي مصطلح يطلق لمن أجيزت له شهادة الحفظ دون تسويد صفحة اللوح بالحبر الأسود أو الدواية ، فيقولون قلم فتا لأعلى درجات الحفظ عندهم . أما نور فتا فنور اسم لأحد رجال البر والإحسان في منطقة فتابرنو غربي كتم أسهم في تشييد الكثير من المدارس فسمي ب(نور فتا) .

المبحث الثالث : دواعي الاختلاف في مستوى اللهجة المتكلمة في دارفور :

يصعب وضع حدود فاصلة يتم بموجبها تحديد مستويات اللهجة المتكلمة في دارفور ، لكن إذا أُخذ في الاعتبار شمال دارفور (منطقة الدراسة) نموذجاً ، واستثنى الرعاة الذين هم على أطراف الإقليم ، وهؤلاء نمط حياتهم غير المستقر فرض عليهم الاحتفاظ بسليقتهم العربية التي جاءوا بها إلي حد كبير ، وكذلك تم استثناء المجموعات التي ترتطن لغات محلية من (زغاوة، وفور،وميدوب) والذين آثروا العيش في أطراف الإقليم ، وأعالي الجبال الكائنة فيها ، إذا استثنى هؤلاء وأولئك ، فإن باقي سكان شمال دارفور قد تميزوا بسمات لهجية طبعتهم جميعاً ، اشتركت فيها أغلب المجموعات التي سكنت منطقة الوسط واختلطت بغيرها مع اختلافات نسبية ضعيفة أملتها ظروف البيئة والحياة الاجتماعية والثقافية ، فالمجموعات التي سكنت وسط دارفور تحدثت بلهجة تكاد تكون موحدة رغم اختلاف القبائل من داجو وتنجور وفور وبرتي ومجموعات عربية استقرت قديماً ما تزال تحتفظ إلي اليوم بأسمائها المعهودة لدى سكان الإقليم .

وقد أشار إبراهيم آدم اسحق إلي مستويات هذه اللهجة ، فخصَّ الأعراب من أهل البادية بالسليقة العربية التي تمتاز بكثير من الضبط اللغوي ، وأولئك الأعراب الذين سئموا حياة الرعي فاستقروا في القرى وتأثروا بالسكان من أهل البلاد الأصليين ، ثم لغة حواضر دارفور الكبيرة والتي يرى الدكتور أن لغتها التي تستخدمها لا تختلف كثيراً عن حواضر السودان الأخرى ، أما المجموعة الأخيرة فتمثلها القبائل الحامية (فور وزغاوةوميدوب وغيرهم) التي تعد العربية اللغة الثانية بالنسبة لها ، وهي لغة تواصل مع الآخرين [١] ولغة الشعائر الدينية ، لكن إذا سلمنا بمستويات اللهجة المتكلمة في المجموعات الأخرى فإن لغة حواضر دارفور – فيما أحسب – لا تخرج عن العامية المشتركة لأهل دارفور ، صحيح أن للمدينة وضعها الخاص لاحتكاك أهلها بمراكز التعليم والثقافة لكنهم مع ذلك يفهمون هذه العامية وينزلون إليها أحياناً ، ذلك لأن الناظر إلي حواضر دارفور وخاصة مدينة

---

(١) انظر: إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٢ ، ٢٤ .

الفاشر التي كانت تمثل حاضرة إقليم دارفور الكبرى ، فإنها باستثناء الأحياء القديمة التي في قلب المدينة هي عبارة عن قرى كبيرة تجمّعت ، فهي في الغالب حكر لمجموعات هاجرت من بيئاتها في الريف ، واستقرت في المدينة ، وهؤلاء وان تغيرت لغاتهم بفعل التعليم ، فإنهم على صلة وثيقة بعامية القرى التي هجروها ، فمن أحياء المدينة من الناحية الشمالية حي النصر مثلاً ، يتكون من قرى حلة شيخ ، وجليدات وغبيشات ، وطره وقبر الغنم ، وكلها قرى تقع إلى الشمال من مدينة الفاشر وهؤلاء ما يزالون يتحدثون العامية في مستواها الدارج ، متأثرين بالبرتي فيقولون (محمد بِي أحمد ، أو آدم بِي فاطِمة) يريدون (مع) ويستخدمون (وَا) للنفي والاستفسار يقولون (وا لقيتِي ، وا عندي) في هل لقيته وما عندي . وإلي الجنوب من حي النصر يقع حي الزيادية ويقتصر تقريباً على قبيلة الزيادية ، وهؤلاء يتحدثون عربية البادية التي هجروها شمالي مدينة مليط ، ولغتهم على قدر وافر من سمات العربية الفصيحة من تذكير وتأنيث وتحقيق للحروف وبخاصة أحرف الحلق، وبعض أحرف الإطباق التي يصعب تحقيقها لغير العرب ، وغير ذلك من أحياء مدينة الفاشر مثل حي الوحدة في جنوب المدينة ، ويقتصر تقريباً على قبيلة الزغاوة فتسمع العامية العربية (مشوبة بالعجمة) ، بجانب اللغة المحلية للقبيلة ، وهكذا ، في مدن مليط ، وكتم ، وغيرهما ، وهذه المناطق جميعها تحسب من وسط الإقليم تتحدث العامية الدارفورية وتفهمها بمجرد سماعها .

أما دواعي الاختلاف في مستوى اللهجة المتكلمة في الإقليم ، فإنها ترجع في الأساس لعاملين هما : الموقع الجغرافي للمتكلمين بها ، ونسبة اختلاطهم بالمجموعات العربية ، وكذلك إلي اختلاف لهجات القبائل العربية التي هاجرت واستقرت في مناطق متفرقة من دارفور .

فالعامل الأول يعتمد على مدى التأثير والتأثر بين سكان المنطقة المحليين ، ونسبة اختلاطهم بالمجموعات العربية ، فإذا أُجريت مقارنة في منطقة الدراسة – على سبيل المثال – بين عامية المنطقة الشرقية (أم كدادة) ،واللعيت جار النبي والطويشة ، وغيرها حيث اختلط البرتي (سكان المنطقة) مع المجموعات العربية التي تحيط بها من كل جانب من قبائل البزعةوالزيادية وبني فضل ، وقبائل الحمر

وغيرهم فضلاً عن مجاورتهم لإقليم كردفان حيث القبائل العربية فيها مستقرة وتمثل الكثرة الغالبة (الحمر ، البزعة ، الجوامعة) ، هذه المنطقة إذا أجريت مقارنة بين مستوى عاميتها ومناطق غرب الفاشر (طويلة ، كورما) ، أو مناطق شمال غرب الفاشر : كتم ، و كفوت ، حيث الكثرة في المنطقة الأولى للفور، أو للبرتيوالتنجور في الثانية ، فإن هذه البيئات رغم أنها تتحدث العامية العربية في مستواها الدارج إلا أنها تختلف بحسب المجموعة السكانية التي تشتمل عليها المنطقة المعنية ومدى اختلاطها بالمجموعات العربية ، لذلك في نموذج أم كدادة يقول الدكتور إبراهيم آدم اسحق : " ومما يلاحظ في هذا الباب أن المناطق الواقعة نحو الشرق من وسط دارفور ، وبخاصة تلك التي تجاور ولاية كردفان (أم كدادة ، جبل الحلة ، الطويشة) وما جاورها ، يختلف طابع لهجتها عن لهجة مناطق وسط دارفور ، إذ إنها في عمومها أقرب إلي طابع لهجات كردفان ، وذلك فيما يبدو بسبب مجاورة هذه المناطق لقبائل الحمر المستقرة ، ... بالإضافة إلي ذلك كله ، فإنَّ عدداً كبيراً من البطون والعشائر العربية انصهرت في هذه المناطق في كيان البرتي ، سكان هذه المناطق ، فأصبحت لهجتهم مغايرة [١] في أصواتها وفي تراكيبها وأبنيتها للهجة وسط دارفور المتأثرة باللغات المحلية ... [٢] لذلك فالمنطقة الشرقية لدارفور رغم معرفتها لهذه العامية التي تمثلها وسط دارفور ، فإنها تمثل بيئة لهجية ارتفعت في مستوى لهجتها المتكلمة عن بعض مناطق الوسط ، ساعدها في ذلك الموقع الجغرافي وإحاطتها بالمجموعات العربية التي انصهرت في سكان المنطقة وأحاطت بها من كل جانب .

أما العامل الثاني والذي نحسب أنه قد ترك أثراً كذلك في مستوى اللهجة المتكلمة في الإقليم فهو اختلاف القبائل العربية التي هاجرت إلي دارفور ، فهي

---

(١) وليس أدل على ذلك من أن برنامجاً في إذاعة الفاشر يُقدم بالعامية الدارجة باسم (جراب الكلام) موجه إلي المواطن في الريف ، قد وجد الاستهجان من سكان المناطق الشرقية سابقة الذكر ، لأن البرنامج يستقى مادته ويقدمها بلغة محسوبة لمناطق غربي الفاشر (طويلة ، كورما ، بربوجا ، أم هجاليج) وما جاورها وهذه المناطق يغلب عليها التأثر بلغة الفور .

(٢) إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٤٣ .

ترجع إلي بيئات لهجاتها مختلفة ، ثم إنها لمَّا هاجرت نزلت بمجموعات ترتطن لغات محلية مغايرة ، فالهجرة إلي دارفور لم تقتصر على جهينة وحدها ، فإن قبائل عربية كثيرة لما سنحت لها الفرصة هاجرت إلي السودان بموروثها اللهجي[١] ، ففي دارفور نجد أثراً للهجة تميم ، وأخرى نسبت إليها وإن اشتركت فيها مع قبائل أخرى أو اقتصرت عليها وحدها ، ولهجات لقبائل أخرى كثيرة عرفت بمسمياتها في جزيرة العرب انتقلت إلي المنطقة بلهجاتها ، أشار إلي بعضها العلماء والباحثون ، فالدكتور عون الشريف قاسم يرى أثراً لقبائل الحجاز في لهجة دارفور مثل ترك النبر للهمزة والتحقيق في كلمات من نحو (راس ، وبير، وفاس) في رأس وبئر وفأس، وهذا الأثر لا يقتصر على دارفور وحدها ، بل أكثر مناطق السودان ترجع إلي هذا النوع من التسهيل ، ويقول : (وبعض قبائل العرب تقول (دسيت) وبعضها الآخر تقول (دسست) وقصيت الأظافر وقصصت ، وكلاهما فصيح)[٢] وعامية دارفور بالإضافة إلي هذين الاستعمالين تقول بتكرار المقطع في الكلمة مثل دسدست وقصقصت وفكفكت[٣] في دسست وقصيت أو قصصت ويقولون ململت في مللت ومليت وهكذا بتكرار المقطع .

فالهجرة إلي دارفور – كما سبقت الإشارة إليها – جاءت من مشارب وطرق مختلفة من بينها مصر ، فقد أرجع حفنى ناصف في بحثه اختلاف اللهجات فيها

---

(١) تحدث محمود تيمور عن الفصحى المشتركة باعتبارها الصورة التي انتهى إليها وتواضع عليها أهل اللهجات ثم قال : " بيد أن اللهجات المتخالفة بقيت على الأيام تتدسى في الحديث الدارج بين الناس ، فكلما ذهب أهلوها مذهباً في الأرض انتقلت معهم تحمل آثارها على الأفواه ، يرثها جيل عن جيل ، ويسلمها عصر إلي عصر ، حتى انتهت إلينا في يوم الناس هذا ، وقد تشكلت أشكالاً في بلاد الناطقين بالضاد ، كل شيء منها ندعوه : لغة عامية ، وبين هذه العاميات المتعددة فروق ومميزات ، بعضها له كبير شأن ، وبعضها لا شأن له ، محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، ص١٦٩ .

(٢) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية في السودان ، مجلة الدراسات اللغوية ، العدد ١٢– ١٣ ، ج١ ، ٢ ، ص٢٨ .

(٣) وهذا الضرب من الاشتقاق شائع فقد حكى يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم أنه سأل بحضرة عبدالله بن أحمد بن حمدون النديم : من أي شيء أشتُق الجرجير ، فقال لأن الريح تجرجرِه ، قال : وما معنى تجرجره ؟ قال : تجرره ... قال فالجرجور الذي هو اسم المائة من الإبل ، لم سميت به ؟) فقال : لأنها تجرُّ بالأزمة وتقاد ، المزهر ١ ، ص٣٥٤ .

كذلك إلي اختلاف القبائل العربية التي نزلت بها عقب الفتح الإسلامي ، واتخذ من اختلاف المناطق المصرية في النطق بحرف (القاف) دليلاً وشاهداً على نظريته ... فنسب بعض سكان مديرية الفيوم وبني سيوف ... إلخ إلي قريش ؛ لأنهم ينطقون القاف صريحة مثل القرشيين : ونسب ما عدا هؤلاء من أهل الصعيد والوجه البحري إلي غير قريش ، لأنهم ينطقون القاف مشوبة بالكاف [١] ، وهذه كلها ماثلة في منطقة الدراسة ، – كما سيأتي – لأن درب الأربعين من أكثر الروافد التي أمدَّت دارفور بالمهاجرين من العرب .

ثم تحدث عون الشريف قاسم عن وجود لسان سعد بن بكر وهذيل في قوله: " وفي دارفور لسان سعد بن بكر وهذيل ، فنقول في أعطى أنطي وهي مشهورة في كل دارفور وبعض كردفان وورد في الحديث : " لا مانع لما أنطيت ، واليد المنطية خير من اليد السفلى " [٢] ، هذا بالإضافة إلي الآثار اليمنية التي ربما تكون قد حملتها جهينة إلي هذه المناطق حيث إنهم يقلبون لام التصريف ميماً ، وقد ورد في الحديث : " ليس من ام بر ام صيام في ام سفر " [٣] ، ومن ذلك قولنا امبارح ولعلَّ بعض قبائل البقارة بغرب السودان متأثرة بذلك فيقولون امباكر بدل باكر وامباركوامبده ... الخ [٤] . ويذهب عبدالمجيد عابدين إلي وجود لهجات لقبائل لخم وحزام ، وذلك من خلال ملاحظته لحالات لغوية مميزة دلت على هجرة بطون لتلك

---

(١) علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، هامش (٣) ، ص١٣٧ .

(٢) قال الطبراني عن محمد بن عطية السعدى ، قال : حدثني أن أباه أخبره قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن سعد بن بكر ، وكنت أصغر القوم ، فخلفوني في رحالهم ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضوا حوائجهم ثم قال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله غلامٌ منَّا خلفناه في رحالنا ، فأمرهم أن يبعثوني إليه ، فقالوا : أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته فقال : " ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً ، فإن اليد العليا هي المنطية، وأن اليد السفلى هي المناطة ، وأن مال الله مسؤول ومنطاه ، قال يكلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ، حديث رقم ٦٠٧ ، ج١ ، ص٣٤٧ .

(٣) عن كعب بن عصام الأشعرى ، وكان من أهل السقيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليس من ام بر ام صيام في ام سفر " أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد /كتاب الصيام ، حديث رقم ٤٩٢٦ ، مج٣ ، ص٣٧٩ .

(٤) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية في السودان ، مجلة الدراسات اللغوية ، ص٢٨ .

القبائل واختلاطها بالعرب الهلاليين ثم هجرتهم إلي السودان الغربي ، فمن ذلك أنهم في السودان الغربي يبدلون الجيم دالاً إذا التقى الجيم بالشين مثلما في كلمتي شجرة وجيش ، شدره وديش ودشيشه في جريشة ، وهي حالة معروفة في لهجات تونس والأندلس [١].

كذلك من الصيغ التي تؤكد هجرات لقبائل متعددة إلي دارفور نجد في دارفور قبائل الزياديةوالمعاليا وبني جرار وهي تقسيمات لفزاره ... يلاحظ في لسانهم صيغة (ناس فلان) وكذلك حالة إضافةَ واو الجمع للمتكلمين مثلما في (نحن نسيروا) [٢]دلت من غير شك على وجود علاقة لسانية بينهم وبين عرب شمال إفريقيا والأندلس ، ويرى عابدين أنها من الحالات التي تميز لهجات المغاربة عن لهجات المشارقة [٣].

وهي على العموم تؤكد اختلاف لهجات القبائل التي هاجرت إلي منطقة الدراسة وإلي السودان الغربي بصورة عامة ، وهذه القبائل توزعت في ودَّاي دارفور واختلطت بقبائل محلية لغتها مختلفة ، وهذا أدى بدوره إلي اختلاف مستويات اللهجة المتكلمة ، ولكن هذا لا ينفي أن تكون بعض هذه السمات اللهجية قد دخلت اللغة المشتركة قبل هجرتها من الجزيرة فأخذتها قبائل ليست متأصلة فيها أو توسعت فيها قبل أن تهاجر ، فضلاً عن وجود ظواهر خاصة ارتبطت بقبائل بعينها مثل استنطانية بكر وهذيل ، وعنعنة تميم وأم الحميرية المعروفة عند علماء اللغة بطمطمانية حمير .

---

(١) إبراهيم اسحق إبراهيم ، هجرات الهلالين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان ، ط١ ، الملك فيصل للدراسات والبحوث ، السعودية ، ١٩٩٦م ، ص١٦٢ .

(٢) وأهل غرب السودان كالجوامعةوالبديرية يبدلون همزة المضارعة نوناً ... فإذا أرادوا جماعة المتكلمين أضافوا واو الجمع في آخر الفعل فقالوا : نحن نسيرو ، ونحن نمشو وهذا من تأثير لهجات شمال إفريقيا من غير شك ، وهو من سماتها التي تميزها عن لهجات المشارقة ، على أن من الملاحظ أن لهجات المغرب تكسر النون في مثل هذا الموضع ، فنقول : أنا نمشي ، ونحنا نمشو ، أما أهل غرب السودان فقد آثروا فتح النون قياساً على الشائع في لهجاتهم ،عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٧٤ .

(٣) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٧٤ .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الآثار اللهجية المنسوبة إلي قبائل عربية بعينها قد نجد لها أثراً في بيئة لم تهاجر إليها القبيلة التي نسبت إليها تلك اللهجة ، فربما هاجرت لهجاتها مع قبائل أخرى تأثرت بها ، وهذا أمر أشار إليه العلماء وذلك جرياً مع قانون التفاعل اللغوي والتأُثير والتأثر يقول عباس حسن : " الأصل في اللغات واللهجات أن تكون مسماه ، منسوبة إلي أصحابها ، وأن تكون لقوم دون قوم ولكنها إذا انتشرت تعاورها كل من شاء ... "[١]، فالقبائل التي هاجرت إلي دارفور جاءت من مشارب مختلفة ، وكذلك لهجاتها ، ولكن كما كانت قبائل جهينة تمثل الكثرة الغالبة في هجرتها إلي غرب السودان بخاصة أتاحت هذه الغلبة لخصائص لهجتها أن تظهر على غيرها من القبائل التي شاركتها الهجرة إلي الإقليم.

---

(١) عباس حسن ، رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص٧١ .

المبحث الرابع : طبيعة اللغة المشتركة الناتجة عن الصراع اللغوي في الإقليم:

يلمح الدارس لعامية السودان أوجهاً كثيرة بين الوضع اللغوي السائد في مناطق السودان التي تتخذ من العامية العربية لغة تخاطب فيما بينها وتواصل مع الآخرين من المتكلمين باللغات المحلية المختلفة ، وبين الوضع اللغوي في الكثير من أقطار العروبة الأخرى ، ففي السودان قدر كبير مشترك من لغة عامة يتفاهم بها الجميع – رغم السمات المميزة للهجات الخاصة الإقليمية والقبلية [١]– تجعل من عامية السودان لغة مشتركة في إطارها العام مع احتفاظ كل قبيلة أو إقليم بخصائصه المميزة ، وهذه العامية المشتركة يراها الدكتور عون الشريف قاسم متمثلة في عامية وسط السودان يقول : " نستطيع أن نجمل القول في أمر هذه التيارات البشرية والحضارية التي ازدحمت في هذه المنطقة وتلاحمت ثم تلاقت وامتزجت ، فنقول إنها انتهت بتكوين منطقة تعادل لغوي في وسط السودان ، يتمثل فيها القدر المشترك بين كافة القبائل العربية في السودان ، إلي جانب ما تأثرت به هذه القبائل بحكم اتصالها بالسكان الأصليين سواءً أكانوا البجة في شرق البلاد ، أم النوبة في حوض النيل ، أم العناصر النيلية إلي الجنوب ، أم الكردفانيةوالدارفورية إلي الغرب ، لقد حدث التوازن بين كل هذه العناصر في هذه البوتقة ، وانصقلت النتوءات والزوائد بفعل الزمن كما تنصقل الحجارة في مجرى النهر " [٢]. فهذه المنطقة بما أتيح لها من موقع جغرافي ممتاز ، جعل منها نقطة التقاء كل آت من شمال أو جنوب أو شرق أو غرب ، فالتقت فيها هذه التيارات وانصهرت لتصبح بمرور الزمن وبتدافع تلك التيارات نحو الوسط مركز الثقل اللغوي لكل أهل السودان . يقول عون الشريف وهو يشير إلي خضوع هذه المنطقة لقوانين الصراع اللغوي وما ترتب عنه من آثار : " والواقع أن ذلك لم يحدث بين يوم وليلة ، بل نتيجة لتطور بعيد المدى استغرق الأزمان الطويلة ، دخلت اللغة العربية فيه في صراع مع اللغات السائدة

---

(١) الإقليمية يقصد بها هنا لهجات القبائل العربية التي هاجرت واستوطنت مناطق متفرقة من أقاليم السودان أما القبلية فالمقصود بها اللغات المحلية لسكان المنطقة الأصليين .

(٢) عون الشريف قاسم ، بعض مظاهر الفصحى في عامية السودان ، ص٧٢ .

ودوَّختها [١]، ولكن في مثل هذه الحالات وقياساً على القانون اللغوي العام ، فإن الانتصار قلَّ أن يكون كاملاً ، ولا بد أن تترك اللغات المندحرة آثارها في شكل ألفاظ ، وآثار أخرى في النطق أو التركيب أو التصريف أو جميعها معاً [٢].

وقد أشار إلي ذلك علي عبدالواحد وافي حين قال : " ومن المقرر أن اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف في ألسنة المتحدثين من الناطقين (المغلوبين لغوياً) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها ، وما درجوا عليه من عادات في النطق " [٣]، وكان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف لهجات مناطق السودان الأخرى بعضها عن بعض ، فتوزعت عاميتها حسب جغرافية المنطقة والعوامل والمؤثرات المحلية المتمثلة في اللغات المحلية لسكان كل منطقة في الشرق والجنوب والغرب وهكذا ولكن تبقى لغة وسط السودان تشكل قاسماً مشتركاً في مجال التفاهم اللغوي يصل بينهم رغم الخلافات ويقول عون الشريف قاسم : " وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن اللهجة العامية السودانية ككل وهو يقصد هذه اللهجة للنيل الأوسط ؛ بحكم تمثيلها للوضع اللغوي عامة ، وعلي اعتبار أن اللهجات القبلية أو الإقليمية الأخرى لا تضيف إليها جديداً ، ما عدا بعض المفردات الخاصة بالبيئات الرعوية أو الزراعية البعيدة عن النيل " [٤]، لقد قضت سنة الله وحكمته أن تأثرت دارفور بهجرات عربية مختلفة وفي فترات متباعدة واستوطنت أرض دارفور التي تعج وقتها بقبائل محلية مستقرة ، لكل منها لغتها الخاصة بها ، الأمر الذي جعل سكان الإقليم ، وبهذه التركيبة الجديدة ، أن يفكروا في لغة مشتركة تجمع بينهم من أجل التواصل والتعايش ، فكانت العربية العامية التي وسعت لهجات القبائل تلك .

أما اللغة المشتركة في دارفور فيقصد بها هنا لغة فاشر السلطان وحواضر دارفور الكبرى ، فهذه اللغة الموسومة (بعامية دارفور العربية) تمثل قاسماً مشتركاً

---

(١) داخ الرجل أو البعير : ذلَّ وخضع ، ودوّخ الناس : أضعفهم وأذلَّهم ، ودوَّخه : أوجع رأسه وأضعفه ، القاموس المحيط ، مادة ، دوَّخ .

(٢) عون الشريف قاسم ، العربية في السودان ، العدد ١٢ – ١٣ ، ص٤٠ .

(٣) علي عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، ص١٣٣ .

(٤) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية في السودان ، العدد ١٢ ، ١٣ ، ص٢٦ .

يلتقي عندها جميع سكان دارفور ، رغم اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ؛ فقد صهرتهم هذه المنطقة بثقافتها وتراثها القديم ، لذلك توافرت فيها مقومات اللغة المشتركة والتي أشار إلي أسباب تكوينها الدكتور إبراهيم أنيس في معرض حديثه عن مستقبل اللغة المشتركة حين قال : " دلَّت الملاحظة على أنه حين تقوى الصلة بين أفراد الجماعة اللغوية ، وتسهل بينهم وسائل الاتصال والارتباط ، مادية كانت أم ثقافية ، تتكون لهم مع الزمن لغة مشتركة ، تقرب بينهم أو تعينهم على تفاهم أسرع وأيسر وتقضي لهم مصالحهم الدنيوية " (١)، فإذا كانت العربية في وسط السودان قد تداخلت وتأثرت بالنوبية والبجاوية وكل المجموعات التي تعيش على مجرى النيل فإن عامية دارفور العربية كان الأثر فيها للغات محلية يختلف كثيراً عن اللغات المحلية لسكان وسط السودان ، مثل لغات الفور، والزغاوة، والمساليت وغيرهم ، لذلك فإن قوام هذه العامية الدارفورية– مع وضع عامية السودان المشتركة في الاعتبار – تأخذ وضعاً محلياً مختلفاً ، وقد تحدث عن هذا المظهر المحلي ج . فندريس وهو يحلل الانحرافات التي تصيب اللغة محاولاً تفسيرها في ضوء القوانين الصوتية يقول: " إذا اتفق لبعض العناصر المحلية أن تدلف أي اللغة المشتركة ، فليس معنى هذا أننا نواجه بقايا لهجة ، أو أمام لهجة جديدة على سبيل التكوين ، بل تواجه اللغة المشتركة نفسها في مظهر محلي " (٢).

فعامية دارفور المشتركة تمثل الأثر الناتج عن امتزاج المجموعات العربية الطارئة بالعناصر المحلية المحيطة بها من كل جهاتها ، مشوبة بسمات لهجية انتقلت إليها مع القبائل العربية الوافدة مثل الاستنطاء، والطمطمانية، وغيرهما ، وأصوات للغات محلية متباينة (خاصة أصوات لغة الفور) لتصبح لغة عامة يتكلمها معظم سكان الإقليم ، وقد بلغت من قوتها وحيويتها أنها طبعت معظم اللغات المحلية الأخرى بطابعها ، وغدت لغة تواصل بينها ، وأصبح من بعد عنصروحدة لكل الجماعات في الإقليم، وقد عصمها القرآن الكريم من فقدان إطارها العربي . على

---

(١) انظر : إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٣٩ – ٤٠ و حسن عيسى أبو يس ، الفصحى بين نظريتين ، مجلة جامعة الملك سعود للآداب ، مجلة الآداب (١) ، ١٩٩١م ، ص١٣ .

(٢) جورج فندريس ، اللغة ، ت ص٣٣٦ .

الرغم من تحديات البيئة المتمثلة في كثرة اللغات المحلية ، وهو الذي هيأ لها الاتصال المباشر بكافة سكان المنطقة .

هذه العامية المشتركة تستقيم في إطارها العام ، وفي كثير من ألفاظها ومعانيها مع العامية المتكلمة في وسط السودان ، إلي جانب خصائص وظواهر لغوية محلية ، وتراكيب وأصوات وصيغ صرفية تسربت إليها من لغات السكان الأصليين من (فور، وزغاوة ، وبرتي وغيرهم) بحكم المجاورة ، والحاجة لهذه الألفاظ التي تعبر في كثير من الأحيان عن مفاهيم ومعان لم يألفها العرب من مثل الألفاظ المتعلقة بالزراعة ، والري ، وبعض العادات المحلية ، ولهذا السبب وحده بقيت ألفاظ كثيرة وآثار أخرى للغات محلية وبخاصة لغة الفور، ودخلت إطار العامية المشتركة ، فقد استطاعت لغة الفور أن تترك أثراً واضحاً في عامية دارفور المتكلمة ، مقارنة بلغات غيرها من المجموعات المحلية الأخرى في المنطقة والتي لم يظهر تأثيرها إلاَّ في حدود وجودها ، ولغة الفور ساعدتها في ذلك مكانة أهلها وسيادتهم على الإقليم سياسياً وثقافياً ولقرون طويلة ، فاستطاعت لذلك أن ترفد العامية المتكلمة بقدر وافر من الألفاظ المستعجمة ، وببعض التراكيب والصيغ الصرفية ، وكذلك في الجانب الصوتي ، مما جعلها تأخذ طابعاً مميزاً عن مناطق السودان الأخرى .

الفصل الثالث : بعض الظواهر اللغوية التي تميز عامية شمال دارفور عن غيرها من عاميات السودان

المبحث الأول : ظواهر من اللهجات القديمة

المبحث الثاني : الألفاظ التي بقيت على فصاحتها

المبحث الثالث : طريقتها في (الإعراب ، والتوكيد)

المبحث الرابع : طريقتها في القلب والاشتقاق

الفصل الثالث

بعض الظواهر اللغوية التي تميِّز عامية شمال دارفور عن غيرها من عاميات أهل السودان

المبحث الأول : ظواهر من اللهجات القديمة :

سبقت الإشارة إلي أن القبائل العربية التي هاجرت إلي السودان مثلها مثل أخواتها في أقطار العروبة الأخرى ، جاءت تحمل معها لهجاتها الخاصة ، إلي جانب اللغة العربية الفصيحة ، ومنطقة دارفور كغيرها من مناطق السودان التي استقبلت تلك الهجرات عبر حقبها التاريخية المتباعدة ، التقت فيها تقريباً معظم قبائل شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ومظاهر لهجاتها الخاصة والمشتركة تبدو واضحة في عامية سكان المنطقة ، فالهجرة إليها لم تقتصر على قبائل بعينها ، وإن أشار الدكتور عبدالمجيد عابدين – فيما سبق – إلي أن بعض هذه القبائل لم تهاجر ولكن مظاهر لهجاتها هاجرت مع الوافدين ، فإن ذلك إن صدق في المظاهر والسمات المشتركة ؛ فإنه – فيما أحسب – لا يصدق على المظاهر التي تختص بها قبائل بعينها ، مثل : العنعنة ، والطمطانية ، والاستنطاء ، وغيرها ، لذلك يقول عون الشريف: " والأقرب إلي المنطق أن القبائل التي تبرز في لهجاتها هذه الظواهر قد انتقلت إلي كثير من أنحاء العالم العربي ، فتجلَّت من ثم في لهجاتها هذه السمات ... ومن السهولة بمكان أن يتتبع الباحث التكوين القبلي في معظم أنحاء العالم العربي بتتبع هذه الظواهر اللغوية الخاصة ببعض القبائل القديمة ... "(١) .

وفي دارفور ومنطقة الدراسة – بصفة خاصة – تبدو آثار تلك اللهجات ومظاهرها واضحة في عامية أهلها ، وتشير إلي ذلك الأصل القديم يقول إبراهيم آدم اسحق : " على أننا نعود ونقرر – بعد هذا كله – أن تلك الهجرات العربية القديمة ، تركت بلا شك آثاراً وملامح واضحة في عامية دارفور ، تعود بجذورها إلي قبائل وسط جزيرة العرب ، كتميم ، وبكر ، وتغلب ، وقيس ، وإلي بعض قبائل جنوب

---

(١) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية بين الفصحى والعامية ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، العدد الثاني، مطبعة التمدن ، الخرطوم ، ١٩٨٤م ، ص٧٢ .

جزيرة العرب بخاصة القبائل اليمنية ، مما يشير إلي الأصول الأولى التي هاجرت منها تلك القبائل إلي دارفور [١] .

ولعل من أسباب اختيار شمال دارفور منطقة للدراسة ما يرجع في جزء منها إلي تنوع القبائل العربية التي هاجرت إليها ، كقبائل الزيادية ، والإسرَّة ، والهوارة ، والطريفية ، والجليدات ، ومجموعات أخرى صغيرة لا تجد لها أثراً في بقية مناطق دارفور سوى منطقة الدراسة ، وهذا فيما أحسب يرجع إلي طبيعة المنطقة شبه الصحراوية التي تناسب في كثير منها طبيعة المواقع التي هجروها في الجزيرة العربية ؛ لذلك تبدو هذه الظواهر اللهجية القديمة واضحة في شمال دارفور .

فمن تلك الظواهر اللهجية القديمة التي بقيت في عامية شمال دارفور :

١ – ظاهرة الاستنطاء :

الاستنطاء في لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد وقيس ، والأنصار جعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء ، كأنطى في أعطى [٢] . وقد شرفها النبي صلى الله عليه وسلم حين قال في الحديث : " ... إن مال الله مسئول ومنطي ، وإن اليد العليا هي المنطيّه ، وأن اليد السفلى هي المنطاه ، قال : يكلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا " . وقرئ بها شاذاً قوله سبحانه : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[٣]قال الإمام الطبري : " وقرأ الحسن وطلحة بن مصرف : (أنطيناك) بالنون : روته أم سلمة عن النبي (ﷺ) ،وهي لغةٌ في العطاء ؛ أنطيته أعطيته "[٤].

وهذه الظاهرة لا تميز عامية دارفور لذاتها ولكنها شائعة في منطقة الدراسة بخاصة ، وهي من الظواهر التي دخلت العامية المشتركة لكل أهل دارفور . فهم لا يعرفون في أعطى إلاَّ أنطى ، ويشاركهم في هذه الظاهرة بعض قبائل كردفان

---

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ج١ ، ص٥٢ .

(٢) أبوبكر جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص٢٢٢ .

(٣) سورة الكوثر، الآية(١) .

(٤) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله وآخرين ، دار الحرمين ، القاهرة ، حديث رقم (٨٤٥٨) مج٨ ، ص٢٢١ .

خاصة القبائل العربية في البادية يقول د . جابر محمد جابر عن الحوازمة : "والحوازمة يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء ، فيقولون في أعطى أنطى ومن أقوالهم :

١- البنطيك الناقة انط بتها : أي أن تجازي من أحسن إليك بالإحسان .

٢- صبي وعريان ما تنطه وليتك [١] : يقصد بالعريان هنا من لا يملك شيئاً وكلاهما فاقد لأهلية الزواج ، وهي أمثال معروفة في دارفور ومنها كذلك (انط الأجير حقه قبال ما يجف عرقو) . وهي ما تزال حية في شمال دارفور في قراها وباديها بصورة خاصة ، لأن حواضر دارفور الكبرى استعاضت محلها كلمة (أدّيته) المستخدمة الآن في العامية السودانية ، لكنها في قرى دارفور لا تزال تحافظ على أصلها القديم ، وبها سموا بعض المواضع ، ففي شمالي مدينة الفاشر مثلاً في منطقة أزقرفا يوجد جبل صغير يعرف بـ (قريود[٢] أنطيني فاس) ، وسمي هكذا لأن هذا الجبل تكسوه غابات (الكتر) ، فمن أراد أن يصعد الجبل أو يعبر من خلاله عليه أن يطلب فأساً ليفتح له طريقاً ، كناية عن وعورة الطريق . وجرياً مع التسهيل أبدلت الطاء تاءً يقول د . إبراهيم آدم اسحق : " فتراهم يقولون أنته، وأنتاني ، وأنتيتو ، ونحوها ، أي : أنطه ، وأنطاني ، وأنطيتو على لهجة سعد بن بكر "[٣] و(البنط الله)[٤] اسم لجارة (رحمها الله) سكنت إلى جوارها في حي ديم سلك من أحياء مدينة الفاشر الشمالية في ثمانينيات القرن الماضي .

---

(١) د . جابر محمد جابر ، ظواهر لغوية في لهجة الحوازمة السودانية ، مجلة الدراسات الإفريقية ، نصف سنوية ، العدد ١٧ يونيو ١٩٩٧م ، ص١٢٣ .

(٢) قْرودِ وقْرويد (غرب) مع تقديم وتأخير الواو على الياء تعني في غرب السودان جبلاً صغيراً ، قاموس اللهجة العامية ، ص٧٦٥ .

(٣) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٥٣ .

(٤) وهي من أسماء التمائم أحسبها ربما لأن والدتها تأخرت كثيراً عن الولادة ، أو أنها جاءت بعد أن تقدمت والدتها في السن ، مثل : (جابك الله) والله جابو وغيرها من أسماء الحمد والشكر التي تستخدم في التمائم .

وشيوع هذه الظاهرة في عامية شمال دارفور يرجع – فيما أحسب – إلي كثـــرة القبائل العربية التي تستخدم في لغتها الاستنطاء واستيطانها لمنطقة الدراسة .

٢ – أَمْ الحميرية :

هي لغة حمير ، تبدل فيها (الـــ) التعريفية (امْ) وقد تكلم بها رســـول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : ليس من امبر امصيام في امسفر جواباً لمن ســـأل : هل من امير امصيام في امسفر ؟ . عرف هذا الإبدال بطمطمانية حميـــر ، وفـــي المزهر : الطمطمانية تعرض في لغة حمير كقـــولهم : طـــاب امهـــواء أي طـــاب الهواء ، وعليه قول الشاعر :

ذاك خليلي وذو يُواصلُني * يرمي ورائي بامسهم وامسلمة**[١]

وهذا الإبدال عرفته عامية دارفور من قديم فهي لا تعرف في البارْحـــه إلاَّ امبـــارح (وامباكر وامباكرتو) ليوم باكر واليوم التالي ليوم باكر ، وكذا في الكثير من عاميات السودان الأخرى خاصة في كردفان ، لكن نجد منطقة الدراسة – شمال دارفـــور – قد توسعت في استخدام الظاهرة أكثر من غيرها ، و أهل اليمن عرفوا هذه الظاهرة واستخدموها فيما فيه (الـــ) مطلقاً ، يقول ابن هشام في المغنـــي : " وحكـــى لنـــا بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم من يقول خذ الرُّمح واركب امفرس ، ولعـــل ذلك لغة لبعضهم لا لجميعهم ، ألا ترى إلى البيت السابق ، وأنها في الحديث دخلت على النوعين "[٢] يعني أنها دخلت على (الـــ) الشمسية والقمرية على الســـواء . ففي شمال دارفور بجانب هذا الاستخدام الأساس استخدموها في معان أخرى كثيـــرة يقول إبراهيم آدم اسحق : " وقد استخدمت في عامية شـــمال دارفـــور بمســـتويات متعددة ، فهي تقابل أداة التعريف (الـــ) في العربية ، وهي المعروفة عند علمـــاء اللغة اصطلاحاً بطمطانية حمير ، فبجانب استخدامها الأساس استخدموها بمعنى ذات [٣] أي صاحب ، وهي في هذه الحالة صفة نحو :

---

(١) جمال الدين بن هشام الأنصاري ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق د . مازن المبارك وآخرين ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٥م ، ص٧٠ ،والبيت لبجير بن عنمة الطائي ،وهو جاهلي مقل .

(٢) المصدر السابق ، ص٧١ .

(٣) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٨٤ .

(أم جاهين [١] وأم منقور [٢] إلي غير ذلك من الشواهد التي تدل على استخدام (أم) الحميرية في غير معناها الأساس ، وقد أفرد له الدكتور إبراهيم صفحات من كتابه . أما شواهد استخدامها في معناه الأساس ففي لهجة شمال دارفور مستعملة في بعض أسماء الأعلام وبعض الصفات وغيرها في دارفور ، فمن ذلك مثلاً :

(امبحتاي) امبحتاي أو امبحتي لطريقة قطع الأشجار بغرض استصلاح الأرض تمهيداً لزراعتها ، وأصل الكلمة يبحث من البحث ، أحدثت فيه العامة ضرباً من التغيير ، فأبدلوا الثاء بالتاء ، فصارت (بحت) بدلاً من بحث ، وثبت أن من معاني يبحث يحفر ، من قوله تعالى : ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]أي يحفر، ففي تفسير ابن كثير : عن ابن عباس قال : جاء غراب إلي غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى واراه ، فقال الذي قتل أخاه ... الآية [٤] ، وفي ظلال القرآن : " فجعل يحفر في الأرض ، ثم واراه وأهال عليه التراب ، فقال القاتل قولته"[٥] والمعنى من هذا ظاهر ، وقد أرجع عون الشريف قاسم مصدر هذه العادة إلي (القضارف) وذلك في قوله : " (ام بحْتىْ) إزالة الأشجار والحشائش قبل الزراعة "[٦] . ولكن هذه العادة معروفة في دارفور ، وأحسب أنها هاجرت مع أهلها ممَّن يعملون بالزراعة هناك . والياء التي لحقت بالكلمة نوع من التصغير مثلما في امجورناى وامسلمبوى والأصل فيها : الجعلان فقالوا في امجوران ، امجعران، فأضاع العامة فيها العين فصارت أمجوران ثم صغروها على امجورناي،

---

(١) أم جاهين : أي صاحبة الجاهين ، جاه من جهة الأب ، وجاه من جهة الأم كناية عن العز الذي نبتت فيه ، د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٩٢ .

(٢) أم منقور : الطائر الصغير يحفر بيته بمنقاره في سوق الأشجار الكبيرة ، فسمي أم منقور وصفاً لمنقاره القوي الذي يستخدمه في حفر الأشجار وأبدلت العامة الواو محل الألف فصارت الكلمة بدلاً من أم منقار أم منقور .

(٣) سورة المائدة، الآية (٣١).

(٤) أبو الفداء الحافظ بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرين ، دار الشعب ، القاهرة ، مج٣ ، ص٨٤ .

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٢ ، ١٩٨٦م ، مج٢ ، ص٨٧٧ .

(٦) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٧٠ .

وكذلك امسلمبوى لضرب من الفئران مائل للسواد ، خبيث الرائحة وأصله (السلمبو) وفي المثل الدارفوري : " امسلمبويتى ولا كدكاى زول " ، مثل يضرب للقناعة والرضا بالمقسوم .

وكذلك امبعَّراى لنوع من العصافير صغيرة الحجم ، وانما هي البعيرة ، إذ إن حجمه لا يعدو حجم بعرة البعير ، فشبهوه بها ، وأسموه كذلك [١] ثم أجروه على هذا الضرب من التصغير ، فهو ضرب من صغار العصافير كالبعر .

ومن هذا الباب أيضاً تسميتهم الطفل الصغير الذي يدفع به والده إلي الخلوة: (الكتَّاب) ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة (امبدَّى) وقد تسموا به وإنما هو البادئ)، أحدثت فيه العامة ضرباً من التغيير ، فحذفوا منه الألف وضعفوا الدال ، كما حذفوا منه الهمزة تخفيفاً فقالوا : (بدَّى) وإنما هو (بادئ) ثم أدخلوا عليه أم الحميرية فقالوا (امبدَّى) [٢] .

فالأمثلة على استخدام (أم الحميرية) عند العامة في منطقة الدراسة أوسع من هذا بكثير ليس كما ذكر عبدالمجيد عابدين في قوله : " ومن الظواهر اللهجية القديمة التي ليس لها تأثير يذكر في لهجات السودان اليوم ، أو لعله تأثير ضئيل أو قليل خذ مثلاً إبدال لام التعريف ميماً في لغة حمير ، كقولهم : " طاب امهواء وركب امفرس " ، ثم قال :"وهذه الطمطمانية قلما وجدناها في لهجات السودانيين ، فهم يقولون البارح وإن كنا نعثر في بعض الأحيان على من يقول في المبارك (امبارك) ولكن مثل هذا قليل نادر في لهجاتهم "[٣].

ويبدو أن الدكتور عبدالمجيد عابدين قد ركَّز في دراسته على وسط السودان، لأن هذه الظاهرة شائعة في دارفور ، وفي منطقة الدراسة بخاصة . ولا يقتصر استخدامها على الألفاظ المذكورة من نحو (امبارح) بل يتعداها ليشمل ألفاظاً جديدة أشار إلي بعضها الدكتور إبراهيم في كتابه ، فلو أن الدكتور عبدالمجيد عابدين وقف على بعض تلك النماذج لكان له رأي آخر ، ويكفي في الاستدلال على

---

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٣) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٣٢ .

استيطان هذه الظاهرة وشيوعها في عامية المنطقة ما ذكره الدكتور عون الشريف قاسم حين قال : " ولا نجد في غير اليمن توسعاً في هذه الظاهرة ، وإن وجدناه في السودان ، وبالذات في غرب البلاد أمثلة أخرى مثل قولهم امباكر بدل باكر ... ومثله امبده وامبارك ... "[١] .

٣ – ظاهرة العنعنة :

العنعنة هي قلب العين همزة ، وهي منسوبة لبني تميم يقول ابن فارس: " أما العنعنة التي تذكر عن تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً ، يقولون : " سمعت عنَّ نحو قال كذا " يريدون (أنَّ) ، وروى في حديث قيل : " تحسب عنِّى نائمة " ، قال أبوعبيدة : أرادت تحسب أنى نائمة ، وهذه لغة تميم "[٢] ، وعليها قول ذي الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابة من عينيك مسجوم[٣] .

وهذه الظاهرة لا تقتصر على تميم وحدها ، فثمة قبائل أخرى كانت تعرف العنعنة مثل قضاعة ، وقيس ، وأسد وغيرهم ، وأن بعضها توسعت فيها وبعضها الآخر تقصر استخدامها مع (أن) إذا كانت مفتوحة يقول السيوطي : " ... وهي في كثير من العرب ، في لغة قيس ، وتميم ، تجعل الهمزة المبدوءة بها عيناً ، فيقولون في أنك : عنَّك ، وفي أسلم : عسلم ، وفي أُذن : عَذنَ ... وتعرض في لغة قضاعة كقولهم : ظننت عنك ذاهب ، أي أنك ذاهب "[٤] .

---

(١) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية بين الفصحى والعامية ، ص٧٢ .

(٢) أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص٣٥ .

(٣) ديوان ذي الرمة ، بشرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح ، د.ط ، طربين ، دمشق ، ١٩٧٢م ، ج١ ، ص٣٧١ ، ترسمت الدار في الديوان وفي الصاحبي لابن فارس ، وفي اللسان ومجالس ثعلب والجمهرة وغيرها من الكتب الأمهات يقال ترسمت الدار : أي تأملتها ، وسجم الدمع : سال وسجمته العين : أسالته .

(٤) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص٢٢١ – ٢٢٢ .

أما ابن منظور فقد أورد : " لغة قريش ومن جاورهم (أنَّ) ، وتميم وقيس وأسد ، ومن جاورهم يجعلون ألف (أنَّ) إذا كانت مفتوحة عيناً . يقولون : أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلي الألف "[١] .

هذه الظاهرة لها أثر في منطقة الدراسة ، عند البداة بخاصة ، ولكنها قليلة في عامية المنطقة ، لأنهم يميلون دائماً إلى التخفيف ، وقلب الهمزة عيناً يحتاج إلي جهد عضلي طالما حاولوا التخلص منه ، وأكثر ما تجده في البادية من ذوى الأصول العربية ، يقولون في سأل : سَعَل ، فلا يعرفون غيرها ، ويقولون : مسعول من الخير ، إذا أرادوا السؤال عن شيء – وكثيراً ما يفتتح بها – يريدون مسؤولاً من الخير ، على لغة تميم ، حيث إنهم يتموُّن المفعول من الياء من نحو مديون ومبيوع ومكيول . وقلب الهمزة عيناً عندهم غير مقيد بالبدء بها ، أو كونها محركة بحركة خاصة ، فهم يميلون بطبيعتهم إلي الجهر بالأصوات ، فتعرض بسببه هذه الظاهرة في لهجاتهم ، وهو ما أشار إليه الدكتور إبراهيم أنيس في تحليله فقال : " ويحسن إذاً أن نعد هذه الظاهرة محاولة للجهر بالأصوات ، لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة ، إذ مخرجها المزمار نفسه ، ولا عمل للوترين الصوتيين معها ، وقد وصفناها قبلاً بأنها من الأصوات الشديدة ، إن لم تكن أشدها ، وأن أهل البادية يحققونها في لهجاتهم ، فحين يبالغ في التحقيق ، ويراد أن تكون أوضح في السمع يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً وصفة ، وأقرب أصوات الحلق إليها هو العين ، لأن العين صوت مجهور ، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً "[٢] .

وعلى العموم فإن هذه الظاهرة ينحصر استخدامها في بادية شمال دارفور في مناطق الزيادية شمالي مليط ، ومناطق الدامرة في شمال غرب كتم ، وهي لا تكاد تتجاوز قبائل البادية التي عرفت بميلها إلي تحقيق حروف الحلق بخاصة ، فتقع هذه الظاهرة في كلامهم ، أما العامية المتكلمة في المنطقة بصورة عامة ،فإنها تفعل العكس ، حيث أبدلت العين همزة في أغلب حالاتها جرياً مع التخفيف . وفي هذا

---

(١) ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، مادة (عنَّ) .

(٢) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٩٧ .

يقول جابر محمد جابر : "وقلب العين همزة أقيس من العكس ؛ لأن الهمزة أخف من العين "[١] .

أما قبائل البادية التي وجدت في لهجاتها هذه الظاهرة فإنها تميل إلي تفخيم الأصوات والجهر بها ، فأشبهت من هذه الناحية قبائل الجزيرة – سابقة الذكر – لصفة البداوة التي تجمع بينهم .

٤ – إسكان عين الثلاثي المتحرك :

من الظواهر اللغوية النادرة واللافتة للنظر في عامية شمال دارفور ، في المنطقة الواقعة غربي مدينة مليط بخاصة ، إسكان عين الثلاثي المتحرك ، عندما يكون متعدياً إلي ضمير الغائب ،وذلك في نحو كَتَبَه يقولون فيه (كَتْبَهْ) ، وفي ضربه (ضَرْبَهْ) ، وفي قَتَلَهُ وخَنَقَهُ (كَتْلَهْ وخَنْقَهْ) وفي مَسَكَهُ(مَسْكَهْ) أي أمسك به [٢] . يقول د . إبراهيم آدم اسحق : " وتطَّرد هذه الظاهرة عندهم أيضاً في الأفعال الناقصة في نحو قولهم (رَمّهْ) في رماه من الرمي ، و (سقَّهْ) في سقاه من السقي و (وجَّهْ) في وجاه أي وجأه بمعنى ضربه ... "[٣] .

وتسكين الوسط في متحرك العين ، مع شيوعها في منطقة الدراسة غربي مدينة مليط، لهجة عربية قديمة ، عرفت في تميم وبكر بن وائل ، أشار إلي ذلك ابن يعيش واستشهد يقول أبي النجم العجلي :

لو عُصْرَ منها البانُ والمسكُ انْعَصَرْ [٤] .

ومحل الشاهد فيه قوله (عُصْرَ) حيث سكن ثانية طلباً للخفة ثم قال : " وهذه لغة فاشية في تغلب بن وائل ... وأبو النجم من عجل ، وهم من بكر بن وائل ، فاستعمل لغتهم "[٥] ويبدو أن الدافع من إسكان عين الثلاثي المتحرك هو التخفيف وقد أشار

---

(١) د . جابر محمد جابر ، ظواهر لغوية في لهجة الحوازمة السودانية ، ص١٢٢ .

(٢) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣١١ – ٣١٢.

(٣) المصدر السابق ، ص٣١٢ .

(٤) ديوان أبي النجم العجلي (شعره ورجزه) ، شرحه علاء الدين أغا ، النادي الأدبي ، الرياض، ١٩٨١م ، ص ١٠٣ .

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د ، ن ، ج٩ ، ص١٢٦ .

ابن يعيش في المفصل إلي ذلك بقوله : " وليس في الثلاثي (فَعْلَ) ساكن العين ، وإنما ذلك من أبنية الأسماء نحو فلْس وكَعْبٍ "[١] .

وأما قول الشاعر :

فإن أَهْجهُ يَضْجَرْ كما ضَجَرَ بازلٌ من الأُدم دَبْرَتْ صفحتاه وغَاربُه

فإنه أراد (ضجِر) بالكسر ، و(دَبِرَتْ) ، وإنما أسكن تخفيفاً كما قالوا في عَلِمَ (عَلْمَ) وفي شَهِد (شَهْدَ) وقالوا في الاسم (كَتْفٌ) في (كَتِف) [٢][٣] .

فإذا كان تسكين العين – فيما سبق من قول ابن يعيش – مقصوراً في المكسور العين والمضموم منه حين قال : " لكل مكسورٍ أو مضمومٍ إذا لم يكن من حركات الإعراب فيجوز فيه التسكين كقوله :

ألا رُبَّ مولود وليس له أبٌ * وذى ولد لم يَلْدَهْ أبوان**[٤]

وذلك أن أصله لم يلده بسكون الدال للجزم ، ثم لما سكن اللام ، التقى ساكنان فلو حرك الأول ، لعاد الثقل ، أو لا سبيل إلى تحريك الأول لأنه يعود إلى ما فر منه وهو ثقل (فَعِل) فحرك ثانيهما . وعن ابن الأنباري أنه لغة لبعض العرب في كل معتل حذف آخره فيقولون : لم أر زيداً يسقطون الحرف للجزم ثم يسكنون ما قبله [٥] ولا يجوز ذلك في المفتوح لخفة الفتحة ، فإن سكان المنطقة المذكورة لا يلتزمون القاعدة ، وأنَّ التخفيف بالتسكين يضطَّرد في كل الأحوال

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٩ ، ص١٢٧– ١٢٨ .

(٢) في بعض مناطق شمال الفاشر تستخدم (كتف) صحيحة بكسر العين ومن آبار المنطقة الشمالية المعروفة في منطقة أزقرفا بئر يسمى (أبــ كتِف) هكذا .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٩ ، ص١٢٧ .

(٤) أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي ، اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالمودود والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م ، ج٢ ، ص٢٣٠ .

(٥) انظر : ابن الأنبارى ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص١٨١ وصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدى الدمشقي ، الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، تحقيق حسن موسى الشاعر ، ط١ ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٠م ، ص٢٥٢ .

يقول : إبراهيم آدم إسحق : " فنراهم يقولون في (جَبَدَه) أي جذبه (جَبْدهْ) ، وفي رَفَعَهْ) (رَفْعَهْ) وفي جَدَعَهْ بمعنى قذف به (جَدْعَهْ) ونحوها "[١] .

وهذا كذلك ورد في اللهجات القديمة ولكن تأتي عندهم للضرورة ، يقول ابن يعيش ، فأما قول الآخر :

وما كل مغبون ولو سَلْفَ صَفْقُه * براجع ما قد فاته بَرَدَادِ**

فإنه أراد (سَلَفَ) بالفتح ، وإنما أسكن ضرورة ، فإسكان المفتوح ضرورة وإسكان المضموم والمكسور لغة [٢] .

وقد قيد القدماء هذا التخفيف ببنائي (فَعُل ، وفَعِل) ولم يجوزوا ذلك في (فَعَل) لخفته ، والخفيف لا يخفف ، قال سيبويه : " ألا ترى أنّ الذي يخفف (عضُدا ، وكبِدا) لا يخفف (جَمَلا) ، ولكن ورد ذلك في قراءة أبي عمرو وابن عامر (كل شيء خلْقه)[٣] بإسكان اللام بدل (خَلَقَه) [٤] .

ويقول فوزي الشايب : فمجيء هذه الظاهرة في الشعر والنثر يجعلنا نفسرها على أساس التخلص من تتابع المقاطع القصيرة المجهدة .

فهذه الظاهرة على ندرتها وضيق دائرة استخدامها ماثلة في عامية المنطقة، وأحسب أنَّ انحصارها في هذا الحيز الضيق يرجع إلي أنها لا تجد الاستحسان في المناطق المجاورة لها ، وبالتالي ضعف انتشارها ، وأن القبائل التي نسبت إليها الظاهرة والتي استقرت في المنطقة انكفأت على نفسها ، فحافظت عليها في هذا الحيِّز المحدود . وهي على غرابتها تظهر – مما سبق – أنها لغة قديمة ، هاجرت كغيرها من الظواهر اللهجية إلي المنطقة يقول د . إبراهيم آدم اسحق : " ويبدو أن العامة في منطقة غربي مليط ، وأغلبهم من شعب البرتي ، انتقلت إليهم هذه اللهجة

---

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣١٥ .

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٧ ، ص١٥٢ ، وشرح ديوان الأخطل ، إيليا حاوي ، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٦٨م ، ص٥٢٨ .

(٣)يقول ابن الجزرى ، : " تقدم سكت أبى جعفر ، واختلفوا في (خلقه) فقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام وقرأ الباقون بإسكانها . انظر : النشر في القراءات العشر ج٢ ، ص٣٤٧ .

(٤) فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن ، ٢٠٠٤م ، ص١٣٣ ، انظر ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج١، ص ٣٤٧ .

التميمية منذ وقت مبكر ، لا يدري أحد متى كان ذلك على وجه التحديد ، حين وفدت إليها بطون عربية مهاجرة ، وقد ذكرنا من قبل أن شعب البرتي يضم اليوم بطوناً وعشائر في عباءته من نحو ثلاث عشرة قبيلة عربية معروفة حتى الآن في السودان، فلا يبعد أن تكون هذه الصلات القديمة تركت في لهجة البرتي هذه الظاهرة التميمية النادرة في بوادي السودان الأخرى وقراه "[١] .

وعلى العموم فهذه الظواهر اللهجية التي سبقت الإشارة إليها ليست على سبيل الحصر ولكن أحسبها تكفي للاستدلال على شيوعها في الاستخدام ، وثمة ظواهر لهجية أخرى لم تشملها الدراسة لأنها شائعة في الكلام العامي في السودان ، فجاء التركيز على تلك الظواهر باعتبارها الأكثر شيوعاً والتي تفيض بها منطقة الدراسة ، وبعضها الآخر تنفرد بها المنطقة .

أما من الظواهر اللهجية القديمة التي تكثر في العامية السودانية ، ولها أثر في منطقة الدراسة مثل لغة بلحرث بن كعب ، والموسومة بلغة (أكلوني البراغيث) حيث يلحقون بالفعل علامة الجمع إذا كان الفاعل جمعاً مثل ظلموني الناس [٢] ، ومن الظواهر القديمة كذلك كسر حرف المضارعة ، وكذلك ميل البقارة إلي كسر علامات التأنيث بدل الفتح ، فيقولون : (خمسى وستى وفاطمى) في خمسة وستة وفاطمة ، وهو كسر خالص تشبه تقريباً الكسر في لهجة الشايقية في (ستة) (sitti) ، وهي لغة فصيحة تنتشر في منطقة الدراسة عند قبائل البرتي بخاصة . وغير ذلك من الظواهر اللهجية القديمة التي تفيض بها عامية المنطقة كثيراً .

---

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٣١٤ .

(٢) رمضان عبدالتوب ــ فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، ص٩٨ – ٩٩ .

المبحث الثاني : الألفاظ التي بقيت على فصاحتها :

الظاهرة العامة التي يلحظها الناظر في عامية السودان ، بقاء كثير من الألفاظ والعبارات الفصيحة على حالها الأولى ، لأنها تعبر في البيئة السودانية عمَّا كانت تعبر عنه في البيئة العربية ، ويبدو هذا أكثر ما يبدو في البيئات البدوية سواء في شرق السودان أو غربه أو شماله ، فمعظم المصطلحات الخاصة بالحيوان – وبخاصة الإبل – وما يتصل بها من أكل وشراب وجري وزجر وحل وترحال ، ومرضٍ وصحة ، وما إلي ذلك ، ظلت في كثير من الأحيان على حالها الأولى [١] ، فأنت تسمع جميع الألفاظ التي كانوا يطلقونها على بعرانهم وصغارها ، من مثل الحوار والحاشي ، والفصيل ، والجدع ، والتني (الثني) والرباع ، والسديس ... وغيرها تطابق ما عرف في بادية الجزيرة العربية .

ويمكن القول بأن الألفاظ التي تتعلق بالحيوان والرعي ، وغيرها جاءت مع المهاجرين ، ودارفور بخاصة كانت مستقرة يحترف أهلها التجارة والزراعة ، لذلك كان قاموسها اللغوي يفتقر إلي ألفاظ ودلالات الرعي ؛ لذلك دخلت تلك الألفاظ عامية دارفور بمعانيها ودلالاتها التي جاءت بها ، وحافظت رغم تقلب الظروف وتغير العامية على حالها القديم ، فالأشياء التي تتعلق بالمرعى والسفر في طلب الكلأ والماء وأنواع الشراب والنباتات وغيرها من ألفاظ الرعي من مثل : نش [٢] البهائم، وكربج الجمل ، لنوع من الجري (الكربده) وفصول السنة ، ومواعيد الرحيل : بحثاً عن الكلأ كلها مستمدة من البيئة العربية ، بل أبعد من هذا إذا همَّوا النطق بها أدخلوها في قوالب فصيحة ، يقول لك أحدهم مثلاً : البهيمة (راويتها مليانة) [٣] وحيثما التفت تجد الألفاظ المعجمية حية ، كما كان يستعملها العرب . جاء في لسان العرب : العين من السحاب ما أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها ،

---

(١) عون الشريف قاسم ، عرض أولى لبعض مظاهر الفصحى في عامية السودان ، مجلة الدراسات السودانية، شعبة أبحاث كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، العدد الأول ، ١٩٧١م ، ص٧٦ .

(٢) نش : النش : السوق الرفيق ... والدفع والتحريك أو السوق والطرد ، ويستخدم الراعي غالباً لدفع البهائم من الظل في المساء إلي المراعي ، الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ، باب الشين والنون .

(٣) راوية البهيمة بطنها : يقال هذا إذا تم سقيها وأخذت حظها من العشب . والراوية كذلك الحمل والروايا من يحملون الماء .

يعني قبلة العراق ويقال هذا مطر العين [١] ، والعينة : المطر الـذي يعقـب فتـرة توقف قصيرة ، تعرف في دارفور بالسابنة . وربما أمالوا فقالوا (سَبَنى) .

وهناك ألفاظ دقيقة استعملت بالمعنى القديم نفسه ، فكبار السن في قرى شمال دارفور لا يعرفون لإيقاد النار إلاَّ لفظة ((أوقد)) (أوقِدِي نار) أي (أوقد النار)، وتستخدم هكذا فصيحة ، وربما نطقوا الواو (O) الإنجليزية ، مع تخفيف الهمـزة تحولت الحركة المزدوجة (o)aw إلى ogidoawgid، ويوم yoyawm:m.

وتجد اللهجة تحتفظ أحياناً ، لا بمعنى اللفظ فحسب ، بل بشكله الطارئ أيضاً من قولهم (عَمَنْ أوَّل) من قول العرب (عاماً أول) ، فاحتفظوا بالتنوين مـثلهم ، بل دخلت العامية هكذا (أمنول) [٢] أحدثت فيها العامة ضرباً من الإعلال والإبدال بغرض التخفيف ، فتجد أهل شمال دارفور يقولون : امنول للعام الماضي ، وأول (منول) للعام قبل الماضي ، ومثل ذلك قولهم في التحية جيداً جيت ، وبوابة (جيـداً جيتوا) في مدخل مدينة الفاشر من ناحية المطار معروفة ، وهي تحية مميزة لكـل القادمين من غرب السودان .

وقد سبقت الإشارة إلي أن دارفور كانت مستقرة ، وأهلها يحترفون الزراعة؛ لذلك فإن الكثير من الألفاظ التي تتعلق بالزراعة ، تأثرت بالعربية من قـديم فكلمـة (أوقاى) التي تستخدم عندهم هي من (الوقاية) ، ومعناها ظـاهر يقـول عـون الشريف قاسم : " وقاية : لفة توضع على الرأس لوقايته من أثر الشـيء المحمـول فوقه "[٣] ، والوقاية في تعريف معنى الوقاية كذلك راكوبة ذات شعب قصيرة ترتفع قليلاً من الأرض ، يُوضع عليها المحصول لحمايته من قَرَضَة الأرض من فئـران وغيرها ، وهكذا عرفت في الكثير من بوادي السودان .

---

(١) عون الشريف قاسم ، عرض أولى لبعض مظاهر الفصحى في عامية السودان ، ص٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص٧٧ .

(٣) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، مادة وقاه .

ومثلها كلمة (درَّاى) من الذر لعملية فصل العيش من القشرة بعد الدق ، وتجمع عندهم على درايين أو درايات ، وتقوم بها غالباً النساء في نفير جماعي ، ولها عادات معروفة في موسم الحصاد .

فأصل هذه الكلمة ظاهر (ذر العيش) أي : أن يعرض في اتجاه الرياح لتتم عملية فصل القشرة ونظافته ، يقول تعالى في سورة الكهف : ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[1] وهي مثل غيرها من الكلمات العربية التي حلَّت فيها الدال محل الذال ، وفي لسان العرب : يقال ذَرَتْه الريح وأذرته تذرية إذا أطارته ، وفي القرآن: " والذاريات ذرواً " ، ومن هذا تذرية الناس الحنطة ، وذريتها تذرية وذَرْوأ : نقيتها في الريح [2] .

وهناك كلمات احتفظت بظلال المعاني ، فكلمة (رُب) لعصير العنب أو كل ثمر بعد اعتصارها مثل العنب أو التمر أو غيرهما وفي القاموس المحيط : الرُب بالضم : سلافة خثارة كل ثمر بعد اعتصار[3] تستخدم في منطقة الدراسة للماء يُعكِّر صفوه شيء يخالطه . يقول عون الشريف قاسم :"ربَّ الماء : وجّه حتى تعلو الرواسب "[4] ، وربما قالوا ربرب الماء إذا أعُيد خلطه لكثرة الواردين .

ومن الكلمات التي استخدمت فصيحة كلمة(سكَّر) حيث تستخدم في عامية دارفور في مواضع قليلة بالمعنى ذاته ، يقولون فلان رأسه مُسكَّر أي (عقله) ، لمن لا يستجيب للنصح إلاَّ بصعوبة ، وبعد فوات الأوان ، وفي لسان العرب مادة (سكَّر) سكِّر بصره : أغشى عليه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾[5]، معناها غُطِّيت ... وسُدَّت [6] .

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٥) .

(٢) ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب ، مادة (ذرا) .

(٣) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة رب .

(٤) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، مادة ربَّ ، ص٤٢٩ .

(٥) سورة الحِجر، الآية (١٥).

(٦) ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب ، مادة سكَّر .

وتطلق أحياناً على نوع من الطبل أو الأقفال القوية تسمى بالطبل (المسوكر) ، حصل فيها تبديل لأحد الحرفين المدغمين بالواو للتخفيف . وهذه الكلمة أحسب أنها جاءت إلي المنطقة مع القبائل التي هاجرت من ليبيا لكثرة استخدامها هناك ، وربما لعلاقة الجوار وجدت هذه الكلمة الفصيحة طريقها للاستخدام في عامية أهل المنطقة ، وهي موجودة كذلك في بعض لهجات السودان الأخرى .

وقد اشتقت العامية الكثير من الألفاظ الجديدة من أصول قديمة ، مثل لفظة البيَّاح من باح يبوح إذا ظهر وطلع ، فقد اشتقت هذه الكلمة من الأصل القديم فقد كانت العرب تسمى الشمس (بوح)[١] لظهورها ، وفي القاموس المحيط بوح القمر إذا ظهر واكتمل ضوؤه ، وهذه الكلمة موجودة في أماكن أخرى في العامية السودانية ، ولكنها في منطقة الدراسة ما تزال تستخدم بالمعنى القديم نفسه ، فيقولون لك : انتظر الوقت يبابح – وقد ينطقون الحاء هاءً – إذا عزمت الخروج إلي الخلاء باكراً ، بل أدخلوا عليها أم الحميرية فقالوا (أم بحين أو أم بهين) أي ما يزال الوقت باكراً وغالباً هذا الاستخدام الأخير يقال للوقت قبل غروب الشمس بقليل .

ومن الكلمات الفصيحة العتيقة التي انفردت بها عامية المنطقة كلمة (عوين) للنساء ، وتستخدم للنساء بين الصغيرات والكبيرات في السن ، وقد يوكل إليهن غالباً العمل خاصة في المناسبات العامة لقوتهن وخبرتهن ، وفي سورة البقرة نجد قوله سبحانه في وصف بقرة بني إسرائيل ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾[٢] قال الضحاك عن ابن عياش : "عوان بين ذلك : بين الكبيرة والصغيرة "[٣] وقال السدى : " العوان النصف التي بين ذلك ، التي ولدت وولد ولدها ... وهي أقوى ... وأحسن ما يكون من البقر [٤]، فاستخدام لفظة (عوين) بهذا المعنى ما يزال فاشياً في عامية المنطقة .

---

(١) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة بوح .

(٢) سورة البقرة، الآية (٦٨).

(٣) الحافظ بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج١ ، ص١٥٨ .

(٤) المصدر السابق والصفحة .

وتقول العامة جهجهني من (جهجه) أي اتعبنى قال سيبويه : " (جهجهه) بمعنى أتعب . ذكر أن رجلاً من (أسلم) عدا عليه ذئب ، فانتزع شاةً من غنمه فجهجأه . أراد جهجهه فأبدل الهاء همزة لكثرة الهاءات وقرب المخرج "[١]. وبهذا الاستخدام (جهجه) في عامية المنطقة .

فهذه الألفاظ وغيرها – على فصاحتها – قد خلت منها الكثير من العاميات العربية ، واحتفظت بها عامية المنطقة . يقول خالد محمد فرح في هذا : " وقد لاحظ الباحثون في مجال علم اللغة الاجتماعي Social Linguistics أن الناس الذين يهاجرون من مواطنهم الأصلية ، لأسباب مختلفة ، وتتهيأ لهم فرصة المحافظة على ألسنتهم الأصلية ، تكون لديهم خاصية الاحتفاظ بالألفاظ العتيقة بدرجة أكبر من أهلهم الذين يبقون ويتناسلون في مواطنهم ذاتها "[٢] . وقد مثل لذلك بتمسك الأمريكيين في لهجتهم بلفظة Sloy يعني يذبح أو يقتل ، وهي كلمة إنجليزية قديمة جداً ... في حين يقول الإنجليز Kill . ثم يقول :" وليست اللغة العربية التي انساحت ما بين المحيط والخليج ببدع من هذه القاعدة "[٣] . فالمجموعات التي هاجرت إلي دارفور ، لم تستطع المحافظة على لغتها الأولى، لكنها وإن أصبحت تعاني الهجران في مراكز التعليم في المدن ، فإنها ما تزال تفيض بقدر وافر من تلك الألفاظ في القرى والبوادي .

وبعد فهذه نماذج من الألفاظ الفصيحة في عامية المنطقة ، ليس على سبيل الحصر، فهي إن أُفردت لها دراسة واسعة لأفصحت عن معجم كبير في المفردات الفصيحة .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة جهجه .

(٢) خالد محمد فرح ، غريب القرآن واللهجات العربية المعاصرة ، مجلة دراسات إفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، الخرطوم ، العدد ٢٣ ، ٢٠٠٠م ، ص١٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٦٤ .

المبحث الثالث : طريقتها في (الإعراب (بناء الجملة) ، والتوكيد) :

هذه ليست من أبواب الصرف أو الصوت ، ولكنها نماذج للاستدلال تعكس بعض الجوانب التي تشترك فيها العامية في منطقة الدراسة مع العاميات الأخرى ، إلي جانب بعض السمات التي تعطيها طابعاً يميزها عن كثير من العاميات المتكلمة ، ربما لتأثرها الشديد بلغة الفور بصفة خاصة ، وبغيرها من اللغات الحامية الأخرى في المنطقة ، فمن تلك الجوانب :

١ – طريقتها في الإعراب (بناء الجملة) :

للجملة العربية بناءان مشهوران هما : جملة فعلية ، إذ يتقدم الفعل على فاعله ، وجملة اسمية يتصدرها اسم ، أو ما في معناه ، ويسمى مبتدأ وما بعده هو خبره .

أما العاميات العربية – بصورة عامة – فقد أضاعت الإعراب منذ زمن طويل ، ولذلك احتاطت للتراكيب فيها بوسائل مختلفة بغية الإبانة وعدم اللبس منها: تقديم الفاعل على فعله في الرتبة ، واعتمادها لغة (أكلوني البراغيث) [١] التي لا يعتمدها النحاة ، والتزامها تقديم المبتدأ على الخبر في كل حال ، ونحو ذلك [٢] . ويلعب الإعراب دوراً مهماً في تركيب أجزاء الجملة وإضاءة المعنى ، يقول د . رمضان عبدالتواب : " كانت الجملة العربية تظفر بحرية كبيرة إلي حدٍ ما في ترتيب أجزائها بسبب وجود الإعراب في الفصحى ، والاكتفاء به في كثير من الأحيان للدلالة على وظيفة الكلمة في الجملة ، ومن هنا تعددت أشكال الجملة العربية من ناحية موقع كل جزءٍ منها ، فجملة مثل : (ضرب محمدٌ علياً) يمكن أن تقال في العربية الفصحى بأوجه أخرى : (ضرب علياً محمدٌ) أو (ضرب محمدٌ علياً) أو (علياً ضرب محمدٌ) ، تبعاً لاختلاف المقصود من الكلام ، والجزء الذي يعني المتحدث إبرازه أكثر من غيره ... فلما فُقد الإعراب كان الواجب أن

---

(١) رواة الفصحى تلك اللهجة (لغة أكلوني البراغيث) وهو اصطلاح ينطوي على شيء من السخرية والاستهجان .

(٢) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٠٣ .

يلزم بناء الجملة نظاماً واحداً ، وهو ما حدث في اللهجات العربية الحديثة ، (محمد ضرب علي) بتقديم الفاعل والتثنية بالفعل ثم الإتيان بالمفعول "[١] .

وعامية دارفور في هذا مثل غيرها من العاميات الحديثة التزمت تقديم الفاعل على الفعل ، إذ تراهم يقولون : (أحمد فات لفاشر) أي سافر أحمد إلي الفاشر و(آدم مشى لوادي) أي ذهب أحمد إلي الوادي . وقد أورد الدكتور إبراهيم في كتابه بعضاً من الأمثلة عن لهجة المنطقة منها : " وفي حالة النفي تراهم يقولون أيضاً : (أحمد ما جى) (أ/ح/مد/ما/ج/ي) ! مقدمين الفاعل على الفعل و (على ما لقيتو) أي لم ألق علياً ، كما تراهم يقولون في حالة الاستفهام : (أحمد ولا لقيته) ؟ أي : ألم تلق أحمد ؟[٢] ... وهكذا .

كذلك من السمات التي تشترك فيها العاميات الحديثة والتي حافظت عليها العامية في منطقة الدراسة : إثبات ضمير الجماعة في الفعل مع وجود فاعله ، مثنى كان أو جمعاً ، متقدماً على الفعل أو متأخراً عنه ، وإن كان عبدالمجيد عابدين يرى أنها كانت فاشية في كلام العرب من قديم يقول : " ولكن هذه اللهجة في الواقع كانت فاشية في كثير من كلام العرب الأوائل وأشعارهم ، حتى ذهب قومٌ من النحاة إلي أنه لا يلزم تجريد الفعل من علامة التثنية والجمع إذا أُسند لواحد منهما مثل : رجال كتلو ، أي قتله الرجال " [٣].

وقد عبَّر عنها ابن مالك في كتبه بلغة (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) [٤]. والعربية استخدمتها متى أمنت اللبس ، وردت في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٥]، وقوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[٦] وقوله سبحانه :﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي

---

(١) د . رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٢) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٠٤.

(٣) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٨٦ .

(٤) ابن هشام ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١ ، القاهرة ، ج٢ ، ١٩٦٢م ، ص٨٥ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية (٣) .

(٦) سورة الحُجُرات، الآية (٩).

رَبِّهِمْ﴾[1]، فهذه العربية مع أنها لغة معربة لكنها كثيراً ما تعتمد على فهم السامع أو إذا أمن اللبس فيقول أحدهم أحياناً : محمد وعلي حضروا بدلاً من أن يقول (حضرا) . يقول محمد خليفة التونسي : " وقد يحدث هذا في الفصيحة ... وقلما يُلتفت إليه مع أنه من سنن العربية ، ولهذا يدهش من يفاجأ به ... وقد يظنه خطأً أو لحناً ، ومن ذلك ما ذكر أن الشعبي كان يتحدث في مجلس عبدالملك بن مروان فقال: (رجلان جاءوني) ، فقال عبدالملك : "لحنت يا شعبي "، قال : يا أمير المؤمنين ، لم ألحن مع قول الله تعالى : " هذان خصمان اختصموا في ربهم " ، فقال عبدالملك : " لله درك يا فقيه العراقيين ، قد شفيت وكفيت "[2]. فنراهم يؤثرون هذه اللغة وهي عندهم فاشية ، وفي مواقع كثيرة من السودان يقولون مثلاً (المسلمين صلوا) في صلى المسلمون ، و(الطيبين ماتوا) في مات الطيبون ، و(الصايمين فطروا) في أفطر الصائمون وهكذا .

وسمة أخرى نجدها في لهجة المنطقة وهي شائعة كذلك في العاميات ، هي استغناؤها عن الإعراب وتسكينها أواخر الكلم ، وهذه كذلك يرى الدكتور عبدالمجيد عابدين أنها ليست من مبتدعات اللهجة الحديثة ، بل قديمة قدم اللغات السامية نفسها يقول : " وليست الاستغناء عن الإعراب من مبتدعات اللهجة الحديثة كما قد يظن البعض ، وإنما يرجع إلي جذور بعيدة في التاريخ ، واللغات السامية التي وصلت إلينا باستثناء البابلية والآشورية ، والفصحى لغات غير معربة "[3].

ولهجة شمال دارفور مثلها مثل سائر اللهجات الحديثة التي تخلَّصت من إعراب الحركات والحروف ، فالكلمة تنتهي بالسكون ، وكلٌ من المثنى والجمع يبنيان على الياء دائماً ، ولا تكترث لحذف نون المثنى أو الجمع في حالة الإضافة ، يحذفونها أحياناً ويثبتونها أحياناً فيقولون مثلاً : كرعينيّ وأدينيّ في رجلينى وأدياتى، ورجلياتي ، وتجد من يقول كُرَعَى واضْنَيْ في بوادي المنطقة التي تعمها

---

(١) سورة الحج، الآية (١٩).

(٢) محمد خليفة التونسي ، كلمات في الدارجة أصيلة لا دخيلة ، من مجلة (كتاب العربي) ، مطبعة الكويت الحكومية ، الكويت ، ١٩٨٥م ، ص٣٢ .

(٣) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٨٧ .

المجموعات العربية ولكن بصورة عامة ، فالعامية المستخدمة تثبت نون المثنى ، فيقولون رجليني ويدَّينى، ربما قالوا رجلياتى وأيدياتى – عند البرتي بخاصة – وبهذا الاستخدام أو قريب منه يذكر الدكتور عبدالمجيد عابدين أنها تستخدم في لهجة أهل اليمن : يقول عابدين : " وأهل عدن يقولون : (لرجليه ويديه رجلينه ويدينه ... وقس عليه) [١]. وفي هذا ربما أفادت اللهجة في منطقة الدراسة من اللغات المحلية الكثيرة ؛ فهي تزيد في الكلمة إذا احتفظت بالحروف الواردة في أصل الكلمة ، وهذا مجال واسع تميزت به عامية المنطقة " يقولون مثلاً رجلياتي وايدياتي ، ورجلياتو وأنافينو في أنفه وهكذا .

من ناحية أخرى فإن عامية المنطقة وإن اختفت منها مظاهر الإعراب ، مثل غيرها من العاميات الحديثة ، فإنها تحتفظ بتنوين الفتح في حالة التنكير ، وهذه تعرفها العامية السودانية بصفة عامة ، وقد تحدث عنها الدكتور عون الشريف قاسم واستشهد له بالمثل السوداني (كل شاةً معلقة من عصباتها) ، وإن كان ابن يعيش يرى أنها لا تطابق أي نوع من أنواع التنوين التي تحدث عنها القدماء ، فقد أوردها الدكتور عبدالمجيد عابدين باعتبارها من السمات التي تميزّ العامية السودانية ، ومن بقايا التنوين التي احتفظت بها يقول : " واللهجات السودانية تفتح ما قبل نون التنوين، والتنوين فيها سمة تميزها عن كثير من اللهجات الحديثة ، فهي تميل إلي إلحاق نون مسبوقة بفتحة في أواخر الأسماء والصفات ، فيما عدا أسماء الأعلام ، وهي ظاهرة عامة في كلامهم في الشعر مثلاً : بلدك بعيدن جبده ، أي بلدك مسافته طويلة "[٢]. وهي من الظواهر التي احتفظت بها العامية في منطقة الدراسة.

لم تتجرد اللهجات العربية الحديثة كلها من آثار الإعراب ، فما تبرح هذه الآثار ظاهرة في أقوال البداة في مواطن مختلفة من العالم العربي ، كأنها تجميد لبقايا يستحيل عليها العدم التام ... إذ كأن طبيعة هذه اللغة العربية تأبى أن تفقد ظاهرة الإعراب إلي الأبد [٣]. نجدهم يقولون : فلان راجلاً أجواد ، أو زولاً أخو

---

(١) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص٨٨ .

(١) د . صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص١٢٥ .

أخوان ، أي كريم كذلك ، ومن الغناء المحلي تقول إحداهن في الوصف : أبـــ ســـناً جنيهاً فكَّه : تريد صاحب السن الأبيض ، أي من شدة بياض سنه حتى كأنها العملة النقدية المصنوعة من الفضة ، وقد تحدث عنها الدكتور عبدالمجيد عابـــدين ويـــرى أنها موجودة كذلك في العامية المصرية وإن كانوا يميلون دائماً إلي كســـر حركـــة التنوين فمن أمثالهم : يا فرحةٍ ما تمَّت خدها الغراب وطار ، أي يا فرحة لـــم تـــتم أخذها الغراب وطار [١].

٢ – التوكيد :

التوكيد تكرار وإحاطة ، فالتكرير ضربان : تكرير لفـــظ وتكريـــر معنـــى ، فتكرير اللفظ أن تعيده على نحو ما تقدم ، ويتبع الاسم والفعل والحرف والجمـــل . وتكرير المعنى نفسه وعينه ، ويتبع الاسم المعرفة مطلقاً ، والتوكيد المعنوي يكـــون بألفاظ ثمانية : كل وكلا والنفس والعين ، أجمع وأكتع ، وأبصع وأبتـــع ، ويتفـــرع منها بحسب أحوال المؤكد تثنية وجمعاً تذكيراً وتأنيثاً [٢] ، والتوكيد تكرار يُراد بـــه تثبيت أمر المكرر في نفس السامع . ويقول ابن فارس في أهميته : التوكيـــد يزيـــل التوهم ، ففي قوله سبحانه وتعالى : "يقولون بألسنتهم" فذكر الألســـنة لأن النـــاس يقولون : قال في نفسه كذا ، ومنه قوله تعـــالى : " ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾[٣] فبالتوكيد أزال التوهم ، ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى : "﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾" [٤]. إنما قال هذا لنفي احتمال أن يكـــون أحـــدهما واجباً : إما ثلاثة وإما سبعة [٥] .

---

(١) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٨٨ .

(٢) أبو موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولي ، المقدمة الجزولية ، تحقيق د . شعبان عبد الوهاب ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

(٣) سورة المجادلة ، الآية (٨) وانظر : أحمد بن فارس الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص٤٦٢ .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٩٦) .

(٥) ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة ، ص٤٦٢ .

غير أن عامية دارفور سلكت مع التوكيد هذا المسلك نفسه في جانب منه ، وخالفته في جوانب أخرى ، إذ يعتبر التوكيد من الجوانب التي أخذت فيها العامية قدراً من الانطلاق في التعبير ، فجادت بأساليب بعضها من مترادفات المعنى ، وبعضها الآخر على قدر كبير من الغرابة ، فمن مسلكها في التوكيد اللفظي والذي وافقت فيه طرائق التوكيد المعروفة .

أ/ أنها عمدت إلي تكرار اللفظ كما هو الحال في الفصحى وكقول أحدهم للآخر : (راكوبتك دُىّ ضله بارد بارد) : أي هذه الراكوبة ظلها بارد أو : اليوم دىّ شمس حار حار : يشكو من حرارة الشمس وهكذا .

ب/ وربما أكدوا الصفة بالمصدر على سبيل المفعول المطلق ، كقول أحدهم للآخر محدثاً إياه عن أسد كبير قتلوه أو رأوه بأعينهم فعجبوا منه : أسداى دى كبير كُبُر [١] ... أو بعيد بُعد أو سمح سماح وهكذا .

وقد يضاف لفظ (واحد) بعد المصدر زيادة في التوكيد ، فتراهم يقولون كبير كبر واحد ، أو بعيد بعد واحد أو سمح سماحة واحد وهكذا .

وربما استخدموا مع تأكيدهم الوصف ومبالغتهم فيه كلمة (قاسى) لا لتدل على القساوة ، وإنما لتدل على انفراد الموصوف بتلك الصفة التي لا نظير لها [٢] ، وأحسب أن أصل كلمة (قاسى) هو (قاصى) ليكون المقصود أنهم بلغوا بالموصوف من درجات الوصف أقصاها فأبدلت الصاد سيناً .

ومثلما استخدموا كلمة (قاسى) في الوصف استخدموا في معناها كلمة (شين) لتدل على الإفراط في الاتصاف بالصفة ، يقول د . إبراهيم : " وربما وصفوا الشيء بكلمة (شين) لا للدلالة على قبحه ، كما يتبادر إلي الذهن ، وإنما للدلالة على إفراطه في الاتصاف بتلك الصفة ، فنرى أحدهم يقول في وصف مكان بعيد : بعيد بعد شين " [٣] وأحياناً يجمعون بين ضدين (سمح وشين) مثل قول أحدهم : (بنَّيه سمح شين) أي هذه الفتاة أو البنت مفرطة في الحسن .

---

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٤٣.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٤٤ .

(٣) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٤٤.

هذه بعض أساليب التوكيد اللفظي التي تكثر في منطقة الدراسة وهناك أساليب أخرى تجدها عند الرُحَّل أو المجموعات العربية بخاصة مثل بالحيل ، وكل وبمنع ، وتنفرد (بالحيل) وحدها بين هذه المؤكدات أنها قد تأتي في أول الكلام وفي آخره ، فيقولون مثلاً : بالحيل المكان بعيد أو المكان بعيد بالحيل .

ج/ أما أساليب التوكيد المعنوي فإن عامية دارفور استخدمت منها ما هو مؤكد (بالذات) و(بالنفس) دون غيرهما وذلك كقول أحدهم للآخر مخبراً إياه عن شخص سمع به ولم يعرفه : (زول داك ترى فلان زاتو) وربما قال : هو زاته (بإبدال الذال زاياً) ويستخدمونها صحيحة كأن يقول طفل صغير شاكياً صديقه أنه فعل فعلة منكرة فيقول للآخر : هو زاتو (أو إنت زاتك) يريد وأنت كذلك وهكذا .

طريقتها في (القلب والاشتقاق) :

١– القلب :

قال ابن فارس في باب القلب : " ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكلمة ، ويكون في القصة ، فأما الكلمة فقولهم : (جذب وجبذ) ... " [١] .

وقال ابن دريد في الجمهرة : "باب الحروف التي قلبت ، وزعم قومٌ من النحويين أنها لغات ، وهذا القول خلافٌ على أهل الفقه ، يقال : جبذ وجذب وما أطيبه وما أيطبه ، وربض ورضب ، وأنبض القوس وأنضب وصاعقة وصاقعة ... ولفحته بجمع يدى ولحفته وبكبكت وكبكبته ... وكلام حوشى ووحشى "[٢] . ورغم الخلاف الذي يظهر بين أهل اللغة والنحويين حول هذه الظاهرة ؛ فإنه لا ينفي وجودها .

وفيهم من وضع قاعدة لمعرفة أصل القلب وذلك بالرجوع إلي المصدر ، يقول السيوطي : " ... وإن كان من بين أهل اللغة من يرى أن هذا لا يُعدَّ قلباً ، وإنما هو لغة لقوم آخرين ، ولكنهم إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً لئلا يلتبس بالأصل ، من نحو يئس يأساً وآيس مقلوب منه ، ولا مصدر له ، فإذا وجد

---

(١) ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، ص٣٢٩ .

(٢) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج١ ، ص٤٧٦ .

المصدران حكم النحاة بأن كلَّ واحدٍ من الفعلين أصل وليس بمقلوب من الآخر "[١] . وقد أرجع الدكتور أحمد علم الدين الجندي القلب في العربية إلي جملة أسباب منها : جرياً مع التخفيف وأحياناً يكون السبب فيه التوهم السمعي ، ويرجع بعضه إلي أخطاء الأطفال التي لا تجد من يتصدى لها بالتصحيح يقول : " يرجع سبب القلب في الميل إلي التخفيف اللفظي فبعضنا يقول (مفلعص) وبعضنا قد يرى في ذلك صعوبة فينطقها (مفعلص) ... وكثير من أهل بيروت لا يميزون بين (قعد) بمعنى (جلس) و(عقد) بمعنى ربط ، فيخلطون بينهما ... كما يحدث القلب من أخطاء الأجيال كأن يخطئ الطفل في ترتيب كلمة ولا يجد من يصحح له خطأه ؛ فتصبح الكلمة ذات صورة جديدة في لهجته ، فيحل الخطأ الجديد محل الصواب القديم ... ، وقد يكون من أسبابه التوهم السمعي ، فقد تسمع (حفر) فتتوهم أنك سمعت (فحر) ... " [٢] . ويذهب عدد غير قليل من أهل اللغة إلي اعتماد هذه الأسباب في القلب يقول رمضان عبدالتواب : " إن الكثير منها – أي الألفاظ المقلوبة – من باب الخطأ والتوهم ... ومصدر هذا الخطأ هو العامة الذين تتعثر ألسنتهم في نطق بعض الألفاظ فيميلون إلي التقديم والتأخير"[٣]

وتحدث كذلك عبده الراجحي عن أسبابه فقال : " والواقع أنه ظاهرة لغوية واضحة لا يصح إنكارها ، ونحن نلحظها كل يوم في لغة الأطفال الذين لا يستطيعون نطق بعض الألفاظ الكثيرة التي يسمعونها كل يوم ، فيقلبون بعض حروفها مكان بعضها الآخر ، نلحظها في لغة العامة ... "[٤] .

وقد أشارت المصادر إلي قدم هذه الظاهرة وأنها فاشية لم تنج منها شقيقات العربية من قديم ، يقول الجندي : " ... فكلمة (رَكْبَه) تراها في الأكاديه birke وفي العبرية berek ، وفي الآرامية burka، وفي الحبشية berk لكن العربية آثرت

---

(١) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ،ج٦، ص٤٨١ .

(٢) أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٨م ، ج٢ ، ص٦٥٥ .

(٣) د . رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٥٨ .

(٤) عبدالفتاح الجمور ، ظاهرة القلب المكاني في العربية ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص٣٢ .

الصفة المقلوبة (ركبه) ، وهي الفرع ، وأعرضت عن الأصل (بركَه) ، بـدليل قولنا (برك الجمل) ... وكما نسمع صداه كل يوم في لهجاتنا العربية الحديثة مثـل : الزحالف للزلاحف والمعلقه للملعقة ، كما ينطق أهل الجزيرة بالسودان : تماينه فـي ثمانيه ، بايمة في بامية " [١] .

أما في منطقة الدراسة فتبدو هذه الظاهرة أكثر شيوعاً ، فقد انحرفت الكثيـر من الكلمات في عامية المنطقة ، جرياً على سنن القلب وأسبابه التـي مـن بينهـا التخفيف ، وكثيراً ما نجد القلب يتبعه الإبدال ؛ فتراهم يقولون خلبات ولخبات مـن الأصل (خلَّط) قالوا خلبط ولخبط . وخلبات للذي كثيـراً مـا يخلـط الأمـور ، ومشكاشه في مكشاشة ، والأصل من (مقشة) التي ينظف بها ، وتكون عـادة مـن سيقان نبات المحريب أو غيره . وهكذا ، يبدلون الحروف ويقلبون بحثاً عن اللفظـة الخفيفة في النطق ، حيث التخلص من صعوبة نطق بعض الحـروف بتقـديمها أو بتأخيرها من نحو ينعل ويلعن ، وأنارب في أرانب ، وإشتان في عطشان ، وعنجـه في نعجه ، وشلع في شعل ، وبَتْ في تَبْ ، وشخشخة في خشخشه ، ونجـض فـي نضج ، وهناك نوع من (الدخن) يعرف بالنجَّاض يتحمل الجفاف وينضج في فتـرة وجيزة وبقليل من الماء . فالكثير من الألفاظ المستعملة في عامية المنطقـة تـأثرت بأحد أسباب القلب سابقة الذكر فبدت وكأنها غريبة ، ولكن تظل هذه الظـاهرة مـن الوسائل التي تلجأ إليها اللهجات لتطويع اللغة ، وربما يكون بعضها لهجات قديمة، وأحسب أن كل تلك الأسباب من تخفيف وتوهم سمعي وخطأ كلها تبدو واضـحة ، ألقت بظلالها على عامية المنطقة ، وجعلتها في بعض الأحيان غريبة ، وأوحت في بعضها الآخر بقرب الصلة بينها وبين اللهجات القديمة .

٢/ الاشتقاق :

يُعرَّف الاشتقاق بأنه نزع لفظ من آخر بشـرط مناسـبتها معنـىً وتركيبـاً وتغايرهما في الصفة [٢] . وقال ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) : " الاشـتقاق أخـذ صفة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادة أصلية ، وهيئة وتركيب لها ليـدل بالثانيـة

---

(١) أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، ج٢ ، ص٦٥٦ .

(٢) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص١٣٣ .

على معنى الأصل ، بزيادة مفيدةٍ ، لأجلها اختلفا حروفاً وهيئة كضارب من ضرب، وحذرٌ من حذر " وزاد السيوطي (وهيئة وتركيب يبدل الثانية) ، أو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى ، [١] .

والأصل في الاشتقاق أن يكون من المصادر ، وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة ، والصفات منها ، وأسماء المصادر والزمان والمكان ، ويغلب في العلم ، ويقلُّ في أسماء الأجناس كغراب يمكن أن يشتق من الاغتراب ، وجراد من الجرد [٢] .

وقد تكلَّم عليه لغويو العربية من وقت مبكر ، واختلفوا في أنواعه كما اختلفوا في مدلول كل نوع ، ولكنهم يتفقون في أنه علم تطبيقي ، لأنه توليد لبعض الألفاظ من بعض ، والرجوع بها إلي أصل واحد ، يُحدد مادتها ويوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد ، وهو وسيلة من وسائل نمو اللغة وتوالد موادها وتكاثر كلماتها [٣] .

ومن ناحية أخرى يتم من خلاله تحديد مادة الكلمة وربطها بأخواتها وبالمجموعة التي تنتسب إليها ، فلا يلتبس الفرع بالأصل يقول السيوطي : " إن منفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرجل اللفظة ، فيشك فيها ، فإذا رأى الاشتقاق قابلاً لها آنس بها وزال استهجانه منها ، وهذا تثبيت للغة "[٤] .

أما في أنواعه فقد غلب الكثير من العلماء تقسيمه إلي أنواع أربعة : اشتقاق صغير ، ويعني به الاشتقاق الصرفي ، وكبير وهو الإبدال اللغوي ، وأكبر يعني به

---

(١) ابن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق عبدالسلام هرون ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ص ٢٦ ، والسيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص٣٥٠ .

(٣) د . صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ط١٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م ، ص١٧٤ ، وصالح سليم الفاخرى ، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، القاهرة ، ص٢٣٣ .

(٤) السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، د . ط ، دار المعارف ، حلب ، ص٤٤ .

التقليب مثل تقاليب (ج ب ر) ، وكبَّار (بالتشديد) ويعني به النحت مثل : بسمل وحمدل وحوقل وغيرها[١] .

وإذا كانت العربية الفصحى تحتفظ بقوالب اشتقاقية ثابتة فإن اللهجات الحديثة قد انصرفت رويداً رويداً عن الاشتقاق التقليدي ، ومالت إلي التطور الخارجي فزاد فيها عدد اللواحق واختلف من لهجة لأخرى ، يقول جريجوري شرباتوف في هذا : " والمعروف أن عدد اللواحق المستعملة في اللغات السامية في الأزمنة القديمة كان قليلاً وهي (an , iy , awi , ut , it) وتستعمل في العربية خمس لواحق ، ويزداد عدد اللواحق في جميع اللهجات العربية إلي أكثر من عشرين وحده ، ويجدر بالذكر هنا أن اللواحق في اللهجات يتميز بكثرتها عدداً ، بل بتعدد وتفرع المعاني الجديدة "[٢] . وقد أرجع أسباب اتساع مجالات اللواحق في اللهجات ، ولغة المخاطبة إلي زوال الإعراب وابتذال صيغ الاشتقاق فيها ، وهذا نجده بصورة أكثر توسعاً في منطقة الدراسة ، وأحسب أن الاشتقاق فيها بالإضافة إلي العوامل سابقة الذكر يرجع إلى التأثر الشديد للهجتها العامية باللغات الحامية التي تحيط بها من كل جانب ، فنجد بعض اللواحق فيها ترجع بأصولها إلي لغة الفور فالصورة (نقا) و(نجا) التي لا وجود لها في العربية تعمل لاحقة في الكثير من الكلم في لهجة المنطقة خاصة في بعض العادات المحلية فمن المهن عندهم (شلانقى) للبصير الذي يعالج العميان، وغيرها ، وهذا جانب في تطور الألفاظ تسلكه اللهجات فتكثر من خلاله اللواحق المستخدمة يقول جريجوري شرباتوف في هذا : "والاشتقاق في اللغة الفصحى أسلوب رئيس لنشأة ألفاظ جديدة ، بينما نرى في اللهجات نزعة واضحة في نشوء المفردات بواسطة اللواحق إلي درجة كبيرة ، وهذا ما يسمح لنا أن نعتقد أن اللهجات تميل أكثر فأكثر إلي التطور الخارجي ، وبالتالي تنتقل من طرق الاشتقاق إلي استعمال اللواحق في تطور الألفاظ "[٣] . ومع هذا ما يزال الكثير من اللواحق

---

(١) انظر : السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٣٤٧ .

(٢) د . جريجورى شرباتوف ، دراسة مقارنة لبعض مزايا الاشتقاق في اللغة الفصحى واللهجات ولغة المخاطبة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٥٤ ، ١٩٨٤م ، ص١٧١ .

(٣) د . جريجورى شرباتوف ، دراسة مقارنة لبعض مزايا الاشتقاق في اللغة ، ص١٧١ .

المعروفة تستخدم في عامية المنطقة ، بل ويمكن إرجاع كثير من الألفاظ العامية فيها إلي مصادرها الأصول من خلال الاشتقاق بعد تشذبها من بعض اللواحق الموغلة في العجمة . فمن اللواحق المعروفة والتي يكثر استخدامها في المنطقة : لاحقة: a:wi مثل غرباوى ، زغاوى ، قوَّازى للقادم من الريف أو القوز .

كذلك لاحقة (iyya) لتكوين المفاهيم التجريدية ، ونجدها كذلك في مواضع أخرى في عامية أهل السودان . يقولون مثلاً حُمورية قلب (بكسر اللام) تعني عندهم الحسد ، ويقولون أزرق زروقية أي (شديد السواد) ، ويتم هذا في منطقة الدراسة بإضافة (جنس) أحياناً أزرق جنس زروقية ، وتعني التفرَّد من غير مثال ، وهذه اللاحقة شائعة في لهجة شمال دارفور ، حتى إن بعض الألفاظ التي تقع في دائرة اللاحقة (a:ni:) في لهجة أهل السودان تجنح بها إلي هذه اللاحقة ، فكلمات مثل جوَّاني وبرَّاني تستخدم محلها جوانية وبرانية ، فهي لا تعرف هذه اللاحقة إلاَّ في كلمة (شرانى) فتستخدم فيها صحيحة يقولون : (شرانى) وهي خصلة للشخص كثير الشر .

فيما عدا هذه اللواحق فإن صور الاشتقاق الأخرى لا تختلف عنها في العربية يقول السيوطي : " قولهم : شجرتُ فلاناً بالرمح ، تأويله جعلته فيه كالغصن في الشجرة "[١] . فنجد مثلاً كلمة (نجقِّدى) من آلة (الجُقُدى) لنوع من السيوف فقد يقول أحدهم لأخيه وقد تشاجرا : " والله نجقدى جنس تجقَّد " ، أي نضربه بالسيف ضرباً .

وقد اشتقوا (الرُشاش) لأول الخريف من رش المطر وهو أول نزوله فيقولون (ناس دار صعيد راششوا) أي بدت عندهم بوادر الخريف ، وربما قالوا خرَّفوا إذا عمتهم الأمطار وهكذا ... من نحو نبكروا للخروج باكراً أو (نُونسُّوا) من الأنس والمؤانسة ، وغير هذا نجد العامية في المنطقة قد اشتقت الكثير من الألفاظ الجديدة من أصول قديمة مثل الوقت (بابح) من البواح والظهور . وبصورة عامة نجد العامية في منطقة الدراسة بجانب حفاظها على صور الاشتقاق المعروفة

---

(١) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص٣٥١ .

انتقلت منها إلي استعمال اللواحق في تطور الألفاظ فيها مستفيدة من الأثـــر الكبيـــر الذي لحق بها جرَّاء تداخلها وصراعها الطويل مع اللغات المحلية .

الفصل الرابع

الخصائص الصوتية للهجة شمال دارفور

المبحث الأول : الأصوات المعدولة عن مستواها الصوابي .

المبحث الثاني : الأصوات التي لا وجود لها في العربية .

المبحث الثالث : التنوع في نبر المقاطع (أسبابه ودواعيه) .

المبحث الرابع : المماثلة والمخالفة وشيوعهما في عامية شمال دارفور .

الفصل الرابع

الخصائص الصوتية للهجة شمال دارفور

تعريف الصوت :

يعتبر الصوت ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة ، وعنصراً فعالاً من عناصرها، وإذا بحثنا عن الدلالات المعجمية لهذه الكلمة نجد أنها قد جاءت بمعانٍ لا تكاد لا تختلف عن بعضها بعضاً ، فقد جاءت بمعنى الجرس ، وبمعنى النداء والصياح .

جاء في لسان العرب مادة (صوت) " الصوت : الجرس ، وقد صات يصوِّت ويصات صوتاً وأصات وصوَّت به : كله نادى . ويقال : صوَّت يصوِّت تصويتاً فهو مصوِّت ، وذلك إذا صوَّت بلسان فدعاه ، ويقال : صات يصوِّت صوتاً فهو صائت معناه صائح " [١] .

وقد ورد هذا المعنى أيضاً في الصحاح حيث جاء : " الصوت معروف والصائت : الصائح ، وقد صات الشيء يصوت صوتاً ، وكذلك صوت تصويتاً "[٢].

وفي (القاموس المحيط) الصوت بمعنى النداء : أصات يصوِّت ويصات نادى ، كأصات وصوَّت ، ورجل صائت صيت [٣] .

من ناحية أخرى فقد اتفقت المعاجم اللغوية على أن الصوت قد يأتي بمعنى الذكر الجميل الذي ينشر في الناس فيقال : ذهب صيته في الناس ، وأصله من الواو، وإنما انقلبت ياء لانكسار ما قبلها ، كما قالوا (ريح) من الروح ، كأنهم بنوه على فعل بكسر الفاء للفرق بين الصوت المسموع وبين الذكر المعلوم [٤] . غير أن الجوهري في الصحاح قد خصص إطلاق لفظ الصيت للذكر الجميل دون غيره ، لكن ابن منظور يرى أنه يحمل المعنيين معاً الجميل والقبيح .

---

(١) لسان العرب مادة صوت ، ج٢ ، ص٥٧ .

(٢) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٢٥٧ .

(٣) القاموس المحيط ، ط٢ ، ج١ ، ص١٥٨ .

(٤) لسان العرب مادة صوت ، ج٢ ، ص٥٨ .

وكذلك أجمعت المصادر على أن لفظ (الصوت) مذكر ، لأنه مصدر كالضرب والقتل ، لكنه ورد في بعض المواضع مؤنثاً على ضرب من التأويل ، فيتقاضى عن حقيقة اللفظ إلى المعنى الذي يرمي إليه القائل مثل قول رويشد بن كثير الطائي :

يا أيها الراكب المزجى مطيَّته

سائل بنى أسد ما هذه الصوت (١) .

واتفقوا كذلك في أن الصوت يشمل الإنسان والحيوان ، أو كل ما يصدر عن الإنسان وغيره ، فهو صوت ، وفي القرآن الكريم :﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾(٢). وإذا كان من العلماء من ذهب هذا المذهب ومنهم ابن سنان الخفاجي ؛ فإن الدكتور جعفر ميرغني يقول : " الصوت اسم عام لجميع ما يقع في السمع ، وكل حرف من القول إذا كان مما يسمع فهو صوت ... فالصوت يعم ويخص ، يعم كل ما يُسمع ويخص طنين وترى الحناجر " (٣) . وأحسب أن هذا التعريف للدكتور جعفر ميرغني تلخيص لما ذهب إليه الدكتور عبدالغفار حامد هلال، فالصوت عنده نوعان : عام وخاص ، فالصوت العام هو الصوت الطبيعي ، ويراد به الأثر السمعي الذي ينشأ من اتصال جسم بآخر أو هو الحدث الذي يختص السمع بإدراكه ، وينشأ من التقاء جرمين أحدهما بالآخر، والمراد بالأثر السمعي هنا تلك الظاهرة الطبيعية ، والتي هي عبارة عن الذبذبات والاهتزازات الصادرة عن الجسمين الملتقيين التي تنتقل إلى الهواء في شكل موجات متتالية إلى أذن السامع . أما الصوت الخاص فهو الصوت اللغوي ، ويراد به الصوت الصادر من جهاز النطق عند الإنسان ، الذي ينشأ من اصطدام الهواء

---

(١) لسان العرب مادة (صوت) ، ج٢ ، ص٥٧ .

(٢) سورة لقمان، الآية (١٩) .

(٣) جعفر ميرغني ، جرس اللسان العربي ، د. ط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الخرطوم ، ١٩٨٥م ، ص٣٢ .

الخارج من الرئتين بالأوتار الصوتية في الحنجرة ثم يمر خلال الفم أو الأنف حتى يصل إلى أذن السامع [١] .

المبحث الأول : الأصوات المعدولة عن مستواها الصوابى :

سبقت الإشارة إلى أن العوامل التي أدت إلى سيادة العربية في مستواها الدارج في إقليم دارفور أدت كذلك إلى احتفاظها بمجموعة من الخصائص والصيغ التعبيرية تستخدم على ألسنتهم وحدهم ، إلى جانب اختلافهم في طابع بعض الأبنية والتراكيب ، هذه وغيرها مقومات تجعل من منطقة الدراسة نموذجاً يستحق الوقوف ويثير الاهتمام ، وليس المقصود بهذا الحكم استقلال هذه اللهجة ، فتبعيتها ليست مرهونة بوجود بعض الخصائص المشتركة أو الخاصة ؛ لأن الألفاظ في الواقع كالعملة ، كثيرة التنقل متشعبة الرحلة ، وشعب دارفور أكثر ولعاً بالرحلة والتسفار ، فقد حملوا الكثير من التراث الاجتماعي إلى حيث يسيحون ، واستقوا كذلك من ألفاظ الآخرين ، فتجد في كلامهم لغة أم درمان والجزيرة ، ولغة صعيد مصر لما للرحلة عن طريق درب الأربعين من أثر قديم ، وأحياناً تجدهم يرومون النطق الفصيح في بعض كلامهم محاكاة منهم لبعض القبائل العربية ، ولكن تبقى للهجة المتكلمة في المنطقة طابعها المميز ، إذا وضعنا في الاعتبار أثر المداخلة اللغوية التي تمت والظروف التي واجهت العربية في هذا الإقليم ، فلغة البلاط الملكي في فاشر السلطان لغة حامية (لغة الفور) ، وكذلك عند مجموعات أخرى كبيرة مثل قبائل الزغاوة، والميدوب، وغيرهم ، فهذه وغيرها من العوامل التي جعلت اللغة المتكلمة تخرج بأصوات تختلف كثيراً عن سابقاتها المعيارية التي بها تم وصفها في كتب العلماء العرب ، فأغلب اللغات الحامية تفتقر (الألف باء) فيها لأصوات بعينها ، مثل أصوات الإطباق والأصوات الحلقية ، فتضطر إلى إبدالها أو تحريفها ، وقد ترفد هذه اللغات الحامية اللغة المتكلمة – جرياً مع قوانين الغلبة اللغوية والتأثير والتأثر – بأصوات جديدة لم تكن للغة عهد بها ، كل هذه الأسباب وغيرها تعدل بالأصوات عن مستواها الصوابى . والجاحظ يسمى هذه الظاهرة باللكنة إذا أُدخل

---

(١) عبدالغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ط٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٢٣ .

بعض حروف العجم في العربية ، وجذبت لسانه العادة ، وضرب لذلك أمثلة يقول : " ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلاَّ أن يجعل الجيم (زاياً) ولو أقام في عليا تميم ، وفي سفلى قيس ، وبين عجز هوازن وكذلك النبطي القح ..." (١).

لذلك تجد المتكلمين باللغات الحامية تأبى عليهم عاداتهم اللغوية التي جبلوا عليها نطق أصوات العربية نطقاً صحيحاً ، فيضطرون إلى إبدالها بحروف قريبة منها في المخرج ، أو استعاضة أصوات من لغتهم محلها ... ليسهل عليهم النطق بها، وقد نقل عبدالتواب عن أبي الحاتم الرازي في هذا الشأن قوله : " وسائر اللغات الفارسية ، فإنها قصرت عن العين والغين ، والحاء والقاف ، والطاء والظاء، والضاد والذال والثاء ، حتى لا يوجد في لغتهم الأصلية كلام يتكلم به على هذه الحروف ، فإذا أرادوا أن يتكلموا بكلمة عربية أو معربة في بنيتها حرف من هذه الحروف ، قلبوا ذلك الحرف إلى حرف قريب الحيزِّ أو المدرج منه ، أو حرف يُشمُّونه ذلك المعنى ، كما قلبوا الحاء إلى هاء في (محمد) (مهمد) ، وقلبوا العين إلى الهمزة ، ممدودة مهموزة فأشموها معنى العين وهكذا " (٢) . فالكثير من الحروف العربية اعتراه التبديل والتغيير في عامية المنطقة جرياً مع العادات اللغوية لهذه القبائل ؛ لأن (الألف باء) لديها تفتقر إلى هذه الأصوات ، وقد أشار إلى هذه العادة في الإبدال (فندريس) بقوله : " لاحظ علماء اللغة أن الشعب الذي يتخذ لغة جديدة يطبق عليها أحياناً عوائد النطق في اللغة التي تركها " (٣) . فهذه وغيرها من الأسباب تركت أثراً في اللغة المتكلمة في منطقة الدراسة ، جعلتها تأخذ طابعاً مميزاً خاصة في نواحي الصيغ والتراكيب ، وطرائقها في نبر المقاطع ، لذلك هذه تفرقة تقوم على دراسة بعض الخصائص الصوتية نتعرض من خلالها للأصوات بالوصف المفصل لصفاتها نبين من خلالها التغيَّرات التي طرأت عليها وأثر كل ذلك في عامية المنطقة، ولكن يحسن بالباحث من الوجهة المنهجية أن يتم أولاً تقسيم هذه

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٧٠ .

(٢) رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله ، ص٦٨ .

(٣) فندريس ، اللغة ، ص٨٢ .

الأصوات المعدولة عن مستواها الصوابي إلى مجموعات : مجموعة الأصوات الحلقية خاصة تلك التي تفتقر إليها اللغات الحامية مثل صوت الحاء والغين والعين ، ثم الأصوات المطبقة كصوت : الصاد والضاد والظاء والطاء وصوت القاف وهو صوت لهوي بالإضافة إلى الأصوات الأسنانية اللثوية التي تحوَّلت هي الأخرى إلى أصوات غيرها من الحروف ، وذلك مثل الثاء والذال ونحوهما ، وهي كما ذكرنا تعد من أصعب الأصوات نطقاً لمن لم تكن العربية لغته الأم ، لذلك غالباً ما يبدلونها بأصوات أخرى لتسهل عليهم في النطق وتقرب من هذه الحروف في المخرج والصفة ، ومن الأصوات :

١/ صوت العين :

والعين صوت مجهور مخرجه وسط الحلق وموقعه عند (الخليل) أقصى الحلق ، وهو أبعد الحروف مخرجاً يقول : " فأقصى الحروف كلها العين ، ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين ... " (١) .

وقد عدَّ هذا الصوت عند القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وذلك لضعف ما يسمع لها من حفيف عند المخرج إذا قورنت بالغين ، لذلك هي عندهم أقرب إلى حروف اللين ، يقول إبراهيم أنيس : " فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى ، ولكن ضيق مجراه عند مخرجه أقل من الغين مما جعل العين أقل رخاوة من الغين "(٢) .

وصوت العين من الأصوات التي وقعت تحت التأثر باللغات الحامية المنتشرة في منطقة الدراسة ، فالعربية المتكلمة في مستواها الدارج في قرى دارفور تخلصت من صوت العين فأبدلتها بما يسهل عليهم نطقه لا بما يقاربه من الحروف في المخرج والصفة على ما تقضي به قوانين علم الأصوات ، وكل ذلك لتأثرهم بلسان الفور وهو يفتقر لهذا الصوت . يقول إبراهيم على طرخان : " أما العين فتنطق في بعض لهجات السودان همزة ... ، فالاسم (علي) يكتب على الطريقة الصوتية (ألي)

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، المقدمة .

(٢) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٧ .

... " [١] . ومن ذلك أنهم ربما أبدلوا العين ياء محضة ، وذلك فيما إذا وقعت مكسورة بعد مقطع طويل مفتوح كقولهم (قايد) يريدون (قاعداً) و(قيدين) يريدون (قاعدين) وربما قالوا (فايل خير) يريدون (فاعل خير) ، و (تاي) يريدون (طائع) [٢] كأن يقول أحدهم للمركوب الفاشري المصنوع من الجلد مركوب (تاي) إذا كان مرناً وهي من علامات الجودة في الجلد وهكذا .

وربما أبدلوا هذه العين إلى ياء محضة إذا سبقت بكسرة في مقطع قصير مفتوح أو مقفل ، وذلك نحو قولهم (بييد) يريدون (بعيداً) ، و(سييد)يريدون(سعيداً) أو (صعيداً) حسبما يقتضي به سياق الكلام ، وقالوا (نييل) أي : نعيل يريدون (لعيناً) وقد أحدثوا فيه قلباً مكانياً كما هو ظاهر ، وقالوا (نييز) يريدون (نعيزاً) مقلوب عنيز تصغير عنز وهي أنثى المعز [٣] .

وربما أبدلوا هذه العين بما يجانس حركة ما قبلها وذلك من نحو قولهم (مشألاب) في (مشلعاب) [٤] ، لقاعدة من السعف ينسج ويعلق في وسط (التكل) أو (القطية) لحفظ الأشياء .

وقالوا (ماهد) في (معهد) و(سير) يريدون (سعراً) وهو الثمن الذي به يعرض البائع بضاعته للمشتري ، وقالوا (باشوم) في (بعشوم) بمعنى الثعلب .

و(نيمه) ونيماتونييمه في نعمة ونعمات ونعيمة حدث كالآتي : أولاً : قلبت العين همزة ، (nicma)ni□ma. يقول إبراهيم آدم إسحق: " ذلك أنهم أضاعوا العين حين صعب عليهم نطقها ، فقلبوها ياء محضة ، تبعاً لحركة ما قبلها وهي الكسرة ، وذلك بسبب تأثرهم بلغتهم الحامية ، التي لا يوجد فيها هذا الحرف الحلقي السامي ، وكان بمدينة الفاشر شخص من ذوي السلامة اسمه (أود ود سبر نيمه)

---

(١) د. إبراهيم على طرخان ، في محاضرة عن الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٩٦٩م ، ص٣٤ .

(٢) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨٨ – ٨٩ .

(٣) القاموس المحيط ، ج٢ ، ص١٢٨ .

(٤) مشلعاب كلمة نوبية يستخدم هكذا في دارفور وفي أواسط السودان مشلعيب وتعني حبلاً من السعف أو من لحاء الشجر أو نحوهما يعقد بطريقة خاصة ويعلق في راجل البيت يحفظ فيه الأشياء وبخاصة الأطعمة (عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية ، ص٧٤٤) .

معدوداً في النوكى والحمقى ، مات بها سنة ١٩٦٥م ، وإنما هو (عوض ولد الصبر نعمه) فأضاعوا العين في (عوض ونعمه) بسبب ما يجدونه من صعوبة في نطقهـــا ، كما أبدلوا الصاد وهو حرف مطبق سيناً محضة "[١] .

(ود الصبر نعمه)

{س} {ء} سقطت الهمزة وأطيلت الكسرة فصارت (نيمه) .

وربما أبدلوا العين همزة لمجيئها صدراً من ذلك قولهم (إيـــد) فـــي (عيـــد) و(إيال) في (عيال) و(أُمر) في (عمر) (وإتمان) في عثمان ، يستوى في ذلك الكسرة والفتحة والضمة إذا تصدَّرت الكلمة ، وكلها بقصد التخفيف وهروبـــاً مـــن مخـــرج الحلق لصعوبته عليهم ، وإذا اضطروا حذفوا وأبدلوا مثل (سُميين) فـــي إســـماعيل فاستغنوا عن الهمزة في صدر الكلام ، وأبدلوا العين ياءً ثم خالفوا بين اللام والنون وهكذا . وربما أبدلوا فيه العين همزة لمجيئها بعد حركة قصيرة أو طويلـــة قـــولهم (لئب) يريدون لعباً ، و(سأب) في صعب ، وتأب في تعب (وسئد) في نبات (السُعد) الذي يكثر عندهم في المزارع وفي مراقد المياه أيام الخريف [٢] .

ويبدو من خلال الأمثلة التي سبقت في إبدالهم العين همزة خروج ظاهر على ما هو معروف في أساليب العربية ، فقد كان هذا الإبدال شائعاً في أساليب العربيـــة من قديم ، وقد عقد (ابن جني) باباً في كتابه (الخصائص) أســـماه (بـــاب تصـــاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ومما جاء فيه :" ومنه الأسف والعَسف ، والعـــين أخـــت الهمزة كما أن الأسف يعسف بالنفس ، وينال منها ، والهمزة أقوى من العين كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف ، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين "[٣] . وقد أورد لهذا الإبدال الإمام السيوطي في(مزهره) جملة صالحة من الكلم ، من ذلك قوله : " ومن الهمزة والعين : آديته على كذا وأعديته أي قويته وأعنته ، وكثـــأ اللبن وكثع ، وهي الكثأةوالكثعة ، وهي أن يعلو دسمه وخثورته على رأسه في الإناء

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص٩١ .

(٣) ابن جني ، الخصائص ، ج٢ ، ص١٤٦ .

، وموت زؤاف وزعاف ، وهو الذي يعجِّل القتل ... وهو السأف والسَّعف ، والأُسن : قدير الشحم وبعضهم يقول : العسن " [١] .

ومما أبدلوا فيه العين همزة لمجيئها في تركيب يجعلها واقعة في مقطع قصير مقفل قولهم : الله (مآنا) أي : (معنا) ، ويا رب (تفزآنا) أي تفزعنا من الفزع : وتعني عندهم العون والمدد ، ومن أمثالهم : الكداديبتلاتة : زول جيى من بئيد ، وشايب ما إندو نديد ، وشايب أبيد أي : إن الكذابين في مجالس الأنس ثلاثة أشخاص : أولهم المعمِّر الذي مات كل أنداده ، فإنه ربما حدث بما يُعد تزيداً ، وثانيهم الشخص الذي قدم من بلاد بعيدة لم يرها أحد ممن يحدثهم عنها ، فربما اختلق من الأحداث والمشاهد التي يزعم أنه عاشها بما لا يستطيع أحد انتقاده فيها ، وثالثهم المملوك المعمِّر الذي ربما أخبر عن رَفه العيش الذي كان يكتنفه في حجر مالكيه الأوائل ، أو ربما أخبر عن مغامرات ومعارك خاضها مع سيده ، وليس له شاهد عليها إلاَّ هو نفسه [٢] . فالكلمات : (بئيدوإندو وأبَيد) هي على الترتيب تعني: (بعيد وعنده وعبيد) فأصل الهمزة موضع العين وقالوا : الله يجأل البركة ، دعاء في أن يبارك الله لهم في الأمر (وتور تأنه) أي طعنه الثور وهكذا .

وفي كل الذي سبق فإنهم يلجأون أو يعدلون عن صوت العين إلى الهمزة والألف يتفادون ويتحاشون من خلاله هذا الصوت الحلقي الذي يجدون صعوبة وعسراً شديداً في نطقه ، وربما نطقوا العين بين بين أي بين الهمزة والعين خاصة إذا أعقب العين الهمزة وذلك نحو : أعوج وأعرج وأعتقه فإنهم ينطقونها على الترتيبأءوج ، آوج ، أرج ، أوج ، أتقه وأقبه ، في أعقبه وهكذا ، وقد يسقطون العين تماماً إذا جاءت في نهاية الكلمة ، و ربما أسقطوا العين ألبتة في نطقهم إياها لوقوعها متطرفة في بناء ثلاثي من نحو سبوع وهو ختام اليوم السابع للأفراح والأتراح عندهم يقولون فيها (سبو) وقالوا ممنو في ممنوع ، وجمَّا فيمن اسمه جمَّاع وأحياناً يخففونها يقولون زرى في زرع بإمالة عين الثلاثي ، وفرى شجرة أي فرع وهكذا .

---

(١) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص٤٦٢ .

(٢) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٩٣ .

٢/ صوت الحاء :

الحاء في مجموعة الأصوات الحلقية صوت مهموس وهو نظير العين . يقول إبراهيم أنيس : " والحاء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين ، فمخرجهما واحد، ولا فرق بينهما إلاَّ في أن الحاء صوت مهموس ، نظيره المجهور العين " [١] . وقال الخليل : " فأقصى الحروف كلها العين ، ثم الحاء ، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من مخرج العين ... " [٢] . ويتم نطقه بتضييق فتحة الحلق عن لسان المزمار ، مع نتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يتصل بالجدار الخلفي للحلق ، أو يكاد ، في حين يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي فيحتك الهواء الخارج من الرئتين بلسان المزمار ، والجدار الخلفي للحلق عند نقطة تقاربهما فيحدث نوعاً من الضيق [٣] .

ولما كانت صحة أداء الأصوات العربية في الكلام تختلف في دارفور من منطقة لأخرى ، وذلك بحسب تقبل المجموعة السكانية فيها للمستوى الصوابى من جهة ، ولبعدها عن الأخذ بلكنة أعجمية من جهة أخرى ، فإن جمهور المتكلمين باللغة العربية في دارفور يظهرون هذا الحرف في نطقهم إياه ، ولكن بدرجات متفاوتة في حين أن هناك بعض المظاهر التي تدل على انحراف نطقها عن المستوى الصوابى في دارفور ، وفي منطقة الدراسة بخاصة ، فمن ذلك أنهم يقلبون الحاء ألفاً محضه خاصة إذا جاءت بعد مقطع قصير مقفل أو جاء متطرفاً في أول الكلمة فمثال الأول قولهم (إساخه) في (إسحق) . وأما إذا تطرف في بناء ثلاثي أو رباعي (في أول الكلمة) ربما عوضوا الحرف المحذوف بالمد مثل (آمد) في (أحمد) وفي (محمود) (مامود) ، (أأمد آمد)a: mad a madahmad←

وربما قلبوا الحاء ياء خالصة خاصة إذا جاء في مقطع طويل مفتوح ، فنجد من يقول في (واحد) (وايد) ، وعند البرتي بخاصة في شمالي الفاشر يقول أحدهم

---

(١) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٧٠ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، المقدمة .

(٣) د . تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص١٠٣ .

(ودتك) أي واحد فقط ، وهكذا ، وربما قالوا جزاك (إيسان) في جزاك (إحسان) لمن أسدى إليهم معروفاً .

وربما بلغ التأثر مدى بعيداً في بعض القرى النائية التي تتاخم جماعة ما ليست العربية لسانهم الأساس ، فتنقلب الحاء إلى ما يجانس الحركة التي تحركت في بناء الكلمة فتنقلب إلى (هاء) أو قريب منها يقول د . إبراهيم : " وذلك للصعوبة التي يجدونها في نطق هذا الحرف الحلقي ، فنراهم يقولون : " سايي أو ساهي يريدون صاحياً من نومه ، وذلك بالقلب المكاني فيه ، وقالوا (تاوونه) أو (تاهونه) في طاحونة ... كما قالوا (تيين أو تهين) في الطحين ... ونحوه من النطق المعدول عن جهته بتأثير العجمة " [١] . وهذه الظاهرة تتركز بصورة واضحة في مناطق شمالي الفاشر وإلى الشمال الغربي حيث قبائل الميدوبو الزغاوة ، فالنظام الصوتي عند هاتين القبيلتين تفتقد تماماً لهذا الحرف الحلقي ، فامتد هذا الأثر ليشمل مناطق واسعة من شمال دافور وغربه ، وقلب الحاء (هاء) [٢] ظاهره شائعة في هذه المناطق ففي (حمار) يقولون (همار) ، و(هرامي) في (حرامي) للسارق أو اللص ، و(هداهيد) في حداحيد للحدادين ، (هبارى) في حبارى للطائر البري المعروف وهكذا .

وربما أسقطوا الحاء ألبتة في كلامهم لوقوعها متطرفة [٣] وهذه الظاهرة تكثر عند قبائل البرتي ، ربما لأثر البيئة ومجاورتهم للمجموعات سابقة الذكر ، ولكنهم في حالة إسقاطها يعوضون عنها بمد الحركة التي قبلها نحو (صالي) في صالح ، (فالي) في فالح و(بلا) في بلح و(صايا) في الصياح ، وهي منطقة مشهورة شمالي مدينة مليط والعبارات المشهورة عند ظرفاء المنطقة عن الصياح

---

(١) انظر د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٩٩ .

(٢) انظر : د . قاسم عثمان نور ، الصعوبات التي تواجه تعليم اللغة العربية في مناطق التداخل اللغوي ، مركز قاسم للمعلومات والمكتبات ، ١٩٩٧م ، هذه دراسة أجريت في مدارس كرنوى وأمبرو في شمال دارفور .

(٣) انظر د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٩٩ .

وهي خالصة لقبيلة البرتي أنهم سئلوا يوماً فأجابوا : " أنَّا برتى شخل[١]صـــايا) أي نحن البرتي من الصياح .

وقالوا (دار صبا) في دار الصباح ، وهو في عرف أهــل دارفــور الــبلاد الواقعة على النيل في السودان الأوسط ، قالت إحدى الخالات وهي تغني في قــرى شمال مدينة الفاشر :

نمشي لدار صبا نتــاجــر الأريــا

طبله بــلا مفتــا خسار شبابي ورا

تريد نمشي لدار الصباح لنتاجر الأرياح ، وفي القديم العطور تصل إلى دارفور من دار الصباح خاصة عطور العرسان مثل (بت السودان)[٢]وغيرهــا مــن العطــور المحلية (طبله بلا مفتا ، الطبلة القفل المعروف بلا مفتاح تزم بهذه العبارة زوجهــا أي أنه رجل أمي لا يعرف القــراءة والكتابــة) . إذن هــو لا يحســن التصــرف فإستعاض بدلاً عنها كلمة (طبله بلا مفتا) فهو غالباً لا يسافر ليحقق لها أحلامهــا ، كذلك قالت : خسار شبابي ورا أي راح بمعنى ذهب وولى . الشاهد هنا في حــذف الحاء المتطرفة . وهو كذلك من اللغة المبتذلة التي اتخذت للتندر والســخرية فــي منطقة الدراسة ، في قول أحدهم وقد سئل عن أغنام ضلت عن القطيــع فأجــاب : (روا رى) أي راحوا ريح ، والريح عندنا يعني الشمال ، مصدر الريــاح الشــتوية التي تأتي من الصحراء ، إذن هو يريد اتجهت شمالاً ، فهذه وغيرها مــن النمــاذج تدل على صعوبة هذا الصوت الحلقي ، وأن محلها غالباً الإبدال أو الحذف .

---

(١) شغل في اللغة المحلية من ألفاظ الملكية وأحياناً للشيء كما هو في كلمات الأستاذ الصافي صالح النور الصافي عن سلام دارفور يقول :

نقعدوا في ضرانا نحلوا مشكلتنا *** نوقوا راكبتنا نعرفوا وين غلطتنا

كل زول يسوي شغل قدر قدرته

أي بقدر ما يستطيع ينطقونها بقلب الغين خاءً

(٢) بت السودان : نوع من العطور محلية الصنع وتظهر عليها صورة لفتاة بالزي القومي السوداني .

٣/ صوت الغين :

صوت الغين من الأصوات التي كثيراً ما تأرجح نطقها في عامية أهل السودان ، فإذا كان هذا الصوت أكثر شيوعاً واستخداماً في وسط السودان ، وأنه حل محل القاف أو كاد ، فإنه في دارفور لا يواجه الأهلون في نطقه صعوبة خاصة في القرى الكبيرة والمدن ، فقد تسمع هذا الصوت صحيحاً في كلمات من نحو (غلب) ، و(رغيف) ، و(غنم) ، و(صمغ) ، وغير هذا من الكلمات كثير ، ولكن في نطق أهل القرى النائية أو تلك التي تجاور المجموعات التي تتكلم اللغات الحامية ، وفي شمالي مدينة الفاشر وغربها ، وبخاصة عند البرتي فإن هذا الصوت قد انحرف عندهم كثيراً .

وصوت الغين حسبما ما جاء وصفه في كتب اللغة : صوت طبقي رخو مجهور ، يقول (ابن جني) في وصفه : " الغين حرف مجهور مستعل " [١] . وهو من مجموعة الأصوات الحلقية ، يقول (إبراهيم أنيس) عن مخرجه : " هو صوت رخو مجهور ، مخرجه أدنى الحلق ، فعند النطق به يرتفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيتحرك الوتران الصوتيان ، ثم يتخذ مجراه في الحلق ، حتى يصل إلى أدناه إلى الفم ، وهناك يضيق المجرى ، فيحدث الهواء نوعاً من الحفيف ، وبذلك تتكون الغين " [٢] . ولكن في قرى دارفور ، وفي المناطق التي سبقت الإشارة إليها، تحوَّلت الغين إلى خاء ، وذلك في موضعين ، الأول وقوع الغين في مقطع طويل مفتوح في بدايته أو في نهايته ، كقولهم في "زاغ" بمعنى مال أو عدل : (زاخ) ، ومن ثم قالوا زخاوة في زغاوةللشعب الزغاوى المعروف [٣]. وربما قالوا خبار في غبار . والثاني : وقوع الغين في مقطع قصير مفتوح أو مقفل ، فإن قالوا دار (خرب) فإنهم يريدون غرباً ، وقالوا (خلط) في غلط ، وتكثر عندهم (خَلْتَان) في مجالس الجودية ، فيرددونه للشخص الذي يعتدي على حق غيره ، أي : غلطان ، أو لأحد الزوجين إذا بان لهم موضع التقصير والخطأ في تصرفه ، وقالوا (فرِّخ)

---

(١) ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ص٢١٥ .

(٢) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٧٠ .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٠١ .

في فرغ الماء إذا أفرغت ما في القربة أو الإناء مثلاً ، كما قالوا (دباخ) في دباغ الذي تحلل طعمه فأصبح كالمدبوغ بالقرظ ، وإنما هو دباغ ، وهو التفه من الأطعمة [١].

ويبدو أنهم في عدولهم من الغين إلى الخاء قد آثروا السهولة والخفة ، فأبدلوا الغين بحرف من مخرجه أو نزلوا إلى نظيره المهموس وهو الخاء ، فهما عند الخليل من حيز واحد ، وذلك قوله : " ... فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد ، بعضها أرفع من بعض ، ثم الخاء والغين في حيز واحد ، حلقية كلهنَّ " [٢] وقال إبراهيم أنيس : " الخاء تشترك مع الغين في كل شيء ، غير أن الغين صوت مجهور نظيره المهموس هو الخاء " [٣]؛ لذلك نجد هذه المجموعات في إطار بحثها عن السهولة والخفة ، أبدلت الغين خاءً ، فلا تسمع في نطقهم إلا الخاء ، وأحياناً صوت بين بين في كلمات من نحو (خَفَلَه) في (غَفْلَه) ، بفتح عين الفعل من السكون ، وكذلك في خبيَ يريدون غبياً من الغين وهكذا .

٤/ صوت القاف :

تناول علماء اللغة المحدثون صوت القاف في العربية بالبحث والدراسة ، وتنوعت آراؤهم حول هذا الصوت ، من حيث الصفة والمخرج ، فهو صوت يخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى عند القدامى ، ويأتي في ترتيب الأصوات بعد الغين والخاء ، فهو عند الخليل بهذا الترتيب (غ خ ق ك) [٤] لا قبلها كما يرى المعاصرون .

ويبدو أنه من الأصوات التي تأثرت كثيراً بالتغيرات التاريخية في العربية ، فإن اتفق أغلب القدامى والمحدثين من علماء اللغة حول مخرجه من أقصى اللسان – على رأي سيبويه – فإنهم قد اختلفوا حول الصفة ، فقد علل أحد المعاصرين سبب

---

(١) التفه من الأطعمة ما ليس به طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة ، اللسان ، ج١٧ ، ص٣٧٤ ، والقاموس المحيط ، ج٤ ، ص٢٧٧ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، المقدمة .

(٣) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٧١ .

(٤) انظر : الخليل بن أحمد ، العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرَّائي ، دار مكتبة الهلال ، بغداد، ١٩٨٦م ، ص٥٣ .

هذا الاختلاف بقوله : " ومن غير شك فإن القدامى من علماء اللغة العربية كانوا يتحدثون عن القاف التي كانوا يسمعونها في العربية الفصحى التي كانت سائدة في أزمنتهم ، ثم المعاصرون ، ووجدوا أن القاف الموجودة في العربية المعاصرة ليست صوتاً مجهوراً كما جاء عن القدامى ، وإنما هي صوت لهوى انفجاري مهموس ، وفقاً لمقاييسهم للجهر والهمس "(١). فهو إذن يرجع تباين وجهتي نظر الفريقين حول القاف للتغيرات التاريخية وللمراحل التي قطعتها القاف وصولاً إلى صورتها التي عليها في الفصحى المعاصرة ، مع الأخذ في الاعتبار أن لصوت القاف صوراً للنطق متعددة ، لذلك إذا تتبع الباحث في استقصاء آراء هؤلاء العلماء تمهيداً للوقوف على صورتها في منطقة الدراسة ، يمكن إجمال تلك الآراء في الآتي :

أ/ مخرج القاف عند القدامى كما نقله سيبويه عن الخليل : "مخرج القاف أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى"(٢). وعند ابن جني : "من أقصى اللسان ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف ، وهي عندهم صوت مجهور" . وفي ذلك يقول سيبويه : " ومن الحروف الشديدة ، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ، وهو الهمزة والقاف والكاف ... فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف" (٣).

ب/ أما عند المعاصرين فإنهم يرون أنها بتقدُّمها إلى الأمام قليلاً في المخرج فقدت صفة الجهر التي كانت قد وُصفت بها عند القدامى ، وصارت مهموسة .

يقول د . تمام حسان : " وهو صوت لهوى شديد مهموس ، له بعض القيمة التفخيمية ، ولكنه ليس مفخماً تماماً ، إذ يتم نطقه برفع مؤخرة الحنك حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ، مع رفع مؤخرة اللسان حتى تتصل باللهاة كذلك ، في حين ينفتح الوتران الصوتيان في وضع تنفسي لا في وضع الجهر " (٤) . لتكون بذلك قد

---

(١) محمد بن سالم المعشني ، القاف بين القدامى والمعاصرين ، مجلة الدراسات اللغوية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، السعودية ، العدد الرابع ، ٢٠٠٦م ، ص٦٦ .

(٢) ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج ١، ص ٣٤ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج٤ ، ص٤٣٤ .

(٤) د .تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص٩٦ .

دخلت في عداد الأصوات المهموسة ، وهذا قريب من رأي الدكتور إبراهيم أنيس الذي قال بتحول مخرجها من الوضع الذي حدده القدامى ، بأن تقدم إلى الأمام قليلاً فصار إلى الهمس أقرب ، يقول : " فقد كان هذا الصوت مجهوراً ... في حين صار الآن صوتاً مهموساً بحسب ما ينطق به قراء القرآن الكريم في العالم الإسلامي " (١) وكذلك عبدالصبور شاهين ، فقد ذكر في حديثه بأن صوت القاف قد تخلى عن صفة الجهر في العربية المعاصرة ، فقال : " على أنه مما ينبغي أن نذكره ما عرض لبعض أصوات العربية من تطور ، فيما يتعلق بالجهر والهمس ، فقد ذكر القدماء وإمامهم سيبويه ، أن أصوات القاف ، والطاء ، والهمزة ، من بين الأصوات المجهورة ، فإذا استثنيت الهمزة لثبوت عدم معرفة القدماء بطبيعتها – ولا حرج ولا تثريب عليهم في ذلك – فإن صوتي الطاء والقاف يكونان قد تعرضا للهمس خلال القرون ، وصارا ينطقان بوصفهما الجديد مهموسين ، عند قُرّاء القرآن ، وهم المقياس المثالي لسلامة النطق الحرفي للصوت " (٢). وعلى العموم فإن الشقة بين ما ذكره القدماء والمعاصرون حول هذا الصوت ليست بعيدة ، وأن التطور الذي لحق بصوت القاف أفقدها بعض صفات الجهر ، وهو رأي رمضان عبدالتواب الذي يقف في منتصف المسافة بين الفريقين حول هذا الصوت ، فقد خصص له في أحد كتبه مقالاً بدأه بالإشارة إلى التغيرات التاريخية التي لحقت بالقاف في العربية ، ثم ذكر أنه من خلال المقارنة في اللغات السامية أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان وإلصاقها باللهاة لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول فجأة مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ، ثم ذكر بأن اللغويين العرب قد وصفوا القاف بأنه صوت مجهور ، فإن صدق هذا الوصف ، فهو يرى أن صفة الجهر بقيت في نطق القاف في أغلب اللهجات العربية المعاصرة لكن مع تقدم مخرجه إلى الأمام قليلاً (٣).

---

(١) د .إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٢٠ .

(٢) د . عبدالصبور شاهين ، علم الأصوات ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص١١٢ .

(٣) د . رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس ، ص١٢٤ .

غير أن العاميات العربية المعاصرة اتخذت تجاه نطق القاف مواقف مختلفة ، فالعامية المصرية أبدلت القاف همزة محضة ، وذلك بانتقال مخرجها من اللهاة إلى الحلق فاتحدت مع الهمزة في المخرج ، فقالوا : (أمر) في (قمر) ، و(ألم) في (قلم)، و(حأ أ ه) في (حققه) وهكذا ، وللدكتور رمضان عبدالتواب رأي يذهب فيه إلى أن نطق القاف همزة له أصل قديم يرجع إلى عصور الفصاحة الأولى ، وقد أوردت كتب اللغة والمعاجم أمثلة كثيرة على ذلك ، فقد ورد في القاموس : " ... والقوم (زهاق) مائه (وزهاء) مائه ، أي قريب من ذلك ، (وزنَّق) على عياله و(زنَّأ عليهم) إذ ضيق عليهم فقراً أو بخلاً " (١).

ولصوت القاف في اللهجات السودانية ثلاث صور فهي تنطق كنطق الحرف (g) في الكلمة الإنجليزية (go) (ق) ، وتنطق مشوبة بالغين ، وتنطق كافاً في بعض الكلمات ، وشذت عامية دارفور حين نطقت بها خاءً ، وقد عدَّد الدكتور عبدالمجيد عابدين تلك الصور الثلاث لنطق القاف ، وكان يرى أن لتلك الصور أصلاً قديماً صدرت عنه يقول : " فقد تنطق كنطق الحرف (g) في الإنجليزية (go) ، وهو النطق الأصيل في لهجاتهم ، والغالب عندهم ، وتنطق كافاً في عدد من الكلمات ، وتنطق مشوبة بالغين في حالات معينة ، ولكل صورة من تلك الصور مصدرها القديم"(٢).

ويبدو أن الغالب في نطق السودانيين للقاف تخرج متعطشة بين القاف والكاف وذلك لقرب مخرجيهما ، فتظهر في كلمات من نحو (قلم ، قام ، قبه ، بُقعه) ... إلخ . وتكون إلى الكاف أقرب عند مجيئها في آخر الكلمة ، يقول د . عبدالهادي محمد عمر تميم : " وعندما يقع الصوت (قاف) في آخر الكلمة ينطقه السودانيون ما بين القاف من أقصى الحلق والكاف ، مع اهتزاز الحبال الصوتية (تخفيف جزئي للصفات الصوتية) ، ومن أمثلة ذلك : (مدق) (مدك) وفي (بَرَق) (بَرِك) " (٣) للبرق

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زنق) .

(٢) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٤٣ .

(٣) عبدالهادي محمد عمر تميم ، بعض الظواهر الصوتية (الفنلوجية) في العربية السودانية ، ط١ ، دار جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، ١٩٩٧م ، ص٨٢ .

وهكذا ، وتقلب كافاً في كلمات من نحو (قتل) كتل وفي (وقت) وكتَ ، وبرتكان في برتقال (بقلب اللام في آخر الكلمة نوناً) ولنطق القاف كافاً في العاميات العربية المعاصرة أصل قديم ، فقد وصفه الفيلسوف الرئيس ابن سينا بقوله : " وأما الكاف التي تستعملها العرب في عصرنا هذا بدل القاف ، فهي تحدث الكاف ، إلاَّ أنها أدخل قليلاً والحبس أضعف" [١]. وهو صورة من صور القاف المهموسة التي انتشرت في لهجات نجد القديمة والتي عبرَّ عنها القدماء بلغة تميم ، فقد رووا لشاعر تميم قوله :

ولا أكول لكدر القوم كد نضجت

ولا أكول لباب الدار مكفول[٢].

فمخرج القاف قد تحوَّل إلى الوراء قليلاً عن اللهاة ، وليس أدخل من هذا في لهجة السودانيين ، كما هو عند إبراهيم أنيس ، حيث تحوَّل في نطق المصريين إلى حرف الهمزة الذي مخرجه الحلق ، يقول د . إبراهيم آدم إسحق : "على أن مخرج القاف قد تحوَّل في لهجة السودانيين إلى الوراء قليلاً من موضعه حيث صارت القاف تنطق من اللهاة تماماً كالكاف ، وذلك في بعض الكلم من نحو كتلو ، أي قتله ، وكتال : قتال ، وقالوا : الوكت يريدون الوقت ... "[٣]. وبلدة كتال في شمال دارفور معروفة حيث تحوَّل اسمها إلى دار السلام ولكن ما تزال التسمية القديمة هي المشهورة .

ومن صور نطق القاف في لهجات السودانيين ، أنها تحولت في أواسط السودان إلى الغين ، لا يشاركهم في هذا في العاميات المعاصرة إلا أهل جنوب العراق كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس ، بل يرجح أن تكون القاف الفصيحة في صورتها القديمة تقترب من نطق هاتين المجموعتين ، واستدل على شيوع هذه الصورة من صور النطق في لهجات السودانيين من إفادة المعلمين المصريين الذين

---

(١) ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق د .طه عبدالرؤوف سعد ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ص١٠ .

(٢) السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص٢٢٢ .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٠٦ .

يدرسون في السودان [١] ، وهذا فيما أحسب مأخوذٌ من وسط السودان ، فهذه الصورة من صور النطق لا تكاد تجد لها أثراً في السودان الغربي ، أشار إلى هذا عبدالمجيد عابدين ، وهو يعدِّد صور نطق القاف عند السودانيين ، فهي القاف المشوبة بالغين ، وتخرج من أقصى الحنك رخوه مجهورة ، وهي شائعة في لهجات السودان ، وتظهر أشدها في الشرق والشمال ، وتقل كلما اتجهنا غرباً حتى تختفي عند عرب دارفور) [٢] . فلا تسمع في وسط السودان وفي الجزيرة (في قراها بخاصة) نطقاً للقاف تفارق الغين إلاَّ نادراً ، أو حين يرتفع أحدهم إلى اللغة الجادة ، (فقال) عندهم أصبح (غال) ، (وبقاله) : (بِغالة) ، ونراهم ينطقون الاستقلال بالغين و(الغوات) في (القوات) وهكذا . يقول الأستاذ الدكتور يوسف الخليفة أبوبكر : " إن القاف في العامية السودانية تنطق كافاً مجهورة ، مثل صوت ال(g) في الكلمة الإنجليزية (go) ، وهناك من ينطق القاف غيناً صريحة في مثل : غنبله ، مراغب ، غوس ، يريد : قنبلة ومراقب وقوس ، لذلك فالسودانيون في قراءتهم للقرآن يبدلون القاف غيناً ، أو شيئاً قريباً من الغين ... " [٣] .

وهكذا أصبح قلب القاف غيناً ظاهرة شائعة يصعب حصرها في كلمات بعينها كما هو عند المصريين ، فقد أشار الدكتور رمضان عبدالتواب إلى وجود هذه الظاهرة في العامية المصرية، لكنها تكاد تنحصر في كلمتين ، يقول : " هناك كلمتان من هذه الظاهرة هما (يَغْدَر) ومشتقاتها ، بدلاً من (يُقدر) ، (وزغزغ) من (الزقزقة) حرّك يده في خاصرة الصبي ليضحكه ... " [٤].

ومن العجب أن الذين ينطقون القاف غيناً في وسط السودان منهم من يبدل في الوقت ذاته ، الغين قافاً محضة ، فيقولون (جو قائم) يريدون (غائم) ، ويقولون: (تقيير في الجو) يريدون تغييراً ،وهذا فيما أحسب من باب حرصهم في التخلص من نطق القاف والغين ، فهذه ظاهرة تستحق البحث والدراسة .

---

(٤) انظر محمد بن سالم المعشني ، القاف بين القدامى والمعاصرين ، ص٦٧ – ٦٨ .

(١) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٤٣ .

(٢) أ . د . يوسف الخليفة أبوبكر ، أصوات القرآن ، مكتبة الفكر الإسلامي ، الخرطوم ، ١٩٧٣م .

(٣) د . رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي ، ص٢١ .

أما في منطقة الدراسة ، فإن مخرج القاف قد تحرك إلى الأمام قليلاً فأشبهت الكاف الفارسية – كما يسمونه – أو صوت الـ(g) في الإنجليزية ، وهـذا شـائع يشاركهم فيها أغلب أهل السودان ، ففي كلمات من نحـو قبـه ، وقلـب ، وقمـر، وأمثالها مما ذكر الدكتور إبراهيم آدم إسحق من أمثلة من نحـو (قـابلو) و(قبقبـه) و(فرتقو) وغيرها من الجمل المحتوية على المفاعيل إذ إنها على الترتيب : قابلـه ، وقبقبه أي قبضه من جيب قميصه ، وفرتَّقه من فتقه بقلب التاء راءً أنقضه وشَـقْلَبه بزيادة شين في أولها [١](شقلبه) .

غير أن نطق القاف عند العامة في دارفور وإن اتفقت في صورها السابقة مع عامة أهل السودان ، فإنها قد خالفتها بقلبها للقاف خاءً ، فقد تراجع مخرجها عنـدهم إلى الوراء كثيراً فأصبح إلى الحلق أقرب منه إلى اللهاة ، أما مواضع نطق القـاف خاءً في هذه العامية فقد حصرها أستاذنا الدكتور إبراهيم آدم اسحق في موضـعين : أحدهما حين تسبق القاف بمقطع طويل مفتوح لا سيما إن كان هذا المقطـع نفسـه ناشئاً من إبدال حرف حلقي ألفاً كقولهم (ياخوب) في يعقـوب اسـم علـم ، حيـث ضاعت معها العين ، وهي حرف حلقي يصعب نطقه لمن لم تكـن العربيـة لغتـه الأولى ، وقالوا (إساخ) في اسحق بإضاعة الحاء وقلبها ألفاً ، وقالوا (باخه) يريدون باقة : للإناء المصنوع من اللدائن غالباً . وقالوا فلان (داخ الملاح) إذا ذاقه .
وثانيهما : (وقوع القاف في مقطع قصير مغلق كقولهم (شرخرخ) [٢] في شـرقرق (وجججخ) لضرب من الفاكهة يكثر وجودها على سفوح جبل مرة يحتـوي ثمارهـا على عسل لزج) [٣].

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٠٤ .

(٢) الشرقرق : إناء من الصفيح يتخذ لغلي مسحوق البن ، وهو في العربية : الشرقرق : طائر صغير يشبه إلى حد كبير شكل الشرقرق المعروف عندنا ، عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٣٩٩ .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٠٨ .

وعليه فإن أغلب صور نطق القاف التي وقف عليها الباحث من خلال الدراسة مجهورة سواء القاف الفصيحة ، التي تنطق مزجية مركبة قريبة من الـــ (g الإنجليزية ، ؟ أوالتي تنطق غيناً محضة ، ولا يستثنى من هذا إلاَّ القاف التي تنطق كافاً ، وكذلك التي تنطق خاءً فالهمس فيها واضح .

أحرف الإطباق :

وهي الصاد والضاد والطاء والظاء ، وهذه الحروف جمعت بين صفتي الإطباق والاستعلاء ،فصارت من أصعب حروف العربية نطقاً ،لذلك مالت العاميات العربية المعاصرة في تطورها إلى إبدالها بنظائرها المرققة لسهولة النطق بها .

١/ صوت الصاد :

وهو صوت رخو مهموس يشبه السين في كل شيء ، وليس يفرق بينها إلاَّ الإطباق ، وقد وصف الدكتور أنيس وضع اللسان حال النطق به فقال : " فعند النطق به يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع السين ، إذ يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ، مع تصعُّد أقصى اللسان نحو الحنك الأعلى ، ورجوع اللسان إلى الوراء قليلاً ، وهذا الوضع هو الذي أكسبه صفة الإطباق [١]وإذا كانت العربية قد عدلت عن هذا الصوت لاستعلائه وصعوبة نطقه ، فإنها قد صاغت من المبررات ما يكفي فمرة لصعوبة هذا الصوت وأخرى لأنه أخت السين في المخرج [٢] فابتغت السهولة والتخفيف ويقول عبدالغفار هلال : " ولا مانع من التبادل لذلك بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد ... بجانب اشتراكهما في الهمس " [٣] . فهي أخت السين في المخرج ، فالعاميات العربية المعاصرة ومنها عاميات السودان ، وجرت عامية دارفور على هذا الإبدال سعياً نحو السهولة والخفة خاصة ، وأن المنطقة تتزاحم عليها لغات محلية هي في الغالب تفتقر أبجديتها لهذه الحروف المطبقة ، فنراهم يقولون (سفر) في صفر و(سوت) في صوت و(سابون) في صابون و(سَبَا)

---

(١) د . إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٧٦ .

(٢) ابن جني ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدي وآخرين ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ج٢ ، ص١٦٨ .

(٣) عبدالغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، ص٢٦٨ .

في صباح و(سالى) في صالح . ينطقون هذه الكلمات بسين مفخمة أحياناً وقد يخلطون بين السين والصاد فيحلون أحدهما محل الآخر [١] ، وهذا الإبدال الذي فرت إليه العاميات المعاصرة كان معروفاً في العربية القديمة ، فقد قالت العرب : صراط وسراط وصفر وسفر وصبغة وسبغة يقول ابن منظور : (إن النطق بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، وعامة العرب تجعلها سيناً) [٢] ، ورغم أن القاعدة تستوجب أن تحل السين محل الصاد طلباً للسهولة والخفة ؛ فإن العامة في منطقة الدراسة قد تعكس أحياناً في كلامها .

صوت الضاد :

كذلك من الأصوات التي استعصى نطقها على عامية دارفور وفق مستواها الصوابي ، صوت الضاد ، فمخرج هذا الصوت قد أشكل على أهل الفصاحة من قديم ، ناهيك به من عامة المتكلمين بالعربية ، ذلك أن مخرج الضاد كما وصفه سيبويه : " من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس " [٣] . وزاد ابن جني بعد أن أورد كلام سيبويه : " إلاَّ أنك إن شئت تكلَّفتها في الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر ، أو منهما معاً "[٤] . وتعد من الأصوات التي انفردت بها العربية واختصت بها دون سائر اللغات الأخرى ، حتى عُدت (لغة الضاد) ، وهي من الحروف التي جمعت بين صفتي الجهر والاستعلاء يقول ابن جني في وصفها : " والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ... وأنه للعرب خاصة ،ولا

---

(١) فقد وجد القائمون على أمر الخلاوي في دارفور عنتاً شديداً مع التلاميذ خاصة المبتدئين في التفريق بين الحرفين فصاغوا قصة يحكونها في الخلاوي لشخص من نسج الخيال اسمه (صالح ود عبدالسلام) فيقول أحد التلاميذ : دا منو البسلم بالصاد ، أي من هذا الذي يسلم بالصاد ، أي يخلط فيحل الصاد محل السين في (السلام) ، فيقول أحدهم أنا صالح ود عبدالصلام، جدي رصلاني، قال تدوني صبحة الـ في قعر صيبية ، يقصد أنه أرسل لإحضار السبحة أي المسبحة إلي أسفل وبجوار السويبة، وهي المعروفة بالدبنقا يحفظ فيها المحاصيل ، فما أن يسمع التلميذ هذه القصة حتى يجتهد في التفريق بين الحرفين في القراءة وأصبحت طريقة جيدة ، خاصة في الخلاوى التي فيها التلاميذ من مناطق لغاتها المحلية متباينة .

(٢) لسان العرب ، ج٩ ، ص١٨٥ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج٤، ص٤٣٢ .

(٤) ابن جني ، سر صناعة الأعراب ، ج١ ، ص٥٢ .

توجد في كلام العجم إلاَّ في القليل" [١] . وبسبب الصعوبة التي يجدها الناطق بهذا الصوت عدلت عنها الكثير من العاميات المعاصرة إلى الأصوات التي تشاركها في المخرج ، وتتصف بقدر من الخفة والسهولة ، ومن بين هذه العاميات عامية دارفور ، يقول إبراهيم آدم إسحق معللاً عدول العاميات عن هذا الصوت : " وبسبب هذا الإطباق المفضي إلى صعوبة النطق ، فرَّ كثير من العاميات العربية المعاصرة إلى صوت الدال ، فأبدلتها منه ، ففي العامية السودانية ... يقولون (دَرَب) بدال مفخمة ــ والدال المفخمة هي الضاد ، إذ لا فرق بين الدال والضاد غير التفخيم ــ بدلاً من (ضرب) و(خدار) في (خضار) و(أخدر) في (أخضر) و(خدر) في (خضر) ، وزادت عامية دارفور اطرادها هذا الإبدال في كلمات كثيرة من نحو (ديف) في ضيف ... وقالوا (دفيره) بدال مفخمة في (ضفيرة) لخصلة من الشعر مضفورة ونحوها " [٢] .

لذلك فإن عامية دارفور قد أبدلت عنها هذه الدال طلباً للسهولة ، وفراراً من صعوبة ما يجده الناطق بهذا الصوت حسب وصفها في كتب العلماء العرب ، شأنها في ذلك شأن الكثير من العاميات العربية المعاصرة التي تخلصت من هذا الحرف المطبق ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " إنَّ الضاد كما تنطق بها اليوم ، لا تختلف عن الدال في شيء سوى أن الضاد أحد أصوات الأطباق ، والدال صوت مرقق"[٣]؛ لذلك لا تكاد تجد في منطقة الدراسة نطقاً للضاد يفارق صوت الدال ، وإن وجدت ففي عبارات نادرة يمكن عدَّها ، فقد يقصد أحد المتكلمين الارتفاع عن عاميته المتكلمة في كلمات منها بقوله : (دا زول ضلالى) ، أي هذا رجل ضلالى ، لمن اجتمعت عنده الصفات الذميمة ، وكذلك مثل شهادة الزور بخاصة ، أو تلك الحروف التي انتقلت بدورها في نطقها إلى الضاد مثل صوت الذال ، وذلك في كلمات من نحو (ضنب) في ذنب ، و(ضبيحة) في ذبيحة ، أو مثل الظاء التي انتقلت هي الأخرى في بعض استعمالاتها إلى صوت الضاد مثل (الضعين) وأصلها من الظعينة

---

(١) ابن جني ، سر صناعة الأعراب ، ج١ ، ص١٤٩ .

(٢) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١١٤ – ١١٥ .

(٣) د . إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٤٨ .

أو الظعن ، والضعين مدينة تقع شرق مدينة نيالا ، يكثر فيها البدو الظاعنين جنوبها وشمالها في حركة دائبة ... ولعل هذا الإبدال الأخير يظهر ويشيع في العاميات السودانية ، ومنها عامية دارفور، وذلك في كلمات من نحو ظابط، في (ضابط) وبالظبط في (بالضبط) ، فقد يطلب منك أحد العامة أن تراجع له ضبط الزمن بقوله (اظبط لي ساعتي دى) ، بالظاء يريد اضبط ، ولا يعرفون غيره في هذه الكلمة بالذات .

ورغم إشارة الدكتور إبراهيم آدم إسحق إلى شيوع ضبط الإبدال (الضاد ظاءً) في جنوبي جزيرة العرب ، وفي منطقة جيزان السعودية بخاصة [١] إلاَّ أن هذا الإبدال نفسه كان معروفاً في العربية القديمة فقد أورده السيوطي في المزهر حيث قال : " وقال المبرد : أخبرني التوزى عن أبي عبيدة قال : كل العرب تقول فاضت نفسه بالرضا إلاَّ بني ضبَّة فإنهم يقولون فاظت نفسه بالظاء ... " [٢] . وعلى العموم ، وفي غير هذه النماذج التي ذكرت فإن العامية المتكلمة في منطقة الدراسة قد مالت بها إلى التخفيف ، فانقلبت دالاً . وتتقاطع هذه الأصوات (الضاد والطاء والظاء) فانقلبت غالباً إلى نظائرها المرققة (التاء – الدال) ، وقد تتبادل الأدوار فتلتمس من خلالها السهولة ، فتنقلب الظاء ضاداً في نحو اضلم (اظلم) وفي (ظلام) ضلام ، و(ضهر) في (ظهر) لصلاة الظهر ، وضُلُف أو دُلف في ظلف وحنضل في (حنظل) لنبات الحنظل وهكذا .

الأحرف الأسنانيةاللثوية :

أما الثاء والذال والظاء فهي حروف لثوية أسنانيةولكنها تنطق في كثير من اللهجات على نحو آخر .

فالثاء تنطق في بعض اللهجات سيناً ، والذال زاياً ، والظاء زاياً مفخمة تفخيماً شديداً [٣] .

---

(١) انظر د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية في عامية دارفور ، ص١١٥ .

(٢) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص٥٦٢ .

(٣) خليل محمود عساكر ، طريقة كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة ، مجمع اللغة العربية ج٩ ، ١٩٥٥م ، ص١٨٨ .

فالثاء قد تحولت في كثير من العاميات العربية المعاصرة إلى تاء أحياناً وإلى سين أحياناً أخرى ، ففي ثمانية (تمانية) وفي ثوم (توم) ، (وتور) في ثور ، و(بحت) في بحث ، وأبدلت سيناً في نحو (مسل) في مثل ، (واسِق) في وَاثِق من الثقة ، و(سابت) في ثابت فلا تسمع في منطقة الدراسة نطقاً يخالف هذا الإبدال لكن الدكتور إبراهيم آدم إسحق أشار إلى استثناء منطقتي جيزان في جنوب المملكة السعودية وعامية البدو في بلاد الشام . يقول د . إبراهيم : " ففي عامية جيزان في جنوبي جزيرة العرب ما يزال حرف الثاء حياً بصورته الفصيحة على لسان الأهلين هناك ــ وفي كثير من لهجات الخليج العربي ــ ، فتراهم يقولون ثلاثة في العدد (٣) ومثله ثلاثين للعدد (٣٠) كما يقولون اثنين وثنتين ... فيما عدا هذه المناطق آنفة الذكر ، فإنها في أغلب العاميات العربية المعاصرة قد استبدل بالحرف (تاء) ، وهو حرف من جنسه أسناني إلاَّ أنه حرف شديد في حين أن الثاء حرف رخو " [١] ويبدو أن هذا الإبدال له أصل قديم في اللهجات العربية فقد جاء في لسان العرب قول اليهودي الخيبري :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث

وسأل الخليل الأصمعي عن (الخبيث) فقال له أراد الخبيث ، وهي لغة خيبر فقال الخليل : لو كان ذلك لغتهم لقال : الكثير ، وإنما كان ينبغي أن تقول : إنهم يقلبون الثاء تاءً في بعض الكلمات[٢] وسبب ذلك كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " أن هذه القبيلة اليهودية من القبائل التي تأثرت بالبيئة الحجازية ، ولذا لم نكن نتوقع أن يروي عن لهجاتها قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد " [٣] فاللغات كلما ابتعدت عن مركزها الأصلي صارت عرضة للتغيير بفعل ظروف البيئة وما تحيط بها من لغات أخرى من فصائل لغوية مختلفة فإنها بلا شك تؤثر في العامية المتكلمة ، ومنطقة الدراسة نموذج وبيئة صالحة للتداخل اللغوي وبالتالي اللغة المتكلمة عرضة للتغيير.

---

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١١٠ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خبث) ج٢ ، ص٣٢٢ .

(٣) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١٠٢ .

حرف الذال (ذ) :

الذال من أصوات طرف اللسان ، مع أطراف الثنايا العليا ، وهو مجهور رخو [١] ، وهو قد انحرف في اللسان السوداني بصفة عامة ، فلا نجد من يخرج من لسانه نطقُ هذا الحرف صحيحاً ، إلاَّ عند قراءة القرآن الكريم ، وانقلب هذا الصوت إلى نظائره من أصوات طرف اللسان ، وخاصة الدال . وهذا الإبدال تكاد تجمع عليه العاميات العربية المعاصرة عدا عامية البلاد السعودية المذكورة سابقاً ، وبعض جهات بوادي العراق فما يزال صوت الذال تسمع في النطق صحيحة[٢] والتبادل بين الصوتين في العاميات العربية المعاصرة أصبح ظاهرة شائعة وقد ساق علماء الصوت من المبررات خاصة في جانب المخرج ما يرونه كافياً للتبادل بين الصفات يقول إبراهيم أنيس : " إذ إن صوت الدال صوت أسناني لثوي شديد مجهور مرقق ، ينطق بإلصاق طرف اللسان بداخل الأسنان العليا ، ومقدمة اللثة ، وصوت الذال أسناني رخو مجهور مرقق يتم النطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بأطراف الثنايا العليا " [٣] وبالمقارنة بين الصوتين فهما يتفقان في صفتي الجهر والترقيق ، ولا يختلفان إلاَّ في صفة واحدة هي : أن أحدهما شديد انفجاري والآخر رخو احتكاكي . ففي منطقة دارفور نراهم يقولون (دا) في ذا ، و(كدا) في كذا ، و(دكر) في ذكر ودرِّية في ذرِّية ، يطلقونها للدخن في الأيام الأولى من زراعته ودرَّا العيش من ذراه إذا عرَّضه للريح لفصل القشرة من الحية بعد الدق | وهكذا ، وانقلبت في بعض الأحيان (ضاداً) في نحو ضنب في (ذنب) ،وضبيحة في (ذبيحة) .

وإبدال الذال دالاً عرفته اللهجات العربية من قديم ، فقد ذُكر أن قبيلة ربيعة تعرف هذا الإبدال ، قال إبراهيم أنيس معلقاً : "أما أن ينسب الذَّكر بالدال إلى ربيعة فأمر هيِّن ، لأن من قبائل ربيعة بكر بن وائل ، وهي المتوغلة في البداوة ، فلعل

---

(١) عبدالغفار حامد هلال ، الأصوات اللغوية في لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الملك سعود ، العدد السابع ، ١٩٧٧م ، ص٢٢٤ .

(٢) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١١١ .

(٣) أنظر إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٤٧ – ٤٨ .

الراوي قد سمع هذا النطق فيها"[١] وهذا ما يفسر الرأي الشائع بين علماء اللغة من أن أهل البادية يميلون إلى الأصوات الشديدة تبعاً لنمط حياتهم ، في حين يميل أهل الحضر إلى الأصوات اللينة الرخوة ، التي تشبه حياتهم أيضاً [٢] .

(٣) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٩٩ – ١٠٠ .

(٤) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١١٢ .

المبحث الثاني : الأصوات التي لا وجود لها في العربية الفصحى :

سبقت الإشارة من خلال هذه الدراسة ، إلى سيادة لغة الفور – وهي لغة حامية زنجية – على لغة البلاط الملكي ، إذ كانت اللغة الرسمية للدولة لحقب زمنية طويلة ، فأثرت كثيراً على العامية المتكلمة في دارفور ، سواءً في أصواتها، أم في أبنيتها ،أم في تراكيبها ؛ لذلك فهي بجانب انحراف بعض أصواتها عن المستوى الصوابي في الفصحى ، فإنها قد لحقت بها أصواتٌ أعجمية لا وجود لها في العربية ، فتركت آثارها على العامية المتكلمة ، وانتقل هذا الأثر ليشمل أغلب مناطق دارفور ومنطقة الدراسة بصفة خاصة حيث مقر السلطة . فمن أبرز تلك الأصوات الأعجمية التي لحقت بعامية المنطقة :

أ/ الصوت (نقا nga) :

من الأصوات الأعجمية ذات التأثير الإيقاعي في مقاطع الكلم في عامية دارفور ، وهو من الأصوات كثيرة الشيوع وعميقة الأثر في اللغات الإفريقية عموماً. يقول جابر محمد جابر : " ويشيع في اللغات الإفريقية البدء بالصوت (نقا nga) وبمجموعات تلتقي فيها أصوات أنفية ، وألفاظ صوتية تسبب انسداد ممر مثل (mp) و (nd) ، والتنغيم يكاد ينتظم كل الأسر اللغوية الإفريقية "[١] ذكر هذا في معرض حديثه عن الأصوات النوبية الأعجمية التي أثرت في عامية الحوازمة في جنوب كردفان ، فذكر هذا الصوت وهو يعدد بطوناً وأفرعاً لقبيلة النوبة في منطقة الجبال في كردفان فذكر منها : (كرنقو) ، (انقولو) ، (نيمانق) ، (أجانق) [٢] وغيرها .

أما مخرج الصوت (نقا nga) ؛ فقد وصفه الدكتور إبراهيم بأنه : " صوت لهوى رخو مهموس ، مرقق ، يتم نطقه بارتفاع مؤخر اللسان ليلتقي بمؤخر سقف الحنك الأعلى اللين ، المعروف باللهاة – إلى الأمام قليلاً من مخرج القاف – فيحدث له رنين أشبه ما يكون سماعه باجتماع صوتي الجيم والنون الشديدة

---

(١) جابر محمد جابر ، التنوع الثقافي والتداخل اللغوي ، طبعة أولى ، دار جامعة القرآن الكريم ، أم درمان ، ٢٠٠٠م ، ص١٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٢٨ .

المعروفة اصطلاحاً بالجيم القاهرية ، في وقت واحد أقرب ما يكون إلى الصـــوت (نقا nga) في أواخر الكلمات الإنجليزية Writing و Saying ، و going ونحوها " [١] ويقول الدكتور إدريس يوسف : " والحرف الذي رمزنا له بـــ (نقا) خليط من حرفي النون والقاف ولا يمكن تحديد أي الحرفين ينطق أولاً ، ويأتي نطقه عـــادةً في نهايات الكلمات ،ويمكن أن يرمز له بالحرف الإنجليزي (ng)" [٢].

ويبدو أن الصوت (نقا nga) موجود في كل اللغات الحامية الزنجية تقريباً، فمثلما هو في لغات النوبة ، يوجد كذلك في لغات قبائل جنوب السودان ، فالصوت (نقا) يدخل في أسماء أعلام مشهورة عند هذه القبائل (دينـــق ، ومنقـــو ومنـــانق) manjang حيث جمعوا بين الصوتين (nga و nja) في كلمة واحدة . وفي غرب السودان توجد قبائل (الاسنقور) و(الارنقا) على الحدود مع تشاد ، فهذا الصـــوت (nga) يكاد ينتظم اللغات الأفريقية ، يقول د . إبراهيم اسحق : " ولعل اقتصار هذا الصوت (نقا) في عامية دارفور على الكلمات ذات الصيغة الأعجمية ، يدل علـــى أنه لا يقتصر عليهم وحدهم ، وإنما هو فيما نرجح ميراث لغات الأمم التي كان لهـــا سلطانها عليهم ، في فترات تاريخية مضت على هذه المنطقة ، مثل : الـــداجو ، أو حتى تلك التي لها وجود قومي بها ، كالبرقد ، والمساليت ، والتاما ، والأســـنقور، ونحوها ، ولكن الذي يكاد يجمع بينها جميعاً هو أن هذا الصوت ، أينما وجد ، فهـــو من لغات الأسرة الحامية الزنجية " [٣] .

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧٨ .

(٢) د . إدريس يوسف أحمد ، لغة الفور (القواعد والمعجم والأصول والتراث) ط١ ، دار المفتاح للنشر والتوزيع ، تورنتو ، كندا ، ٢٠٠٥م .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧٩ .

ولكن الصوت (نقا) استخدم في دلالات معينة في عامية المنطقة فمن ذلك أنه:

أ/ تم استخدامه لاحقة صرفية للدلالة على النسب ، فيما يقابل ياء النسب (يّ) في العربية ، فيقولون في سوداني : (سودانقا) ، وفي مصري : (مصرنقا) ، ولفظ عربي : (سولنقا) [١] .

ب/ استخدم كذلك في الاتجاهات ففي اللغة المحلية يطلقون على جهة الشمال : دار الريح ، و(دار الصعيد) [٢] للجنوب ، و(دار الصباح) [٣] للشرق ، فإذا قصد أحدهم النسبة إلى الجهة في لغة الفور يقولون : (ري دو نقو) rie/do/ngo أي : ريحي ، أو القادم من دار الريح ، وهو عندهم البلاد الواقعة في الجهة الشمالية لسلطنتهم ، حيث تهب رياح الشمال ، وعند العامة : أم رياحي : للذي يأتي من جهة الشمال . وفي صعيد يقولون : (سييددونقو Sayi/do/ngo) : أي صعيدي منسوب إلى جهة الصعيد [٤] وهو في اصطلاح أهل السودان جميعاً ، وسبادونقو sabadongo أي صباحي للقادم من جهة الصباح أو الشرق [٥] .

---

(١) سولنق أو سولنج في لغة الفور ، معناه العربي أو من يتكلم العربية ، أو يدين بالإسلام دين العرب ، وتتركب الكلمة من (زول + نق) انظر : التونسي ، تشحيذ الأذهان ، ص٨٤ هامش (٥) .

(٢) الاصطلاح بالصعيد على جهة الجنوب في مقابل الشمال اصطلاح مصري ، فصعيد مصر هو جنوب مصر ، أو مصر العليا ، وذلك لأن الصعيد في لغة العرب هو الأرض مطلقاً ، في مقابل البحر . قال صاحب القاموس : (الصعيد : الترب ، أو وجه الأرض ، وبلاد مصر) أنظر القاموس المحيط ، ج١ ، ص٣٠٥ ، وصعيدي يجمع على صعايدة ، وهو في بلاد مصر الجنوب عكس السافل ، عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٥٦٩ .

(٣) دار الصباح في مصطلح أهل دارفور ، وسط السودان ، الخرطوم والجزيرة وكل ما بعد النيل ، وكانت مهوى أفئدة المهاجرين من غرب السودان ، وأمنية الشباب منهم بخاصة ، قبل أن يعرفوا الهجرة إلى ليبيا عبر الصحراء .

(٤) الاتجاهات عندهم بدلاً عن الشرق والجنوب ، الشمال يقولون صباح وصعيد وريح ، وقالوا في الدوبيت في الغناء الشعبي : دار الصعيد مكتر برا/ري/قو ودار الريح مكتر سرا/ري/قو ، يلاحظ أنهم أبدلوا (الحاء) في ريح كسرة طويلة (ريّ) ، وحرف العين في صعيد (ياءً) (سيِّد) لأنه لا وجود لهذين الحرفين الحلقيين في نظامهم الصوتي ، وأنهم قلبوا الصاد سيناً لتماثل الياء في الاستفال .

(٥) انظر: إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨٠ .

من ناحية أخرى أضافت لغة الفور المقطع (نقا nga) إلى المهن والحرف ، فأفادت منها النسبة إلى تلك الحرف أو المهن ، فمثلاً : دادنقا[١] هم جماعة من أمناء البيت المالك ، وإن كانوا في الأصل قبيلة معروفة بجنوبي السودان ، أصبحوا في البلاط الملكي في سلطة الفور هم من يتوارثون الإدارة الأهلية ، مثلهم في ذلك القيدنقا أي القضاة ، فجاء هذا المقطع (نقا nga) في آخر الاسم لإفادة نسبتهم إلى تلك الوظيفة ، وقد أشار صاحب تشحيذ الأذهان إلى هذه الوظائف في سلطنة الفور ونسبتها إلى أربابها ، وقد أضيف إليها هذا المقطع الصوتي (نقا nga) . فتجد (الدادنقا) ، و(البسنقا) وهم من البرتي ولكنهم لما التحقوا بجند السلطان لحقت بهم هذه النسبة وعرفوا بها ، وكذلك (كايتنقا) لفرع من الزغاوة امتزجوا بالفور والتنجور[٢] ، ومناطقهم إلى الشمال والشمال الشرقي لمحافظة كتم .

وإلى جانب استخدام المقطع (نقا nga) لاحقة صرفية لإفادة النسبة إلى المناصب السلطانية ونحوها ، فإنهم استخدموه لإفادة النسبة إلى المهن والصنائع فمن ذلك مثلاً : أنهم أسموا تجار التجزئة والذين عرفوا في كثير من أنحاء السودان بالتشتاشة : (سموهم مندانقاman/da/nga) ، وهي شائعة في الأسواق الشعبية في دارفور ، وكذلك (درمنقا) (dar/ma/nga) للجلد النيء المدبوغ بطريقة خاصة ومن ذلك أيضاً (الشلانقى) بمعنى طبيب العيون ، فالكلمة مركبة من الشلاَّء وهو عند أهل دارفور – وفي مناطق أخرى من السودان –هو من يداوي هذه العين الشلاَّء، وأضيف المقطع (نق) للدلالة على الحرفة ، ومثلها تلك العادة المعروفة

---

(١) الدادنقا موطنهم الأصلي في مرتفعات جبال الأماتونج في أقصى جنوب شرق السودان على الحدود مع يوغندا ، ويمثلون المجموعة الثانية بعد التبوسا ، وقد قدر الله لى العيش بجوارهم لسنة كاملة ، فالملامح بينهم والدادنقا في مدينة الفاشر واحدة ، لكنهم يعرفون هناك بالددنقا ، والروايات حول مجيئهم إلى الفاشر متضاربة فمن قائل إنهم أحضروا الذهب من مرتفعات الأماتونج– وقد اشتهرت به – إلى السلاطين واستقر بهم المقام ، ومنهم من يقول إنهم قد أوفدهم السلطان ليستجلبوا الأبقار من هناك وفضلوا البقاء هنا ، ولكن تبقى هذه المجموعة تمثل رأس الإدارة الأهلية في دارفور ولأزمان طويلة ، وما يزال الملك رحمة الله محمود من أعيان مدينة الفاشر ، وقد فصَّل الدكتور إبراهيم في ذلك . انظر الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨٠ . وتشحيذ الأذهان ، ص١٥٠ ، هامش (٣ ، ٤) .

(٢) موسى المبارك ، تاريخ دارفور السياسي ، ص١٥ .

في دارفور بـــ (جبنقا)[١] وهي عادة زواج البنت البكر بغير إذن وليِّها عند القاضي أو بدون رضاه (وقد ورد شرحها في موضع آخر من هذه الدراسة) فهي مركبة من المقطع (جبَّ) حيث أخذ الشيء بالقوة بالإضافة إلى اللاحقة (نقا) لتدل على العـــادة المعروفة .

ب/ الصوت (نجا nja) :

وهو صوت حامي زنجي ، لا وجود له في الفصيلة السامية ، يجـــد المـــرء صعوبة في النطق به ، لأنه يحاول الجمع بين مخرجي الجيم والنون ، وقد وصـــف إبراهيم آدم إسحق مخرجه بقوله : "هو صوت مهموس ، رخو ، مركب ، يتم نقطة بارتفاع وسط اللسان نحو وسط الحنك الأعلى ، أي الطبق ، وهو الحنك الصـــلب ، ومخرجه إلى الوراء قليلاً من مخرج الجيم الفصيحة ، كما ينطق بها اليوم مجيـــدو القراء ، فيحدث عند النطق به رنين أشبه ما يكون باجتماع صوتي النون والجيم معاً في وقت واحدٍ "[٢] فالجيم والنون وهما مجهوران ولكن – أحسب – أنه يحدث في اجتماعهما رنين يجعل من الصوت (نجا) صوتاً مهموساً وهو ما ذهب إليه الـــدكتور إبراهيم ، وهو من الأصوات التي تسبب انسداد ممر الهواء ، وقد أثرت في عاميـــة دارفور المتكلمة ، وانتقلت إليها عن طريق لغة الفور ، لكـــن قبائـــل أخـــرى فـــي السودان تستخدم هذا الصوت بجانب الفور ، ففي جبال النوبة يوجد هذا الصوت مثل (نجمانق) إحدى قبائل جبال النوبة ، وكذلك عند قبائل جنوب السودان نجد مـــثلاً (نجم نجمnjamnjam) من قبائل الفرتيت ، ولصعوبة النطق بهذا الصـــوت تحـــوَّل رسم الكثير من الكلمات في العامية المتكلمة إلى (نا) بدلاً من (nja) . فيقولون : (نيام نيام) في نجم نجم ، ونيالا بدلاً من (نجالا) لمدينـــة نيـــالا المعروفـــة ، وهـــي عاصمة جنوب دارفور .

---

(١) انظر مذكرات ابي سن ، ص٧٥ – ٧٦ .

(٢) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٦٨ .

وفي دارفور توجد كلمات كثيرة تتركب من الصوت nja ، فـبعض العامـة يقولون (دنجا) في (دنيا) والمثل الدارفوري المعروف (دنجا دبنقا) [١] ، ويقولـون : (سنجا أو سنجة) لصغار الخرز يربط في جيد الفتاة للزينة ، ولونجـا : خـزان صغير قريب من مدينة الفاشر من ناحية الشمال ، (وسينج أو سيينج سينج)النار: أن تَضَع شعلة صغيرة في موضع تريد حرقه . وهكذا .

ورغم ما أشار إليه الدكتور إبراهيم اسحق من أن هذا الصوت أو هذا المقطع (نجا nja) لا يحمل دلالة معينة ، أو يلتزمها مثل نظيره (نقا nga) حين قال : " ويبدو أن هذا الصوت (نجا nja) لا يلتزم دلالة معينة مثل نظيره الفوراوي (نقـا nga) الذي يفيد النسبة في غالب أحواله " [٢] . فإنه – فيما أحسب – ومن خـلال الأمثلة التي توافرت لديّ فإنه لا يدخل – غالباً – إلاَّ للدلالة على ضـعف الشـيء وهَوَانِهِ ، أو لصغر حجمه و(نجرمتى) لصغار اللوبة أو اللوبيا ، و(نجرنجار كسـرة) لفتات الكسرة المتبقية على المائدة و (نجيماك) للعيش المجروش بفعل الجـراد أو غيرها من دوابَّ الأرض ، أو الصغيرة في حجمها ، أو بفعل النقص الذي يطـرأ أحياناً في كمية الأمطار مما يسبب ضعفاً في الإنتاج ، فتصبح حبات الدخن صغيرة أو (ترنج) لقطرات قليلة من الماء أو الدواء أو غيرهما و(أم تنج تنج) لعصـافير صغيرة غاية في الصغر ، وغيرها من الكلمات التي يتصل بها هذا المقطع ، وتظهر كلها إما على ضعف ، وإما على صغر في الحجم ، أو قليل لا يؤبه به حتـى فـي كلمة (أم تنجو) ذلكم الفارس الأسطورة حين ذكره بقوله : (ومـن ذلـك تلقيـبهم للشجاع المغوار (بتنجوه) أي جربوه فوجدوه صعب المراس ، فخلـوا سـبيله ، ... وقد تغنت له البنات لشجاعته ، ومن بين ما قلنهفيـه : (أم تنجـو محكركتلـو) ، أم تنجوه عيال عوين ضروه[٣] فقد جاء هذا المقطع ليؤدي معنى المس الخفيف وبحذر.

---

(١) (دبنقا) عبارة عن مخزن كبير من الطين التي تحفظ فيه المحاصيل ، ولذا شُبه الدنيا بهذا الإناء يقتضي الحذر في التعامل وحسن التدبير .

(٢) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨٨ .

(٣) العوين : من العون والمساعدة ، وفي قاموس اللهجة العامية : العوين الظهير للواحد والجمع والمؤنث ... ولا جرم أن ولد الرجل وخدمه ونساءه معين وظهر له ، وربما غلب على نسائه خاصة ، فيقال : (فلانة

وعلى العموم فإن هذا المقطع (نجا nja) بقي في عامية المنطقة شاهداً قوياً على تأثير العجمة ، واستعصى رسمه فأبدل بحروف أقرب إليه في المخرج [١] فهذا الصوت أضافته لغة الفور إلى العامية المتكلمة فاستخدم بوصفه لاحقة صرفية .

ج/ الصوت (O) :

من الأصوات كثيرة الشيوع في لغة الفور ، فقد أثر كثيراً في العامية المتكلمة هناك وهو من حيث علم الأصوات كما يقول الدكتور إبراهيم : " حركة خلفية منحرفة في نطقها عن الضمة العربية ، وهو – كما ترى مماثل للصوت اللاتيني (O) في كلمات من نحو : romer و rode و morning في الإنجليزية ، ولا وجود له في العربية الفصحى " [٢] . وتجدها في كلمات كثيرة – ذكرت في الجزء الآخير من الفصل الأول من هذه الدراسة – مثل (كوراى) : أي الحماة ، وكور كور بمعنى سواء ، في نحو قولهم : (شيلو كور كور) أي أحملوه مجتمعين ، وغيرها من نحو : (كو) (وكونا) (وكوّكوّ) أو (كوّكم) وكلها بمعنى فلنذهب . والصوت (O) كغيره من أصوات لغة الفور التي تركَّبت مع كلمات عربية وصارت لها قيمة معنوية ، جعلت من عامية المنطقة تأخذ طابعاً ميزها عن العاميات المتكلمة في السودان إلى حدٍ كبير . فعلى سبيل المثال تجده وقد حلَّ من بعض الكلمات محل ياء المتكلم ، وذلك من نحو (جدو وخالوه وأموَّ وأبوه) بمعنى أبي وأمي وخالتي وجدي ، وقال أحد شعراء المدينة قصيدة بالعامية المحلية ينشد فيها السلام :

مشكلتنا دى نحلو ونرتقوضفيرتو
حبوبة أمو كوراى بسنسنىكسرتو

من عوين فلان) وفي منطقة البحث تستخدم للنساء فقط : عون الشريف قاسم قاموس اللهجة العامية ، ص٦٨٦ .

(١) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص٦٧ .

وقالو راسوا بوجا[١] فلانة جابه[٢] سيرتو

ولكن هذا الصوت (O) بالإضافة إلى هذا المعنى – (محل ضمير الغائب للمفرد المذكر) – فإنه حين يضاف إلى ضمير الغائب للمتكلمين فإنه يعني عندهم مثلاً جدوه أي جدهم أو جدَّ الأجداد ، وأبوَّه يمكن أن يكون بمعنى (أبوهم) أو (أبو الآباء) ، وهذا يعتبر من الأسماء الشائعة في دارفور (أبوه) يقول عون الشريف قاسم : " أبوَّه بتشديد الباء المضمومة مع إمالة الواو : اسم علم ، وتكثر هذه الصيغة في غرب السودان " . وأبوه في دارفور : السلطان أو الأمير ، وتأثير لغة الفور واضح في ذلك [٣] . وقد استوقف هذا الاسم الشائع الدكتور إبراهيم اسحق فتحدث عنه متمثلاً شخصية الأستاذ أبوه حمد أحد شيوخ المعلمين في مدينة الفاشر – رحمه الله – وقال في (أبوه) : " فهو إذن أبو الآباء مقاماً ... ولعل من الممكن وفق التفسير السابق فهم لحاق الصوت (O) بأسماء مثل محمدوه ... وعبداللوه ويوسفوه ، ومن أسماء النساء خديجوه وفاطنوه ... ونحوها إذ هي كما يبدو مضافة إلى الضمائر التي أشرنا إليها آنفاً ، فمحمدو يمكن أن يكون : محمدنا أو محمدهم ... ونحو ذلك "[٤] .

ويبدو أن هذا الصوت (O) والذي ترك أثراً واسعاً في عامية المنطقة ، يوجد كذلك في لغات أخرى من الفصيلة الحامية ، فالهوسا والفلاتة يستخدمون كذلك هذا الصوت ، وهو موجود كذلك في اللغة النوبية في شمال السودان ، فنجد عندهم (أبكُّر) ، وهجُو ، وأحمدُو وحاج حسنُو وغيرها من الأسماء التي يلحق بها هذا

---

(١) (بوجا) أصله يوجع من أوجع : أبدلت الياء باءً مثل كثير من الكلمات عندما تقع في أول الكلمة يقولون في يمشي : بمشي ، يأكل : باكل وهكذا ، وأما الألف اللينة فقد أبدلت من العين تخفيفاً وهرباً من مخرج الحلق .

(٢) (جابه) أصلها من جيئ به ، أسقطت الياء وقلبت الهمزة ألفاً تخفيفاً كذلك ، أي نسعى من خلال مجالس الجودية لحل المشكلة ، وعبرَّ عنها (برتق الضفيرة) ، وأن نترك كلَّ ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقة بيننا ، عبرَّ عنه (راسو بوجا فلانه جابه سيرتو).

(٣) د . عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٢٧ .

(٤) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٦٨ .

الصوت ، لذلك يقول عون الشريف قاسم : " ولعل تأثير نيجرياواضح ، فهم يقولون : أحمدو والحاجو ...إلخ " [١] .

من ناحية أخرى فقد استخدمت العامية هذا الصوت (O) لاحقة لأسماء هي في الأصل صفات سماها الدكتور إبراهيم (الأسماء الجملية) من نحو : شافوه خلوه ، ودهب شروه[٢] ، وعسل بقوهودفوه[٣] دلوه وغيرها . ثم يقول :" ويلاحظ هنا أن الصوت (O) استخدم بدلاً من المقطع الأخير في الكلم السابقة ، فشافو : أصلها شافوه ، وشروه : شروَّه أي نشروه ... فاستخدم هذا الصوت بدلاً من المقطع (وُهُ) الدال على المفعولية في الجمل المتقدمة نحو : شافوه خلوه ، وعسل بقوهونحوها"[٤]

ومما هو داخل في هذا الباب قدرٌ وافرٌ من الكلمات العربية الفصيحة التي عدلت بها العامية إلى هذا الصوت في كلامها ، فلا تعرف العامية المتكلمة في (وُهُ) الدال على المفعولية إلاَّ هذا المقطع الممال (O) (و) ، فسألوه : سألو ، شربوه : شربو وعرفوه : عرفو وضربوه : ضربو واستخدمت بدلاً عنها (دقو) ، وانتقل هذا الاستخدام فيما يبدو لعاميات السودان الأخرى بفعل هذا التأثير ، ولكن تبقى في عامية المنطقة بعض الكلمات الأعجمية ، وهي تحمل هذا الصوت ، واندثرت أخرى أو انحصرت في الأرياف البعيدة أو النائية تحفظ قدراً من هذه الكلمات مثل (كبالو) التي يستخدمها مربو الجمال يقول عون الشريف قاسم في تعريفها : " كبالَو: خشبة منفرجة ذات رجلين ، توضع على ظهر الجمل ، لحمل

---

(١) د . عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٢٧ .

(٢) دهب شرو : أي الذهب بإبدال الذال دالاً ، وشروه أي نشروه ، وتستخدم في دارفور للدلالة على جمال المرأة الظاهر الواضح للعيان مثل الذهب يعرض للناظرين ، وأما شافوه خلوه : أي جربوه ووجدوه صعب المراس وشجاع لا يشق له غبار ، لذلك خلوا سبيله وتركوه . انظر : د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧٢ .

(٣) (دفو دلو) دفو : من التدفئة ، وتستخدم العامة في دارفور هذا المثل للدلالة على العجلة في الأمر وسوء عاقبتها ، وكأنهم استعجلوا الأمر بدلاً من احكامه وتركه لينضج على نار هادئة .

(٤) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧٢ .

الأخشاب " [١] ، ومن تلك التي كادت أن تندثر (ترنتو) هذه التسمية تطلق على الأطفال المختونين وغير هذا كثير .

فهذه أبرز الأصوات التي لا وجود لها في العربية الفصحى ، والتي أثرت كثيراً في عامية دارفور المتكلمة ، وإن أشار الدكتور إبراهيم إلى الصوت الممال (يَّ) القريبة من الحرف اللاتيني (E) لاشتمال لغة الفور الأعجمية عليها وذلك في قوله : (وفي لغة الفور وهي لغة حامية ، يكثر وجود هذا الصوت (E) في كلمات كثيرة ، وذلك نحو قولهم : (ي Ye) [٢] . بمعنى نعم ، و(تُلّلى tulle) بمعنى حسن أو جميل ... وهناك كلمات أعجمية نحو : (كبكرّى Kabkurre) للرياح الإعصارية ... الخ [٣] ، فإن هذا الصوت (e) – فيما أحسب – لا تختص به العامية في دارفور وحدها ، وهذا الصوت يكاد ينتظم أغلب عاميات السودان فقد أشار إلى ذلك الدكتور عون الشريف قاسم عن الإبدال في عاميات السودان فقال : " وضوح الإمالة بالياء في أواخر بعض الكلم ، خاصة المنتهية بالتاء المربوطة عند الشايقية فيقولون كسرى بدل الكسرة ، ويشبههم في ذلك المسبعات في دارفور الذي يقولون في شديدة وجديدة : شديدى وجديدى ، ويذهب المسبعاتإلى أبعد مدى فيحذفون تاء التأنيث من كل الكلمات التي تنتهي بحرفي (اي) مثل : غنمايهومحايه فتنطقان غنماي ومحاي " [٤] وإن كان الأستاذ الدكتور بكري الحاج يرى أنها كسرٌ خالص عند الشايقية وليس إمالة (kisri)بدلاً من (kisre) .

وفي موضع آخر يكمل الدكتور عون الشريف الإمالة بالصوت (ي) فيذكر: " نطق الياء والواو الساكنتين المسبوقتين بالفتحة نطقاً ممالاً مثل : بَيْت : بيت ، وحذف همزة إلى وإمالة يائها ففي إلى : لي ، وتشاركها في الإمالة اللام والياء

---

(٥) د . عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٨١.

(١) من الموافقات الغريبة أن كلمة (ي Ye) بمعنى نعم ، تستخدم وبهذا المعنى ، عند الأتراك ، فقد لاحظت من خلال تدريسي لأحد موظفي منظمة (أطباء بلا حدود) وهو تركي : أنهم يستخدمون (Ye)بالضغط على الياء والإمالة هكذا بمعنى نعم ، خاصة إذا أراد تأكيد أنه فهم ما يقال ، وهو يتحدث الإنلجيزية إلاَّ هذه الكلمة فينزل فيها لغته المحلية ، مثل الكلمة الفوراوية سابوُ تلى : أي جيد .

(٢) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧٣ .

(٣) د . عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص١٦ .

وعلى : ليك وبيك وعليك ، ثم ذكر الحمر في غرب السودان بـــأنهم يقولـــون (دي day) في (دا) ... وهكذا " [١] . وهذه أحسبها الجوانب التـــي خصَّـــها الـــدكتور إبراهيم اسحق بالذكر ثم عاد فقال مستدركاً : (على أن الصوت (ايe) وإن كـــان أجنبياً عن الفصحى – فيما عرضنا له آنفاً – من الكلم المنحرفة عن النطق الشـــائع في عامية دارفور ، فإن لغة الفور نفسها ليست هي المسئولة عن وجـــوده فيهـــا ... وذلك لأن هذا الصوت نفسه (e) موجود أيضاً في اللغة النوبية في كلمات من نحو (كريق وعشميق[٢]) ... والمعروف أن للغة النوبية تأثيراً كبيـــراً فـــي العاميـــات العربية في السودان) [٣] .

---

(١) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص١٦ .

(٢) كريق : بعد ساق الذرة ، وعشميق : حبل من ليف النخيل ، قاموس اللهجة ، ص٥١٥ .

(٣) د . إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٧٧ .

المبحث الثالث : التنوع في نبر المقاطع(أسبابه ودواعيه) :

تعريف النبر :

النبر هو الضغط على مقطع من المقاطع بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ويزداد وضوحه في السمع [١] قال الرئيس ابن سينا في تعريف النبر : " حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير " [٢] وقد علق الدكتور إبراهيم أنيس على تعريف ابن سينا بقوله : " وإشارة ابن سينا هنا إلى الهمز الذي استخدمته العرب لمدلول واحد ، دون التفريق بينه وبين النبر ، وهذا صواب ، فالهمز يعني الضغط ، والنبر : الضغط والارتكاز " [٣] وكأنهم في القديم لم يفرقوا بين الهمز والنبر والقصد في كليهما الوضوح في السمع ، والنبر بهذا المفهوم شيء جديد على الدراسات اللغوية فلم ينتبه إليه السلف فقد عرفوا النبر بمعنى مرادف للهمز ولذلك جاء عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى ابن عمر فقال : ما آخذ من تميم إلاَّ النبر ، وهم أصحاب نبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا " [٤] وجاء عن ابن المؤدب : " ويسمى نبراً لنبرك إياه إلى حنكك الأعلى ، والنبر هو الرفع " [٥] .

ويتبين من هذا أن النبر هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب قديماً ، وكلاهما يتطلب نشاطاً متحداً من أعضاء النطق : الرئتين ، وعضلات الصدر ، وأقصى الحنك ، والشفتين ، واللسان ؛ مما يؤدي إلى تعاظم مساحة السعة في الذبذبات الصوتية ، ... والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع لتحقيق غرض قصدى [٦] فالشخص وهو يرفع صوته في موضع من كلامه أويضغط على مقاطع منها بحيث تبرز وتصير أكثر وضوحاً،

---

(١) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١٢٦ .

(٢) ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص٧٢ .

(٣) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١٢٧ .

(٤) ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، مادة (نبر) .

(٥) المصدر السابق ، والصفحة .

(٦) د . عبدالقادر عبدالجليل ، التنوُّعات اللغوية ، ط١ ، دار صفاء للنشر ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٧م ، ص١٠٩ .

يرمي من ورائه إلى غاية ، فالنبر إذن يؤدي قيمة دلالية من خلال تمييز بعض أصوات الكلام بالضغط عليها أو بزيادة سعة الصوت في الكلام . لذلك تتوقف وظيفة النبر على الدلالة التمييزية ، يقول د . عبدالقادر عبدالجليل : " ... وهنا يمكن أن نعدَّ النبر سمة صوتية ، وظيفية ، لها قيمة دلالية في التوجيه ، إذا استطاع أن يحقق الغرض القصرى ، وهو من التنوعات الصوتية التي تنوِّع الدلالة ، ويعتمد عليها السياق " (١) . فإذا استمعت إلى كلمة أو قطعة من كلام – في أداء جيد – فإنك تحس أن بعض أجزائها أوضح من غيرها ، وأقوى في السمع من مجاوريها ، وقد تجذب انتباهك بعض العبارات ، وتثير في نفسك الاهتمام وهذا الفرق يحسه كل من يستمع إلى كلمات مثل مدرسة ، ومزرعة ، ومسجد ، أو أي كلمات أخرى ينطق بها أبناء السودان في أقاليمه المختلفة ، يحس بوجود فرق صوتي بين صور النطق عند هذا ، وصورة عند هذا يقول عبدالعزيز علاَّم : " فالشخص وهو يوزع طاقته العضلية في نطق الكلمة يبقى لديه طاقة متوفرة ، تتيح له فرصة يوزعها على المقاطع ، فيعطي قدراً أكبر لبعضها ، مواضع هذه الطاقة الزائدة الممنوحة هي التي تظهر لنا مواضع النبر ، فتظهر قوتها على بقية المقاطع " (٢) .

أهمية دراسته :

تكمن أهمية دراسة النبر في الوظائف التي يؤديها ، فهو يؤثر – وبدرجة كبيرة – في تحديد القيم الصرفية والتي من خلالها يتم تحديد الدلالات في بعض اللغات ، فهو مظهر صوتي تتضح من خلاله الفروق بين المتكلمين باللغة الواحدة يقول د . إبراهيم أنيس : " ويفرق أيضاً بين لهجات الكلام في الإقليم الواحد ، حتى في نطقهم القرآن الكريم ، فاستمع مثلاً إلى قاهري ، أو من أبناء الوجه البحري يقرأ قوله تعالى : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(٣)أو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

---

(١) عبدالقادر عبدالجليل ، التنوعات اللغوية ، ص١٠٩ .

(٢) د . عبدالعزيز أحمد علاَّم ، علم الصوتيات ، ط٢ ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٨م ، ص٨٥ .

(٣) سورةالنساء، الآية (٩٢) .

[1]فنراه يضغط في الكلمات (رقبة ، همزة ، لمزة) على مقطع خاص في كل منها يخالف ما يصنعه الرجل من أهل الصعيد حين يقرأ هاتين الآيتين ..."[2] .

فإذا كان ذلك بالنسبة لآيات القرآن الكريم – رغم ما لها من ضوابط في القراءة – فلك أن تتصور الأمر بالنسبة للغات تداخلت ، واختلفت عوامل الجغرافيا والعادات الاجتماعية وتعددت الثقافات وغيرها من الظروف التي تترك آثارها على لهجات المتكلمين باللغة الواحدة ، لذلك يرى خليل محمود عساكر ضرورة تبيين مواضع النبر عند كتابة اللهجات يقول : " وبيان موضع النبر عند كتابة نصوص اللهجات مهمٌ جداً في دراستها ، وقد يفوق في أهميته بعض الحركات ، إذ قد تتفق لهجتان في معظم الظواهر الصوتية واللغوية ، ولا يفرق بينها إلاَّ موضع النبر ، مثال ذلك لفظ (مدرسة) الذي ينطق في بعض لهجات مصر، وخاصة في شمال الدلتا ، بنبر حركة الميم ، ويرسم هكذا (مدرسة) [3] ، وفي بعضها الآخر بنبر حركة الراء (مدرسة) madrasa[4] .

فاللغات تختلف عادة في موضع النبر من الكلمة فالعربية والفرنسية تختلفان في موضع النبر عن اللغة الإنجليزية التي قلما تلتزم في نبر كلماتها موضعاً يقول أنيس : (فالفرنسي يضغط عادة على المقطع الأخير ، ومنها ما لا يكاد تخضع لقاعدة ما كالإنجليزية ... الفرنسي حين ينطق بالإنجليزية يضغط على المقاطع الأخيرة من الكلمات متأثراً بعادته اللغوية ، فتنفر الأذن الإنجليزية من نطقه)[5] لذلك تأتي أهمية هذا القسم من الدراسة ، فعامية المنطقة مزيج مختلط بين عربية فصيحة وحامية زنجية موغلة في العجمة ، ولكل طريقتها في نبر كلماتها ، كلغة

---

(١) سورة الهُمَزة، الآية (١)

(١) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٢٨ .

(٢) علامة النبر عند خليل محمود عساكر ترسم هكذا (–) شرطة متجهة من اليسار إلى اليمين ومائلة من أعلى إلى أسفل ، وقد استخدمت في هذه الدراسة للإمالة في اللهجة ، لذلك استعضت بدلاً عنها علامة رأس السهم هكذا (˄) لمواضع النبر .

(٣) خليل محمود عساكر ، طريقة كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مج٩ ، ١٩٥٥م ، ص١٨٧ .

(٤) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١١٩ .

الفور التي تعتمد على لواصق صرفية تختلف دلالاتها وكذلك لغة الزغاوة وطريقتها الدقيقة في التصريف [١] فلغة الزغاوة من اللغات المفردة ، تقوم معانيها على تنغيم الكتلة الصوتية ، مثلها مثل اللغة الصينية ، ولذلك لا يمكن كتابتها بالحروف الأبجدية ، فمثلا (by) عندهم بمعنى الماء ، و(bie) ، أو (bay) فالمعنى تتغير بتغيير التنغيم في الكلمة ، هذا بالإضافة إلى طبيعة المنطقة وحال السكان من استقرار وترحال ، وعامل الجغرافيا وكلها تسهم في هذا التنوع ، وبقدر التنوع بالنسبة للمجموعات غير العربية وطريقتها في نبر المقاطع في لغاتها أثرت في عامية المنطقة ، وجعلتها تأخذ طابعاً مغايراً وهذا نجده أكثر وضوحاً في طريقة المغاربة من جزائريين وتوانسة وغيرهم وقد تأثروا كثيراً باللغة الفرنسية وطريقتها في نبر مقاطع كلامها ، تستطيع وبسهولة التعرف عليهم ، وتميزَّهم عن المتكلمين بالعربية في البلاد الأخرى ، فالحروف عندهم تجنح دائماً للاستعلاء والتفخيم ، وتتصعد إلى الحنك الأعلى ويقول إبراهيم أنيس : " ... ففي أغلب الأحيان الكلمات هي ذاتها ومخارج الحروف في مواضعها ، ولكن الغرابة تأتي من طريقة هذا في نبر مقاطعه ، وطريقة ذاك وهي مغايرة كثيراً ، والكل يعتد بطريقته ويرى أنها الصواب ، وهنا مكمن التنوع " [٢] ، لذلك تأتي أهمية وضرورة تتبع هذا التنوع .

درجة النبر من حيث الشدة والوضوح :

النبر قوة التلفظ تجتذبه دائماً نواة المقاطع ، ولذا فإن تأثيره يقع عليها ، وبما أن النواة هي الصائت قصيراً كان أم طويلاً فإن النبر يتناسب تناسباً وظيفياً مع وضوح الرؤية الدلالية [٣] للوحدة اللغوية أو مجموعة التراكيب ، وقد قسم علماء الأصوات المحدثون درجات النبر استناداً إلى مبدأ الوضوح والبروز والارتكاز في المقاطع إلى :

---

(١) استمعت يوماً إلى الدكتور : سليمان نورين عميد كلية التربية السابق – جامعة الفاشر ، وهو ممن يجيدون لغة الزغاوة ومن أبنائها وقد أدهشني وهو يصف ضيق المسافة بين الـ (O , e , a) في لغة الزغاوة ولكل دلالته المغايرة فإذا انحرفت قليلاً عن كل حرف من هذه الثلاثة أوصلك إلى دلالة مغايرة ومعنى جديد .

(٢) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١١٩ .

(٣) د . عبدالقادر عبدالجليل ، التنوُّعات اللغوية ، ص١٢٤ .

١- النبر الرئيسmain Stress وعلامته (^) .

٢- النبر الثانوي Secondary Stress وعلامته () ٪

٣- النبر الضعيف Weak Stress وعلامته ( ) .

وقد بنوا كل ذلك على ازدياد شدة الصوت وارتفاع نغمته الإسماعية وامتداد مدته الإنتاجية [١] .

وهناك تقسيم آخر لأنواع النبر من حيث الشدة والوضوح للدكتور عبدالعزيز علاَّم يقول فيه :

١- نبر الشدة ، ويسمى بالنبر الديناميكي ، ويكون عنصر الشدة هو الغالب في إثارة الإحساس بالنبر عند السامع .

٢- نبر لنغمة الموسيقى ، إذ الغلبة لعنصر التنغيم .

٣- نبر الزمن : عن طريق المسافة الزمانية .

٤- نبر اللون : إذا كان النبر عن طريق تلوين أو تغيير لون الصوت [٢] في كلا التقسيمين السابقين ، يظهر من خلالهما التركيز على شدة النبر وإبرازه لجذب الانتباه أو الإحساس بالنبر عند السامع أو الإشارة إلى غرض دلالي خاص من الكلام أو رغبة في تأكيد الكلمة أو الجملة .

أنواع النبر :

هناك نوعان رئيسان من أنواع النبر هما نبر الكلمة المفردة ونبر الجملة [٣].

أولاً – نبر الكلمة المفردة : الكلمة التي تتألف من مقطع واحد ، فإن النبر يقع على نواة المقطع هذا ←—— ص ح ح

من ←—— ص ح ص

الكلمة التي تتكون من مقطعين يقع النبر الرئيسي على المقطع الأول ، ويأخذ المقطع الثاني نبراً ضعيفاً مثل :

---

(١) د . عبدالقادر عبدالجليل ، التنوُّعات اللغوية ، ص١٢٤ .

(٢) عبدالعزيز علاَّم ، علم الصوتيات ، ص٩١ .

(٣) أ . د . فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، أربد، ٢٠٠٤م ، ص١٥٩ .

فارس ←ص ح ح + ص ح ص

دارس ←ص ح ح + ص ح ص

أما التي تتكون من ثلاثة مقاطع فإن النبر الرئيسي يقع على المقطع الثـــاني ، وتأخذ بقية المقاطع نبراً ضعيفاً .

كتب ←ص ح + ص ح + ص ح

كتابة ←ص ح + ص ح ح + ص ح

مكتوب ←ص ح ص + ص ح ح + ص [١] .

ثانياً : نبر الجمل :

أما نبر الجمل فإنه يتلون وفق أغراض ومقاصد المتكلمين ، ويتـــوزع بـــين حالات مختلفة من التوكيد والتعجب والنفي والإنكار أو أية حالات أخرى [٢] ويأخـــذ النبر طريقه عبر السياق ، وقد سماه الدكتور تمام حسان بنبـــر الســـياق ، أو نبـــر الجملةSentence stress ، ويقع النبر على الكلمة التي يراد توكيدها أو الاستفهام ، أو التعجب ، أو غير ذلك ، ومثال ذلك كأن تقول في الجملة كسر الطفـــل ، كســـر الطفل الزجاج ، كسر الطفل زجاج النافذة ، كسر الطفل زجاج نافذة المدير .

فإن النبر في الجملة الأولى يقع على (كسر) محَّل الإثارة ، ثم انتقـــل إلـــى (الزجاج) وهكذا حيث ينتقل النبر من خلال السياق إلى الكلمة التي يراد توكيـــدها [٣] . مثال ذلك في عامية المنطقة كأن تقول مثلاً : البهايمكسروا ، أو بهايم كســـروا زريبة جدو أبكر فيتوزع النبر في الأول في كلمة (الكسر) ، وفي الحالة الثانية يـــتم التركيز على الاسم : (جدو أبكر) خاصة إذا كان رجلاً حاد الطبـــع ، وأن تكـــون الزريبة قد أحكم إقفلها وسدَّ كل المنافذ إليها ، أو تكون مليئة بالخيرات مثلاً لكن قـــد ينتقل النبر إلى بداية الجملة مرة أخرى مثلاً في عبارة : (بقر جلول) [٤] ، كســـروا

---

(١) انظر : د . عبدالعزيز مطر ، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية (دراسة لغوية) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٢٩ .

(٣) انظر : د . عبدالعزيز مطر ، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية ص١٣٠ .

(١) (جلول) بتشديد اللام شخصية اشتهر قديماً بتربية الماشية ، كان يملك الآلاف ، ولكنه لم تستفد من ذلك المال ، وكان شديد الحرص عليه،لا ينفق منه حتى على نفسه ، ذهبت كل تلك الأموال بفعل عوادي

زريبة جدو أبكر . فينتقل النبر إلى (بقر جلول) وتبقى كلمة (جدو أبكر) تحمل نبراً ثانوياً ، خاصة إذا كان (جلول) هذا قد اعتاد على استباحة مزارع الآخرين ، وأنه يملك قطيعاً من الأبقار لا يستهان به وهكذا .

مواضع النبر :

نظراً إلى كون فكرة النبر كانت مجهولة تماماً عند النحاة العرب ، فقد ظل تحديد موقع النبر في الكلمة العربية أمراً مهماً إلى أن قام المستشرقان الألمانيان (كبرستنKirstenوأربنيوسErpenius) في أوائل القرن السابع عشر بوضع قاعدة تحديد موقع النبر في الكلمة العربية وهو أن تقع النبرة على المقطع الأخير من الكلمة أو المقطع الطويل ، أما إذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها ، وأنها لا تقع ألبتة على المقاطع الطويلة الأخيرة في نحو (يقاتلوا ، ولم يقاتلوا) ، النبرة تقع على الـ (قا) [١] . ولمواضع النبر عرضة للتغيير دائماً ، ولم تتعزل اللهجات قديمها وحديثها ، ما ينبغي لها أن تتعزل ، وهي عرضة لصور التأثير والتأثر ، لذلك نجده عند الدكتور إبراهيم أنيس يقع وفق شروط معينة يقول : " إما أن يكون النبر على المقطع الأخير بشروط خاصة أو على المقطع الذي قبل الأخير بشروط معينة أيضاً ، فإذا لم تتوفر شروط هذا أو ذاك كان النبر على المقطع الثالث متى تعدُّ المقاطع من نهاية الكلمة " [٢] . ولكن قبل سوق الأمثلة ومعرفة أثر النبر على المقاطع في منطقة الدراسة لا بد من الإشارة ابتداءً إلى أنواع المقاطع .

الزمان من جفاف ومرض وبين ليلة وضحاها صار فقيراً معدماً ، يضرب به المثل لمن لا يعتبر ، يقال : (دنيا راح ببقر جلول) .

(١) انظر : فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، ص١٥٩ .

(٢) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٢٩ .

أولاً : تعريف المقطع :

المقاطع عبارة عن وحدات صوتية صغيرة مكونة من حركات وصوامت تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى ، ويوجد في أية كلمة منطوقة أو جملة صوت واحد – على الأقل – يبرز في السمع بشكل أكثر وضوحاً من الأصوات المحيطة به [١] ، هذا التعريف أو قريب منه يُجمع عليه الكثير من علماء اللغة المحدثين وإن كان لبعضهم رأي يخالف هذا مما حدا بالدكتور تمام حسان إلى القول " بأن المقطع مجرد اصطلاح ليس له حقيقة موضوعية " [٢] .

أما (ماريو باى) فيقول في تعريف المقطع : "عبارة عن قمة إسماع Peak of Sonority غالباً ما تكون صوت علة . مضافاً إليها أصوات أخرى عادة – ولكن ليس حتماً – تسبق القمة أو تلحقها ، أو تسبقها وتلحقها " [٣] .

والمقاطع الصوتية نوعان :

متحرك (Open) وساكن (Closed) ، والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل ، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن ، فالفعل الماضي الثلاثي (فتح) من ثلاثة مقاطع متحركة ، في حين أن مصدر هذا الفعل (فتحٌ) من مقطعين ساكنين [٤] .

والمقاطع العربية عموماً خمسة [٥] :

١- ص ح

٢- ص ح ح

٣- ص ح ص

٤- ص ح ح ص

٥- ص ح ص ص

---

(٣) أنظر : فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، ص٩٧ .

(١) تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص١٦٠ .

(٢) ماريوى باى ، أسس علم اللغة ، ص٩٢ .

(٣) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٠٩ .

(٤) د .بشرى السيد ، أصوات اللغة بين القدماء والمحدثين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الخرطوم ، العدد السابع ، ٢٠٠٨م ، ص٢٧٠ .

على العموم فإن تمام حسان قد أضاف نوعاً سادساً هو (ح ص) ، ومعروف أن اللغة العربية لا تبدأ بساكن ، ولكن يبرر وجود هذا المقطع وجوده في كل ما بُدى بهمزة الوصل ، لذلك لا بد من علة قبلها إذا وقعت أول الكلام ، ولكن بدء الكلام بهمزة الوصل دائماً يتبعها حركة ، إما ضمة أو كسرة كأي حرف تتبعه حركة [١] .

أما فوزي الشايب فهو يعد المقاطع العربية أربعة أنواع بجعله الثاني والثالث من مقطع واحد (ص ح ح ، ص ح ص) ويقسمها إلى :

١-**قصيرة** : وهي التي تتكون من صامت وحركة قصيرة ، ويرمز إليها بالرمز (ص ح) حيث ترمز (ص) للصوت الصامت وترمز (ح) إلى الحركة القصيرة وتمثل هذا النوع من المقاطع مقاطع الفعل (كتب) Ka| Ta| ba

٢- **متوسطة** : وهي نوعان :

أ- مفتوحة : وهي المقاطع التي تتكون من صامت وحركة طويلة ، ويرمز إليها بالرمز (ص ح ح) ويمثلها كل من (ما ، في ، ذو) .

ب- مغلقة : وهي التي تتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت ويرمز إليها بالرمز ص ح ص ويمثله كل من (خُذْ ، قَدْ ، هُمْ ، مِنْ)

٣- **طويلة** : وهي على نوعين :

أ- طويل مفرد الإغلاق ، ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت + ص ح ح ص مثل : آمين ، ضالين ، (لين) وهكذا .

ب- طويل مزدوج الإغلاق : ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت (ص ح ص ص) مثل (شمس ، هند ، بنت ، قط) .

٤- **مديدة** : ولا تكون إلاَّ وقفاً ، وتتكون من صامت وحركة طويلة وصامت طويل ويرمز إليه بالرمز (ص ح ح ص ص) ويمثلها (سارَّ ، حارَّ ، بارَّ) وقفاً [٢] .

ويظهر مما سبق أن المقاطع القصيرة مفتوحة أبداً ، والمتوسطة منها المفتوح ومنها المغلق ، أما المقاطع الطويلة والمديدة فهي مغلقة أبداً .

---

(٥) بشرى السيد ، أصوات اللغة بين القدماء والمحدثين ، ص٢٧٠ .

(١) انظر : فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الجملة ، ص١٠١ .

وللحديث عن النبر في منطقة الدراسة لا بد من استصحاب ما ذكره العلماء بشأن المواضع ، فقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس مثلاً قوله : (ومواضع النبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية هي المقطع الذي قبل الآخير مثل : استفهم ، ينادى ، قاتل ، يكتب " [1]وعند عبدالعزيز مطر : " فقد يقع النبر على المقطع الأخير ، وقد يقع على ما قبل الأخير ، وقد يقع على المقطع الثاني متى نعد المقاطع من أول الكلمة " [2] . وهو بذلك يرمي إلى ما ذكره أنيس من انتقال النبر عن المقطع الأخير ولكن بشروط معينة ، فيذكر الدكتور مطر هذه الحالات وهي :

١- **نبر المقطع الأخير** : يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة كما يأتي :

أ- إذا كان المقطع الأخير من الكلمة طويلاً مغلقاً أي مكوَّن من : صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن مثل عزيز ، بشير ، مختار (زيز ، شي ، تاء) .

ب- إذا كان المقطع الأخير طويلاً مزدوج الإغلاق ، أي مكوَّناً من صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن .

فاشر ، ظاهر ، راتب (ص ح ح + ص ح ص ص)

ج- إذا كانت الكلمة مكوَّنة من مقطعين أوَّلهما قصير مفتوح ، وثانيهما متوسط مغلق ، وكان صوت اللين الطويل في المقطع الثاني .

حسن ، عمل ، وصل (سن ، مل ، ص) [3] وهكذا . ولكن هذه المواضع عرضة للتغيير ، فقد يطرأ عليها أو على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النبر من موضعه إلى مقطع قبله أو آخر بعده من الكلمة يقول أنيس : (فاشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدي إلى تغيير موضع النبر ، فالفعل الماضي (كتب) يحمل النبر على المقطع (ك) فإذا جئنا بالمضارع (يكتب) لاحظنا أن النبر قد انتقل إلى المقطع الذي يليه وهو (تُ) ، وكذل إذا اشتققنا من المصدر (انكسار) فعلاً ماضياً مثل (انكسر) نلحظ أن النبر ينتقل إلى المقطع الذي قبله ، لأنه في الكلمة

---

(١) انظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : ١٧٣ .

(١) انظر : د . عبدالعزيز مطر ، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر (دراسة لغوية) ص١٩٨.

(٢) المصدر السابق ، والصفحة .

الأولى كان على المقطع (س) وفي الثانية على المقطع (ك) ... وكذلك حين يسند الفعل إلى الضمائر ... فإذا اسند الفعل الماضي (كتب) إلى ضمائر الرفع المتصلة (كتبتُ) كتبنا انتقل النبر إلى المقطع الذي يليه ، ولكن يبقى على حاله في حالة الإسناد إلى واو الجماعة (كتبوا) [١] .

كذلك هذه المواضع عرضة للتغيير في اللهجات من لهجة لأخرى وفق عوامل التأثير والتأثر بسبب الجغرافيا والبيئة وكذلك الاحتكاك بالمجموعات الأخرى خاصة إذا كانت تلك المجموعات ترتطن لغات مغايرة ، لها طرائقها في نبر كلامها، وقد تظهر في اللهجات الحديثة ما يمكن ردها إلى أصول قديمة . يقول أنيس : " وليس اختلاف النبر فيها بالأمر الغريب ، بل هو طبيعي وإننا لنشهد آثاره في اللهجات الحديثة " [٢] . ويقول عبدالمجيد عابدين : " ولعل دراسة في مواضع النبر في اللهجات الحديثة ، على أسس دقيقة تكشف لنا نماذج مختلفة واضحة السمات يمكن ردها إلى نظائرها في اللهجات القديمة ذاتها " [٣] . فإذا كانت اللهجات العربية تميل في حالة الوقف إلى نقل النبر إلى المقطع الذي قبله ، في نحو : خالد ، ويكتب (خا ، يك) ؛ فإنه في منطقة الدراسة يبقى من العسير الالتزام بهذه القاعدة ، خاصة في تلك المناطق التي أثرت فيها لغات أهلها من الفصائل الحامية الزنجية ، وأضافت إلى العربية المتكلمة لواصق صرفية مثل صوت الـ (O) الذي يلحق ببعض أسماء الأعلام : أبوه ، خالوه ، جدوه ، فيقع النبر على المقطع الأخير خاصة في المقاطع الفوراوية (بو لو دو) ليؤدي بذلك نبراً وظيفياً في الجملة ، وغالباً ما يصوَّت بهذه اللواحق ، وذلك لطبيعة كلامهم ، حيث يتم تفخيم هذه الأصوات وإظهارها في السمع ، وهذه سمة في كل اللغات الإفريقية كما يقول جابر : " ومن مميزات اللغات الإفريقية ، أنها لغات ذات نبرة حادة ، ومتحدثوهايتكلمونهافي

---

(٣) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٧٦ .

(١) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١٢٩ .

(٢) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٧٨ .

جو من الصياح والضوضاء ، ورفع الصوت أثناء الكلام خلاف غيرها من اللغات " (١) .

ومن هنا ينشأ التنوع والتداخل في نبر المقاطع ، وعامية المنطقة تتراوح بين تلك التي حافظت على الظواهر القديمة فنجد في عامية المنطقة قبائل ما تزال تحكي تلك الآثار القديمة مثل قطعة طيئ– على سبيل المثال – يا أبو الحس في أبي الحسن ، فتقطع آخر الكلمة في النداء وفي غيرها ، فتخرج بذلك عن القاعدة (نبر المقطع الأخير) وبين تلك الكلمات العربية التي لحقت بها المقطع الأخير (نجا ونقا) في لغة الفور ، فالكلمات التي تلحق بها أي من هذين المقطعين تكون فيها قمتان للنبر ، حيث يتم رفع الصوت في موضعين من الكلمة في بداية الكلمة حيث المقطع الأول من الكلمة العربية ، ثم موضع اللاحقة ففي الكلمتين (جبنقا) للعادة المعروفة والمكونة من (جبَّ + نقا) وفي كلمة (شلانقى) للبصير الذي يداوي العمى ، والمركبة من (شلاء + نقى) فيقع النبر على المقطع الأول من الكلمة (جب/ نقا) : ص ح + ص ح ح + ص ح ص ، وكذلك شلا / نقى : ص ح + ص ح ح + ص ح ص ص ، حيث يتم رفع الصوت في الجزء الأول من الكلمة ، وهو موضع النبر الرئيس من الكلمة في أصلها دون زيادة هذه اللاحقة ، فكلما أضفت إليها هذا المقطع ، احتاجت الكلمة إلى نبر إضافي وذلك ليتبين القصد من إضافة هذه اللاحقة ، ففي بعض الكلمات قد تكتفي بالنبر الرئيسي في موضعه ، على أن تحمل اللاحقة نبراً ثانوياً ، وذلك في مثل الصوت (O) في أبوه وخالو هكذا ص ح ح + ص ح ص ليتم التفريق بينه وخالى أو الخال ، حيث يكون النبر الرئيس في الـ (خا) .

أما في كلمات من نحو (جبنقاوبسنقا) فقد تحمل الكلمة قمتين وقد صارتا من القوة ما تجاوزتا بها النبر الثانوي ، وقد تركت هذه الظاهرة آثارها على العامية المتكلمة .

من ناحية أخرى نجد في النداء عند قبيلة الزغاوة ، فهم يلحقون بالاسم الحرف (يا) للنداء ويكررون الحرف الأخير من الاسم بعد مدِّه ففي مثل يا آدم ويا

---

(٣) د . جابر محمد جابر ، التنوع الثقافي والتداخل اللغوي ، ص١٢٩ .

أحمد يقولون آدماوآمدا[١] . وقد تركت هذه الظاهرة آثارها كذلك ، لذلك فإن انتقال مواضع النبر في مقاطع هذه العامية تختلف من مجموعة لأخرى حسب الموقع الجغرافي وطبيعة المتكلمين بهذه العامية ، فتجد مناطق شرق دارفور وشمالها (أم كدادة ، اللعيت ، الطويشة ، مليط) لا تختلف طرائق النبر فيها عن أواسط السودان ، أما في الجزء الشمالي والشمال الغربي وإلى الغرب من مدينة الفاشر حيث طغت على لغة المتكلمين فيها ظواهر تلك اللغات الحامية ؛ لذلك اختلفت طرائق النبر فيها ، حيث يعملون على إطالة المقطع الأخير وإمالته دائماً فيقولون في النداء في يا خالد ويا فاطمة (خاليد) وفاتمى أو فانى ، ومنهم من يقول : فاتنه أو فاطنه فلا يتغير موضع النبر وهكذا وقد ينتقل إلى المقطع الذي قبل الأخير في حالة الوقف مثل مناطق وسط السودان في كلمات من نحو عصَر وبكرْ يقولون عصُر وبكُر ، وأحياناً تجدهم يضغطون على المقطع الأخير شأن الكثير من اللهجات السودانية ، في الوقف وقد حكى عنهم د . عبدالمجيد عابدين قوله : " فهم يضغطون على المقطع الأخير ، في كل منها نغمة خاصة كالزجرة الخاطفة ، كأنك وأنت تنطق بالكلمة ترنو إلى الهمز في عصا وفتى ، وقمرا ، وكأنَّ الأصل فيها عصأ وفتا وقمرا ، وهي تذكرنا بتلك اللهجة التي رواها سيبويه ولم ينسبها فقال : " وزعم الخليل أن بعضهم (أي بعض العرب) يقول رأيت رجلأ فيهمز " [٢] .

وهذه الظاهرة التي فيها الزجرة الخاطفة كما وصفها عابدين تجدها في مناطق غربي مليط عند قبائل البرتي وفي مناطق أخرى وهي تنطق بهذه الظاهرة وغالباً ما يقفون بهذه القطعة في المقاطع التي تنتهي بإمالة أو تكون قد أسقطوا عليها الإمالة وليست فيها مثل خدجأ في خديجة وهديأ في هديَّة وفتيأ في فتحية ، وهذا التغير الذي يطرأ على بنية الكلمة من هذا الطريق يستدعي تغييراً وانتقالاً في موضع نبر الكلمة ، فإذا كان النبر في كلمتي (هديَّة وخديجة) على المقطع الثاني فإنه ينتقل في هذه الحالة إلى الموضع قبل الأخير حيث موضع (الزجرة الخاطفة) – كما سماها – (عابدين) في هديأوخدجأ .

---

(١) د . جابر محمد جابر ، التنوع الثقافي والتداخل اللغوي ، ص١٢٩ .

(١) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص١١٧ ، وسيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٢٨٥ .

كذلك من مظاهر انتقال موضع النبر وتغييره ما يجده المتكلمون بهذه العامية من صعوبة في نطق بعض الأصوات العربية المفردة كأصوات الحلق مثلاً ، في كلمات من نحو (محتاج ومعقول) فإن النطق بهذه الأصوات في منطقة الدراسة قد يترتب عليه – أحياناً – زيادة المقاطع أو تغيير التنغيم في الكلمة ، فيحدث فيها التحول ففي (ميتاج) يقولون (موتاج) وفي (معقول) (ماقول) فالنبر فيهما يسقط على المقطع الأول عند من يتقن التحدث بالعربية ، ولكنه يتحول عن هذا الوضع حين ينطق بها كثير من المتكلمين بهذه اللهجة ليسقط على المقطع الأخير (موتاج) ، (ماقول) .

وقد يأتي التغيير في موضع النبر – أحياناً – نتيجة لصعوبة نطق الأصوات المتجاورة ، وهذا يلاحظ عادة في المقاطع التي تتكون من صوت صامت + صوت صائت طويل + صوت صائت قصير مثل إضافة ياء المتكلم في نحو أخوى ، أبوى ، ونحوهما ، ولصعوبة ما يجدونه يضيفون في بعضها مقطعاً ثالثاً مثلاً في أخي : (أخئيى) أو (أخيى) في ولدي : (وليدى) وفي بنتى : (بنيتى) ، فبدلاً من وقوع النبر على المقطع الثاني من الكلمة يقع على المقطع الثالث ، وقد يعكسون في بعض الكلمات فيقصرون المقاطع بدلاً من زيادتها ففي جاءني : جاني وهكذا تتغير مواضع النبر وتتبدل بتبدل وتنوع ظروف المتكلمين بهذه العامية .

ولك أن تتصور قدر التداخل والتنوع وقد امتزجت آثار هذه اللغات ، وأثرت في العامية المتكلمة في منطقة الدراسة ، وأصبح من العسير الحكم على مزاجها العام ، ولكن تبقى هذه العامية رغم ما يظهر عليها من تباين في طرائق النبر وتبدُّل مواضعه تحمل سمات خاصة تميز أهلها ، وبمقدور المرء بعد استصحاب تلك المعطيات – سابقة الذكر – أن يجد لها تعليلاً داخلياً .

المبحث الرابع : المماثلة والمخالفة وشيوعهما في عامية المنطقة :

تُعد ظاهرتا المماثلة والمخالفة الصوتيين من التغيرَّات التي تصيب الأصوات في بنائها للكلمات والجمل ، وهذه التغيرات القصد منها أن تتواءم الأصوات حتى يسهل النطق بها فيتحقق الانسجام ، ويقل الجهد المبذول في نطق الأصوات ، وقد تحدث الدكتور رمضان عبدالتواب عن تلك التغيرات فقال شارحاً : " هي تلك التغيرات التي تصيب الأصوات من جهة العلاقات التي تربط بينها في بناءٍ واحد ، أو في تركيب واحد ، يكون فيها لبعض الأصوات تأثيرها على بعضها الآخر ، ذلك وفق مبانٍ بأعيانها وليست في كل السياقات اللغوية ، وفق قانونين مشهورين " (١) هما المماثلة Assimilation والمخالفة Dissimilation.

أولاً –المماثلة :

من أبرز القوانين الصوتية أثراً في التطور اللغوي قانون المماثلة بين الأصوات ، فإن أصوات اللغة تختلف فيما بينها من حيث الشدة والرخاوة والجهر والهمس والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك ... فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحدٍ ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً ، حدث بينهما شد وجذب كلٌ منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ، ويجعله يتماثل معه ، في صفاتها كلها أو في بعضها ، وهناك اصطلاحات لعلماء الأصوات في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة ، قد يختلفون حول المسميات لكن لا خلاف بينهم يذكر حول المضمون ، فأنواع التأثر عند بعضهم بين (تقدمى) و(رجعى) وعند بعضهم بين (مقبل) و(مدبر) ، يقول رمضان عبدالتواب : " فإن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثير (مقبل) ، وإن حدث العكس ، فالتأثير (مدبر) ، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثير (كلي) وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثير (جزئي) " (٢) .

---

(١) د . رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس ، مجلة مجمع اللغة العربية ، العدد (٣٣) ، ١٩٧٤م ، ص١١٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص١١٥ ، وإبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٧٨.

فمن أمثلة التأثير (المقبل الكلى) صيغة (افتعل) نحو (ادَّعى) و (ادَّكر) فالأصل فيهما (ادتعى) و(ادتكر) ، ولكن صوت التاء المهموس تأثر بالصوت السابق عليه وهو صوت (الدال) في كل منهما وهو صوت مجهور ، فانقلبت التاء المهموسة إلى صوت مجهور ، وهو الدال فصارت ادَّعى وادَّكر لتصبح المماثلة تامة ، وقد يشمل التأثير بعض خصائص الصوت ويسمي هنا تأثيراً جزئياً مثل (اضطرب) أصله اضترب قلبت التاء طاءً ، وهي مفخمة مثل الضاد [١] وقرينتها في الإطباق كذلك وهذا داخل في درجات التأثر .

فالأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها بعضها ببعض ، فلا يعدو التأثر أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس ، وأقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره بما يجاوره أن يفنى في الصوت المجاور ، فلا يترك له أثراً ، وفناء الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح عليه القدماء في تسميته بالإدغام [٢] وقد أفرد له سيبويه باباً من كتابه ؛ وتأثير الأصوات بعضها ببعض ليس مقصوراً على الأصوات الساكنة ، بل قد يكون أيضاً في أصوات اللين وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين Vowel harmony[٣] .

ومثال ذلك تأثير النون في (أنْ) و(إنْ) و(منْ) و(عنْ) بالميم واللام التي تليها فتقلب ميماً أو لاماً مثل (أمَّا) و(إمَّا و (عمَّا) و(مَّما) وألاَّ وإلاَّ وما إلى ذلك .

ومثال (المدبر الجزئي) تأثير النون بالباء التالية لها ، إذ تُقلب إلى صوت من مخرج الياء ، وهو صوت (الميم) إذ هو شفوي كصوت الباء وهو ما سماه علماء القراءات بالإقلاب في مثل قوله تعالى :﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾[٤]،﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾[٥].

---

(١) انظر د . رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس، ص١١٥ وإبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٧٨ .

(٢) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٢٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص١٧٨ ، ومحمود عكاشة ، أصوات اللغة ، ط٢ ، مكتبة دار المعرفة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص٨٥ .

(٤) سورة المُلك، الآية (١٣) .

(٥) سورةالبقرة، الآية (٢١٣) .

يقول إبراهيم أنيس عن هذه الظاهرة : " والأصوات في تأثرها أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ، ويمكن أن يسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة ، وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه " [١] وقد مثل دانيال جونز للتغير الذي يطرأ على صوت الـS الإنجليزية في الكلمتين (Horse, Shoe)عندما تركبان معاً نحو (Horse, Shoe)حيث تنطق الـS هكذا Sh (ش) لذلك نجده يعرف عملية التماثل : بأنها استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاوراً له في الكلمة [٢] . ومصطلح المماثلة لم يستخدمه القدماء غير أنهم عالجوا موضوعها فيما يقع بين الأصوات من تعاقب وتأثير وإتباع وإدغام وقلب وإبدال وإعلال .

واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلام مالت ميلاً كبيراً إلى هذا التأثر، إذ تبدو في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض أثناء النطق .

وستكتفي الدراسة بإيراد بعض الأمثلة لهذا النوع من التأثر (المماثلة) التي كثيراً ما اتفقت فيها العامية في منطقة الدراسة بما طرأ على العاميات المعاصرة من تغيرٌ ، فقد حافظت على بعض صورها عندهم ، وسلكت في بعضها الآخر مسلكاً مغايراً .

من أمثلة ذلك (التأثير المدبر في حالة الاتصال) وهو من الصيغ كثيرة الاستعمال في لهجة السودانيين وشمال دارفور بصفة خاصة ، حيث صفتا (تفعَّل وتفاعل) حين تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كان صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان مثل (يذكر) من (يتذكر) و(اذَّكر) و(ادَّكر) من اذتكر، فنجدهم يقولون مثلاً (اصالحوا) أي تصالحوا بعد خصام ، و(اشِّاكلوا) أي اختلفوا وعيال فلان (اداققوا) بقاف معطشة مثل (g) الإنجليزية أي بضرب بعضهم بعضاً ،

---

(١) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص١٢٦

(٢) المصدر السابق ، ص١٧٨ ، ومحمود عكاشة ، أصوات اللغة ، ط٢ ، مكتبة دار المعرفة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص٨٥ .

ويقولون كذلك اطَّوع في الجيش ، واشهى الأكل والصيغتان تجدها في كثير من مناطق السودان ، ولم يحدث فيها تطور وقد ورد في قوله سبحانه وتعالى : ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾[1] وورد : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ﴾[2] فهاتان الصيغتان ما انفكتا تصيران جنباً إلى جنب في عامية المنطقة ولم يحدث فيهما تطور ، وقد أشار رمضان عبدالتواب مذكراً بهذه الظاهرة : " فقد ذكرنا أن التطور اللغوي في أية ظاهرة لغوية لا يحدث فجأة فيقضي بين يوم وليلة على كل أثر قديم " [3] فالصيغة الأولى القديمة وإن انحصر استخدامها في مناطق بعينها ، فإنها لم تندثر في العامية المتكلمة ، فالتطور من (يتفاعل) إلى (يفاَّعل) يسود أسلوب الخطاب في عامية المنطقة ، فلا تكاد تسمع صيغة يخالف هذا التطور ، ففي تصرف (اصرَّف) ، ويتساهل معه (يساهل) و(اطاولعليهو) في تطاول ويتطاول إذا رفع صوته أساء إليه . وفلان (اتاقل) علينا إذا أظهر نوعاً من الكبر والأنفة في معاملته ، وفي القرآن قوله تعالى : ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[4].

ومما هو داخل في هذا الباب تأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (به) والجمع المذكر (هم) والجمع المؤنث (هنْ) والمثنى (هما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء فتقلب الضمة كسرة على سبيل المماثلة فتصير بِهِ من (ب) حرف الجر + الضمير (هو) ومثلها في بِهِم وفيْهم ، فالقاعدة أن تتماثل الحركتان إلى الكسرة ، ولكن اللغة المتكلمة خالفت بينهما فيقولون بدلاً عنها : بيهوولديهووعليهووفيهو وبيْهُم في (به ولديه وعليه وفيه وبهم) على الترتيب وهي لغة أهل الحجاز .

---

(١) سورةالنمل، الآية (٤٧) .

(٢) سورةيس، الآية (١٨) .

(٣) رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٢٩ .

(٤) سورةالتوبة ، الآية (٣٨) .

كما ورد في مصادر أهل اللغة يقول سيبويه: " فالهاء تكسر إذا كانت قبلها ياء أو كسرة ، وذلك قولك : مررت به بهي ولديهي وبدارهما قيل : وأهل الحجاز يقولون : مررت بهو قبل ولديهو مال وقرئ بها قوله تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهُ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[1][2]وبها قرأ حفص عن عاصم : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[3]ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾[4]. فقد حافظت القبائل الحجازية على هذا الأصل وكذا في كثير من لهجات أهل السودان المتكلمة ، يقولون : (عليهو دين) (اصدَّق فيهو) و(عمل ليهو مشكلة) وهكذا يقتصرون على هذه الصيغة وحدها في الاستخدام .

ثانياً : المخالفة : Dissimilation

من التطورات التي تعرض أحياناً للأصوات اللغوية ما يمكن أن يسمى بالمخالفة ، وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين ، وقد دلت البحوث التي قام بها علماء الأصوات أن ظاهرة المخالفة قد شاعت في الكثير من اللغات السامية ، وليست هذه الظاهرة إلاَّ تطوراً تاريخياً في الأصوات ، ولم يفطن علماء اللغة القدامى لها ، أو لم يولوها ما تستحق من عناية ، واضطرب تفسيرهم لها ، فقد أشار إليها سيبويه في باب سماه : ما شذ فأبدل مكان اللام الياء كراهية التضعيف وليس بمطَّرد ، ثم مثَّل لذلك كـ (تسريت وخطيت وتقضيت [5] كما أشير إلى هذا في أمالي ابن الشجرى حين قال : " وما حذفوا منه وعوَّضوا فنحو : تظنَّنت قالوا تظنيت ، فعوَّضوا من النون الياء) [6].

---

(١) سورة القصص، الآية (٨١) .

(٢) سيبويه ، الكتاب ، ج٤، ص ٢٩٤ .

(٣) سورةالكهف، الآية (٦٣) .

(٤) سورة الفتح، الآية (١٠) .

(٥) سيبويه ، الكتاب ، ج٤ ، ص٤٢٤ .

(٦) ابن الشجرى ، الأمالى ، ج٢ ، ص١٧٢ .

وهذا التطور هو أحد نظريات السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين ، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي ، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة ، وقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف [١] .

وإذا كانت المماثلة تميل إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض فإن قانون المخالفة بعكس ذلك ، فيعمد إلى صوتين متماثلين فيخالف بينهما ويغيرِّ أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة وهي اللام والميم والنون والراء ، مثال ذلك دينار ، وقيراط بدلاً من دنَّار وقرَّاط بدليل الجمع دنانير وقراريط [٢] ، فقد تجتمع ثلاثة حروف صامتة تماثله مثال ذلك (دسَّس) اجتمع فيها ثلاثة أصوات صامتة هي السين المشددة ثم السين الأخيرة ، فقلبت السين الأخيرة إلى صوت لين طويل هو ألف المد فأصبحت (دسىَّ) وجاء هذا في قوله تعالى : ((وقد خاب من دسَّاها))[٣] أصلها دسَّسها ، فأبدلت الثالثة الأخيرة ألفاً لكثرة الأمثال ، ومثل هذا في تظننت حيث تقلب النون الأخيرة إلى ياء ، ولهذا يقال فيها تظنيت .

ومنه كذلك (أمليت) ، وأصلها (أمللت) ، فأبدلت اللام الثانية هرباً من التضعيف يقول ابن جني : " قولهم أمليت الكتاب أصلها أمللت ، فأبدلت اللام الأخيرة هرباً من التضعيف ، وقد ورد في القرآن الكريم باللغتين جميعاً ، يقول الله عزَّ وجل : ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾[٤] وقوله تعالى :﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٥][٦] وفي اللسان : أمللت لغة أهل الحجاز وبني أسد ، وأمليت لغة بني تميم وقيس ، وقرأ عكرمة : (إيلاً ولا ذمة) ، وأصلها (إلاَّ) ، تحولت اللام المضعفة

---

(١) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٢١١ .

(٢) رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٥٧ .

(٣) سورة الشمس ، الآية (١٠) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨٢) .

(٥)سورة الفرقان ، الآية (٥) .

(٦) ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج١ ، ص١٣٤ .

إلى الياء " [١] يقول ابن جني : " إيلاً ولا ذمة بياء بعد الكسرة خفيفة الـــلام ... أن يكون أراد إلا كقراءة الجماعة إلا أنه أبدل اللام الأول ياء لثقل الإدغام " [٢] .

وهذه الظاهرة الصوتية – المخالفة – مالت إليها العاميات العربيـــة الحديثـــة ابتغاءً للسهولة التي أشار إليها علماء اللغة القدامى والمحدثون ، وهي تكثر كذلك في عامية أهل السودان بصورة عامة ومنطقة الدراسة بصفة خاصة .

وأكثر صيغ المخالفة شيوعاً عندهم في (تفعَّل و(فعَّلت) وهذا يغلب في عامية أهل السودان يقولون (قصَّيت) أظافري في قصصت ، و(دقيت العيش) و(دريته) من دقق وذرَّر أو من الدقّ والذّر ، و(مدَّيت رجلي) من مدَّد ومدَّ و(مخيت) من تمخـــى أي تمطى و(دسَّيت) في دسست . وهرباً من التضعيف قالوا في الأمر (اندس) وهكذا بل تجدهم يميلون الحرف محل التضعيف بعد مخالفته طلباً للتخفيف كذلك (مـــدِّيت ، نطَّيت، شديت) يقول عون الشريف قاسم : " يقولون دسيت بدل دسست وحبيت بدل حببت وقصيت الأظافر بدل قصصت ، والعرب تفعل ذلك أيضاً "[٣] .

كذلك قد تبدل أحد الحرفين المضعفين نوناً أو لاماً أو غيرهما مـــن حـــروف اللين فقالوا (منطر) في ممطر ، و(حنفش) في (حفَّش) للحية إذا انتفخت ، وبعـــض القرويين في منطقة الدراسة لا يعرفون في (ممتاز) إلاَّ (منتاز) ، ويقولون شنكل في (شكل) ، و(انبرش) في (ابَّرش) إذا سقط وافترش الأرض . وهذا النوع من الابدال عرفته العامية من قديم ، فقد روى أبو منصور الجواليقي المتوفي سنة (٥٣٩هـــ) عن عوام عصره أنهم كانوا يقولون (منطر) في (ممطـــر) ، كمـــا كـــانوا يقولـــون (خرمش) في (خمش) [٤] وفي عامية أهل السودان يقولون مهردم في مهدَّم ومشنكل في مشكل وشنقل من شقَّل [٥] بمعنى رمى و(شنقلىطوباية) أو شنقلطوباية من أكبر قرى محلية دار السلام جنوبي الفاشر . وقد يخرجون عن القاعدة في المخالفة فـــلا

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أملل) .

(٢) ابن جني ، المحتسب ، ج١، ص ٢٨٣ .

(٣) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص١٦ .

(٤) رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٣٨ .

(٥) شنقل رمى وصرع وهي من شقل السريانية بمعنى رمى . عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٥٤٦ .

يلتزمون في الابدال والمخالفة بين الأصوات المائعة فقد يستعيضون بدلاً عنها أصواتاً ليست من أصوات اللين أو الأصوات المائعة ، فمثلاً السين التي تلحق عند العامة بكلمة (اتفق) فتبدل إحدى التاءين سيناً يقولون (استفق) و(استفاق) في اتِّفاق وفي أغنية زكريا الفاشر المشهورة :

الله يا بنات جيزة حسنات

سنة كلام كتاب جبنقا[١]استفاق

وليس يلزم أن يكون الصوتان متجاورين فقد ورد (عنوان الكتاب) و(علوان الكتاب) ، وكلمة (لعلٌّ) فيها عشر لغات مشهورة من هذه اللغات (لعنٌّ) وهي أثر من آثار قانون المخالفة ، فتأخذ هذه الكلمة في بعض مناطق الدراسة طريقاً مغايراً عن العامية المتكلمة حيث تسبق النون ؛ فتأتي في أول الكلمة يقولون (نعلٌّ) بدلاً من (لعَنٌّ) لذلك نجدهم يقولون في يلعن الشيطان (ينعل) ومنعول في ملعون وهكذا ، ومثلها يخالفون بين الباء واللام في كلمة (خلَّط) فتسمع في العامية السودانية (لخبط) و(خلبط) فيطلقون على الطفل الصغير كثير المشاكسة (خلباط) وهكذا .

من ناحية أخرى نجد هناك بعض علماء اللغة ينظرون إلى المماثلة على أنها قوة سالبة في حياة اللغة ، وأنهم يرون أنه لو ترك العنان إلى المماثلة لأزالت الفروق بين الفونيمات ، لذا فإنهم يرون في عامل المخالفة أنها تعيد الخلافات التي لا غنى عنها ، ولإبراز الفونيمات بصورتها الاستقلالية ، وهذا نجده بصورة واضحة فيما يطلق عليه رمضان عبدالتواب المخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية[٢] ، ومثال ذلك نجده فيما يحدث لحركة ضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى ، يقول إبراهيم أنيس : " فالأصل في هذه الحركة هو الضمة الطويلة ، وتحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله كما عرفنا من قبل ، وتحتفظ العربية الفصحى

---

(١) للعادة المعروفة في دارفور ، يقول عنها عون الشريف قاسم : يتفق الولد والبنت على الزواج ، ويعترض الأهل فيهربان إلى بلد آخر ، يتم عقد الزواج بواسطة المأذون ، وقد تنطق جبونقةوجمونقه ، قاموس اللهجة العامية ، ص١٨٥ .

(٢) انظر : رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٥٥ .

بالطول في حركة بعض المقاطع القصيرة ... " [١] فمثلاً (في منـــه وبـــه وفيـــه) يقصر العربية حركته فيقولون في منهو منه وفي فيهو فيه وفي بهو نقول به وهكذا ، ولكن عن طريق المخالفة تعود الضمة وهي الأصل في الضمير ، وهذه شائعة في العامية السودانية ولا تعرف العامية في منطقة الدراسة غيرها . فمن خلال المخالفة تعيد اللهجة المتكلمة فتخالف بين الحركتين جرياً مع هذا القانون لتبقى تلك الفـــروق بين الفونيمات احترازاً من الوقوع في الخطأ حال تتابع حروف متشابهة في الكلمة ، لذلك يرى أن العلة في التخالف (نفسية محضة) يقول : (فإنا نرى الناس كثيـــراً مـــا يخطئون في النطق ... وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ؛ لأن النفس يوجد فيها – قبل النطق بكلمة – تصورات الحركـــات اللازمـــة علـــى ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، وبعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ) [٢] كأنه أراد أن يقول بضرورة المخالفة ، أو أن الجنوح إلى المخالفة في حالة الحروف المتشابهة في الكلمة هو التصرَّف السليم لتجنَّب الوقوع في الخطأ.

وعلى العموم فإنه لا يبدو في الأمر تناقض إذا ابتغـــى المـــتكلم فـــي كـــلا الظاهرتين السهولة وتقليل الجهد العضلي ، فهذا – فيما أحسب – ممكـــن ، فحـــين نصوغ من الفعل (ظلم) افتعل (اظتلم) فقد تجاورت الظاء والتاء وبين الحرفين فروق من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والاستفال ، ولتضـــييق مســـافة الخلف بينهما تلجأ اللغة إلى المماثلة فتصبح الكلمة اظطلم وهذا أيسر ثم يزداد هـــذا اليسر إذا اتحد الصوتان تمام الاتحاد في (اظَّلم) وهو أقصى مراحل التيسير حيـــث المماثلة التامة ، فإذا افترضنا أن العامة نطقت بالكلمة من (اظَّلـــم) (اتظلـــم) حيـــث خالفت بين الصوتين المتماثلين بقلب أحدهما صوت لين ، فمثلما يستعصـــى علـــى الشخص الانحدار من نقطة أو من منطقة مرتفعة هو طبق الفم إلى حـــرف مســـتفل (اظتلم) ترغب كذلك في أن تأتلف الحروف عن طريق المخالفـــة فيســـهل النطـــق وتصبح العبارات واضحة . ولكن في العامية المتكلمة أحياناً قد يعجـــز الانســـان أن يجد تفسيراً منطقياً لبعض طرائق الاستخدام ، فنجد القرويين في العامية الســـودانية

---

(١) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص٢١٣ .

(٢) رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، ص٤٠ .

وفي منطقة الدراسة بخاصة أحياناً يخرجون على هذه القاعدة ففي كلمة شمس التي خالفت فيها العربية اللغة العبرية فأبدلت إحدى السينين شيناً ، نجد بعض العامة ينطقونها (شمش) [1] بشينين ومن أمثالهم : الـ (شاف الشمش كله بعدم) أي كل حيٍ فانِ ، وهذه مماثلة متباعدة بقصد التيسير في النطق .

(١) شمش : شمس في العامية السودانية ، شماشة وشماسة ، الذين لا مأوى لهم سوى الشمس ويقصد بهم الذين يملأون الشوارع ويستظلون بالشمس ، أو الذين يبيعون ويشترون تحت الشمس دون ظل . عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية ، ص٥٤١ .

الفصل الخامس

الخصائص الصرفية للهجة شمال دارفور

المبحث الأول : المصادر وتصريفها

المبحث الثاني : الإعلال والإبدال

المبحث الثالث : التصغير ، صيغه وأغراضه

المبحث الرابع : تخفيف الهمزة

الفصل الخامس

الخصائص الصرفية للهجة شمال دارفور

الناظر لعامية شمال دارفور يجدها تميزت بخصائص صرفية كثيرة ، منها ما هو داخل في نطاق أقيسة العربية ، ومنها ما هو خارج عنه ، غير أنها في كثير من الأحيان تسلك مسلك العربية الفصحى في أبنيتها ، مع تحريف يسير أو كثير عن مستواها الصوابي الذي عليه بُنيت قواعدها ، وهذا ما جعلها تأخذ طابعاً ميزها عن عاميات السودان المختلفة .

الحديث عن كل الخصائص الصرفية في منطقة الدراسة يحتاج إلى بحث آخر كبير ، لذلك يرى الباحث أن تنحصر الدراسة في هذه الخصائص ، التي أحسبها تكفي للاستدلال ، وستميل الدراسة في استقصاء هذه الخصائص إلى تلك التي تجمع بين الجانب الصوتي والصرفي ، معرضاً عن بعضها مثل التثنية والجموع ونحوهما ، وذلك لأن مسلك عامية دارفور فيهما لا يختلف في كثير من الأحيان عن مسلك العربية الفصحى ذاتها ، ولهذا ستنحصر الدراسة في المصادر والإعلال والإبدال ، والنسب والتصغير ، وتخفيف الهمزة .

المبحث الأول : المصادر وأبنيتها في لهجة شمال دارفور :

المصدر هو الاسم الدال على الحدث الجاري [١] دون اقتران بالزمن يقول ابن مالك :

والمصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمنٍ من أمن[٢]

ومصدر الشيء أصله ، يقول الخليل الفراهيدي : " المصدر أصل الكلمة التي تصدر عنه الأفعال ، وتفسيره أن المصادر كانت أول الكلام كقولك :

---

(١) محمد محي الدين عبدالحميد ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ط١١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦٣م ، ص٢٦٠ .

(٢) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص١٢٣ .

الذهاب ، والسمع والحفظ ، وإنما صدرت الأفعال عنها ، فيقال : ذهب ذهاباً وسمع سمعاً وسماعاً ، وحفظ حفظاً " [١] .

وقد أطلق سيبويه اسم المصدر على الحدث مرة ، واسم الحدثان مرة أخرى قال : " فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، والأحداث جمع حدث نحو الضرب والقتل والحمد " [٢] وقال : " واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدي إلى اسم (الحدثان) الذي أخذ منه ، لأنه إنما يذكر ليدل على الحدث " [٣] .

وللمصادر أوزان قياسية سواء أكانت ثلاثية أم رباعية أم خماسية نصّ عليها النحاة في كتبهم ، وأوزان أخرى غير قياسية تعتمد على السماع ، وبالرجوع إلى صيغ المصادر الشائعة في عامية دارفور المتكلمة تجدها وإن احتفظت ببعض الصيغ القياسية في العربية ؛ فإنها قد جنحت في بعضها الآخر إلى التحريف شأن الكثير من العاميات في سلوكها اللغوي ، تدفعها إلى ذلك السلوك ظروف البيئة والصراع اللغوي ، فانفردت بصيغ لا يجري الاستعمال بها الآن في كثير من عاميات السودان العربية . فمن ذلك مثلاً :

أ/ الفعل الثلاثي :

صياغة المصدر في الفعل الثلاثي تجيء على وجوه من قول الميداني : " اعلم أن مصدر (فَعَلَ) في الغالب الأكثر على (فَعْلٌ) بسكون العين إذا كان متعدياً ، و(فُعُولٌ) إذا كان لازماً نحو : قتل قتلاً ، وضرب ضرباً ، ومنع منعاً ، ونحو خرج خروجاً ، وجلس جلوساً ... نحو عثرت الشيء عثراً وعثوراً ، وعبرت النهر عبراً وعبوراً " [٤] وذلك من قول ابن مالك في الألفية :

فَعْلٌ قياس مصدر المعدَّى من ذى ثلاثة ك (رَدَ رداً)

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، (مادة صدر) ج٧ ، ص٩٦ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ، ج١ ، ص١٢ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤ .

(٤) الميداني ، نزهة الطرف في علم الصرف ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، طبعة أولى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص١٧ .

هذه الصيغة القياسية لمصدر الفعل الثلاثي وغيرها من الصيغ من باب (نصر) وباب (ضرب) وذلك فيما إذا وقع مفعولاً مطلقاً مؤكداً لعامله في تراكيب معينة طابعها الإخبار دائماً نحو (نط نططان) ، وكذلك صيغة فَعل (يَفْعلُ) نحو (خنق خنقاً) (وفسخ فسخاً) وغيرها من صيغ الثلاثي نجد أن عامية دارفور قد استعاضت بدلاً عنها صيغة : (فَعلان) بفتح الفاء وكسر عين الفعل نحو (ربط ربطان) و(كسر كسران) (مَسكَ مسِكان) وهكذا . وربما استخدموا الصيغة القياسية ولكن بإضافة لفظ (جِنِس) أو بإضافة كلمة (واحد)[١] أو غيرها من الألفاظ التي يرمون في استخدامها إلى تأكيد الحدث مع كسر عين الفعل نحو : (ضربوه جِنِس ضَرِب) و(العيال حرقوا البيت شناة حَرِق) ، وكتلوه شناة كتِل ، وعزوه سماحة عِز واحد وهكذا .

ب/ مصدر الثلاثي المضعّف (فَعّل تِفعِّل) :

العامية المتكلمة في دارفور استعاضت بدلاً عن (تَفَعُّل) مصدر (تَفَعّل) (تِفعِّل) فالقياس من قول ابن مالك :

وغير ذي ثلاثةٍ مقيسُ مصدره كقدِّس التقديس

وزكه تزكيةً وأجْملا إجمال من تجمُّلا تجمّلا[٢]

وإن كان من أوزان هذا المصدر (تفعّل) (تفْعال) ، لكنهم آثروا (التَفَعُّل) لخفته ، تلك التي استثقلتها عامية دارفور فاستخدمت بدلاً عنها (تفعَّل) ، قال الميداني : " ومصدر تفعل يجيء على (تَفَعُّل) وعلى (تِفْعَال) نحو تملّق (تِملاقاً وتَملُّقاً) قال الشاعر :

ثلاثة أحباب فحبُ علاقةٍ وحبُ تملاق وحبٌ هو القتل[٣]

---

(١) يقول د . إبراهيم آدم إسحق : " وكلمة (واحد)هنا ليست بمعنى العدد ، وإنما جيئ بها لدلالة على فردية الحدث أو لا نظير له ، ومثل ذلك كلمة (جنس) انظر الأصول العربية للهجة دارفور العامية " ص١٢٢.

(٢) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الميداني ، نزهة الطرف في علم الصرف ، ص٢٢ .

فمن أمثلة هذه الصيغة (تِفعِّل) عند العامة قولهم : (كسّره تكسِّر) و(وكَّدَ جنس توكِّد واحد) ، (وونطعينو جنس تنطّط) ، أي أجحظ عينيه إجحاظاً شديداً ، وهكذا ، وسبب ذلك كما يرى الدكتور إبراهيم أنهم استثقلوا الضمة في الفعل فمالوا بها إلى الكسرة .

يقول : " وسبب ذلك فيما يبدو أنهم استثقلوا ضمة العين (تَفَعَّل) فقلبوها إلى كسرة، ومن ثم كسروا تاء (تَفَعَّل) ليتم الانسجام بين الحركتين فصارت (تِفِعَّل) ، ثم طردوا القياس على كل مصدر صيغ من (فعّل) " (١).

وقد يأتي مصدر الثلاثي المضعَّف أعلاه كذلك على (فعيلْ) بكسر الفاء وإمالة العين المشددة نحو : كسّر تكسر وكسِّير (وَجبّدتَجبِّد أو جبِيَّد) ، (ودفّن تِدفِّن ودفيِّن) ، (ودرفستِدرِفسْ أو دِرفَيس) إذا طمس الأثر برجله ، و(ودَرْفس) إنما هو من (دفس) يقول عون الشريف قاسم : " دفس : دهس وصرع ، والمدُافسا العراك والصدام والتزاحم " (٢)، لكن العامة زادت في بنائها الراء كما فعلت ذلك في كثير من نظائرها نحو (هردم من هدم) وطربق من طبّق (وأرتش) من عطس وغير هذا كثير . حدث فيها قلب وإعلال فأبدلت العين همزة في أول الكلمة ، ثم زادوا في بنائها (الراء) وأبدلوا الطاء كذلك بنظيرتها الخفيفة (التاء) .

ج/ المصادر التي تأتي على (فُعُولّية) :

هذه من المصادر التي صاغتها العامية المتكلمة في دارفور للدلالة على المبالغة في الوصف ، خاصة في وصفهم للألوان مثلاً : (أخضر خضورية)، و(أزرق زروقية) ، و(أحمر حمورية) بدلاً عن الصيغة القياسية (فُعْلَه) ، من قول ابن عقيل : " فإن دَلْ على لون فهو على وزن (فُعْله) مثل : خُضره وسُمْره ، أو ما أشد حُمْرْته "(٣)وربما استخدموا مع (فُعُوليه) كلمتى (واحد ، جنس) للدلالة على انفراد الموصوف بهذه الصفة ، فقالوا (بطيخاى أحمر حمورية) ، أو (بنية أملس ملوسية) ، إذا كانت جميلة ، و(أزرق زروقية) واحد إذا كانت متفردة في شدة

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٢٢ .

(٢) عون شريف قاسم ، قاموس اللهجة العربية في السودان ، مادة (دفس) ، ص ٣٨٦ .

(٢) انظر : عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص١٥٥ .

سوادها لأنهم يستخدمون (أزرق) ويريدون اللون الأسود . وقالوا : فلان راجل رجولية أو رجالة قاسي وصيغة (فعالة) تحل أحياناً محل فعولية هذه الصيغة القديمة ، وهذا الاستعمال (فعولية) لهذا الضرب من المصادر عربي جيد ، فقد نقل السيوطي في المزهر عن ابن فارس قوله : " المروءة مهموزة : (كمال الرجولية) ، ولا فعل له ... ورجل حُر بيِّن الحرورية ... وهو عربى بيِّن العروبية " [١] ومن الأمثال القديمة عند العامة في دارفور (سُكات : يا بلومية ، يا شناة نية) [٢] .

د/ المصادر التي تأتي على (فعولين أو فعلين) :

تستخدم العامية المتكلمة صيغة (فُعولين) و(فعْيلين) وهما صيغتان لا وجود لهما في العربية الفصحى ، فالمصادر التي جاءت أفعالها من باب (نصر) وباب (ضرب) وكانت جوفاء من مثل (قام ونام) ، وشاف وسأل وجاب التي بمعنى جاء به ونحوهما من أفعال هذا الباب ، إذ يقال فيها : قام قومين ، ونام نومين ، وشاف شوفين ، وسال سيلين ، وجاب جيبين ــ وهذا لعله من بقية التنوين شاف ــ شوفن شوفاً ــ والوجه أن يقال في نام نوماً وشاف شوفاً ، أي (فَعْلٌ) من قول ابن عقيل : " فإن كان معتل العين فالغالب في مصدره أن يكون على وزن (فَعْل) مثل نام نوماً .. وإن دل على حركة واضطراب فمصدره على وزن (فَعَلان) مثل : طاف طوفان ، وإن دلَّ على مرض فهو على وزن (فُعال) مثل : سعل سُعال وزُكم زُكاماً " [٣].

لكن العامة ، بالرغم من معرفتهم لهذه الصيغة القياسية ، تجدهم يستخدمون هذه الصيغة (فعولين) نحو : شافو شوفين عجيب إذا نظر إليه بازدراء ، و(الوليد ساق البهايم سوقين شديد) إذا أسرع بها في المشي ، وربما استخدموا (فعيلين)

---

(١) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج٢ ، ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) سُكات يعني الصمت ، وهو من سكت إذا صمت ، والعامة تستخدم اسكت بدلاً من اصمت . وبلومية كذلك بمعنى الصمت أو البكم لذلك المثل يعني عندهم إذا وجدت جماعة يتسامرون فإن الذي يطيل الصمت لا بد أن يكون فيه إحدى خصلتين : إما سيئ النية يضمر شراً ، وإما أنه لا يعرف شيئاً . بلم النور : كلمة تبلمت المرأة إذا غطت وجهها ما خلا العينيين ، وهو ضرب من الحجاب يصعب عليها الكلام (عون شريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية ، مادة (بلم) ، ص : ١٢٧ .

(٣) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص١٢٥ .

نحو سار سيرين وطار طيرين ومال ميلين ، ولكنها لم تكن شائعة في الاستخدام مثل صيغة (فُعُولين) ، فالغالب أن تستخدم محلها الصيغة القياسية مع إمالة الفاء في (فَعْل) يقولون : " طار طير، وجابوا جيب ، وشالو شيل ، أي حملوه " ومن الأحاجي القديمة للصغار : " كان طارت طير وكان نزلت صندوق الحجير " يريدون منهم معرفة هذا الشيء العجيب الذي إن طار أشبه الطيور في كل شيء ، وإن نزل إلى الأرض له منظر جميل مثل الأحجار الكريمة لذلك قالوا (حجير تصغير حجر) للدلالة على جمال هذه الفصيلة من الطيور . وهكذا فالعامية في دارفور تستخدم هاتين الصيغتين بجانب الصيغة القياسية التي تستخدم في العامية السودانية للمصدر عندما يراد به الوصف الدال على الحركة يصاغ على (فَعْلان) كقولهم : (مال ميلان ، وشافوا شوفان وطار طيران) ونحوهما تماماً كما تفعل العربية الفصحى في مصادرها الدالة على الحركة والاضطراب كالطيران والجولان ، وقد أشار إلى ذلك ابن مالك بقوله :

وفَعَل اللازم مثل قعدا له فُعُولٌ باطِّراد كَغدَا

ما لم يكن مستوجباً فعالاً أو فَعْلان فادر أو فعالا

قال الشارح : " والذي استحق أن يكون مصدره على فعلان هو كل فعل دل على تقلب نحو : طاف طوفان وجال جولان ونزا نزوان " [1].

هـ/ المصادر التي تأتي على زِنة (مِفَاعَلَة) :

هناك ضرب من مصادر الثلاثي المزيد فيه يأتي عند قرويي دارفور على زنة (مِفَاعَلَة) بكسر الميم ، وذلك فيما إذا كان الفعل منه على (فاعل) من نحو : مباصرة [2] ومدافرة ، ومسارقة أي تسرق السمع والنظر خلسة ونحوها ، وهذا المصدر (مِفَاعَلَة) عربي جيد ، سوى أنهم أبدلوا فيه ضمة الميم كسرة .

وذلك من قول ابن مالك :

لفاعَلَ : الفعَالُ والمُفَاعَلَة وغير ما مرّ السماع عَادلَه

---

(١) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) المباصرة من التبصر ومعالجة الأمور برؤية ، والمثل السوداني : البصارة غلبت الشطارة أي استخدام الحكمة في معالجة الأمور أفضل من استخدام الذكاء والدهاء .

قال شارحه : " لكل فعل على وزن فاعل ، فمصدره الفعـــال والمُفاعلـــة نحـــو : ضارب ضراباً ومُضاربة ، وقاتل قتالاً ومقاتلة ، وخاصم خصاماً ومخاصمة "[١].

هذه كذلك من الصيغ القديمة في عامية دارفور التي أحسب أنها قد عـــادت بها إلى الصيغة القياسية أو كادت ، ربما لأنها كانت تنحصر في مناطق قليلة مـــن شمال دارفور عند القرويين . يقولون : مِناداة في مُنـــاداة وقـــد روي عـــنهم د . إبراهيم قولهم ناتقوامناتقا يريدون المناولة ، وقال شارحاً هذه الكلمة : " والقرويون من عامة دارفور لا يكادون يستخدمون للمناولة كلمة أخرى غير المناتقة ، وهـــو كما ترى استعمال عربي فيه شيء من المجاز . قال ابن منظور : " نتقه : نفضـــه ، وزعزعه ، ونتق الغرب من البئر جذبه ... والناتق الفاتق والرافع "[٢] ومعلـــوم أن المناتقة هي المناولة [٣] وقد تعني المجابدة في عامية الســـودان لأن المناولـــة بالحديث قد يمتد إلى المشاجرة وإلى اشتباك بالأيدي ، هذه وغيرهـــا مـــن صـــيغ المصادر التي استخدمتها عامية دارفور ، إما للدلالة على تأكيـــد الوصـــف وإمـــا للتعجب استخدمت بعضها بجانب الصيغة القياسية وجنحت ببعضها أحيانـــاً عـــن القياس العربي الفصيح إما عن طريق الإمالة في بعضها وإما بإحداث تغيير فـــي الحركات من ضم إلى كسر ونحوها ، وفي بعضها الآخر أتت بصيغ جديدة ربمـــا استجابت فيها لعامل البيئة وتداخل اللغات .

---

(٣) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص١٣١ .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نتق) ج١٤ ، ص٣٥ .

(٢) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٣٢ .

المبحث الثاني : الإعلال والإبدال :

الإعلال والإبدال ظاهرتان من ظواهر التبدلات الصوتية في المستوى الصرفي وهذا النوع من التبدلات الصوتية عالجها علماء الصرف العربي ضمن مباحث الصرف ، وذلك لما بينها من شدة الاتصال والالتصاق ، وعلى الرغم من ذلك فالمتتبع لتعليلاتهم يجدها تعليلات صوتية صرفية ، فالدراسة عندهم في هذه الموضوعات لا تكاد تنفصم عن بعضها بعضاً ، وإن كان علماء الصرف قد تنبهوا منذ الوهلة الأولى إلى هذه التغيرات التي تحدث في المسائل الصرفية بسبب تأثير الأصوات بعضها على بعض ، وهي داخلة في البنية اللغوية ، لذلك جاءت الدراسة عندهم في أبواب متفرقة منها : الإعلال والإبدال وأحسب أن سيبويه قد قدم في الجزء الرابع من كتابه دراسة موجزة يظهر من خلالها قدر الارتباط الكائن بينهما في الناحيتين الصوتية والصرفية .

أولاً : الإعلال :

الإعلال لغة : التغيَّر ، مأخوذ من العلة ، لأنها تُغير المعلول عمَّا هو عليه ، وسميت هذه الحروف حروف علة لكثرة تغيُّرها[١] .

وفي اصطلاح الصرفيين : تغيير حروف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه . وحروفه (الألف والواو والياء) ، ولا يكون الأف أصلاً في متمكن ، ولا في فعل ، ولكن عن واو وياء[٢]. فالألف عند ابن الحاجب لا تكون إلا زائدة أو منقلبة ، وهو ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان ، فقد بين أن الإعلال هو التغيرات الصوتية التي تحدث في أصوات الواو والياء دون الألف ، فقال : " موضوع الإعلال كما رأينا هو الحرف اللين (الواو والياء) دون الألف ، ويكون الإعلال في هذين الحرفين بإحدى طرق ثلاث : النقل ، والقلب ، والحذف [٣] .

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج٥ ، ص٤١٨ .

(٢) الاستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج٣ ، ص٦٦ .

(٣) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧ .

١/ **القلب** : هو تغيير حرف العلة بحرف علة آخر مثل (قول وبيع) في (يقول) تنقل الضمة إلى الساكنة الصحيح قبلها وتسكّن الواو ، وأصله (يقْوُل) وفي (يَبْيِع) تنقل الكسرة في الياء إلى الساكن الصحيح قبلها وتسكن الياء[١]

٢/ **الإعلالبالإسكان** : وهو إسكان حرف العلة (الواو والياء) المتحرك بنقل حركته إلى الساكن الصحيح قبله كما في (يقوم ، يصوم) اللذين يصبحان بالإعلال (يَقْوُم ويَصْوُم) ... الخ .

٣/ **الإعلالبالحذف** : وهذا يتمثل في حذف حرف العلة لعلة صرفية صوتية ، وذلك كما في (يوعد ويوصف) ، حيث يصبحان بالإعلال (يعد ، ويصف) ، فالفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة نحو (يعد ويصف ويجب ويثب) الأصل فيه الحذف[٢] .

وإذا كان الإعلال وفقاً لما بينت الدراسة آنفاً يعني (الحذف والقلب والإسكان) ونحوه ، فإن عاميات السودان المتكلمة ، ومنها عامية دارفور – منطقة الدراسة – لم تكن تلتزم بضوابط التصريف في الفصحى ، واختفت منها مظاهر الالتزام بقواعد الإعلال والإبدال معاً ، فهي إذا التزمت القاعدة في بعض جوانبها تنكبت الطريق في جوانب أخرى كثيرة كما فعلت بقواعد الإعراب ، وضبط أواخر الكلمات ، فمعظم هذه العاميات تترك الإعلال فلا تُعلُّ مثلاً الفعل الثلاثي الأجوف في نحو (قم ، وبع وخف ونم) ، وإنما تتركه هكذا على حالته قبل الإعلال ومن ثم تقول فيه (قوم وبيع وخاف ونُوْم) فتجمع فيه بين ساكنين وقد امتنع في الفصيح لقول ابن مالك :

فا أمرٍ أو مضارعٍ من كَوَعدْ احذف ، وفي كعدةٍ ذاك اطّرد [٣] .

فالفعل الماضي : إذا كان معتل الفاء كوعد ، وجب حذف الفاء في الأمر والمضارع والمصدر إذا كان بالتاء ، وذلك نحو عد ، ويعد ، وعدة .

---

(١) انظر : الاستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج٣ ، ص١٠٢.

(٢) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص٥٨٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٨٢ .

وتهرب العاميات كذلك من حذف (المثال) حين تقع بين عـدوتيها : وهمـا فتحة ما قبلها وكسرة ما بعدها في نحو (يَعِد ويلد ويرث ويَفِد) ونحوها ، لكنها تكاد تلتزم اسكان الآخر في المنقوص وفي المقصور تبعاً لهروبها من الإعراب ، وهذه العاميات تخلصت منها منذ وقت مبكر كما أسلفنا .

ثم تراهم يعاملون المنقوص والمقصور معاملـة الفصـحى ،فيقولـون : (يمشي ويجري ويرمي) .. تماماً كما هو الحال في الفصحى إذ الأصل فيهـا قبـل إسكان الآخر (يَمْشِيُ ، ويجريُ ، ويرميُ) بتحريك لامها بالضم ، وفعلـت الأمـر ذاته مع المقصور فقالت : (يوعىَ ، يوَعد ، يوطئ) وإنما هو (يعى يعد يطأ) تماماً كما تفعل الفصحى[1] ففي شافية ابن الحاجب : " ويحذف الواو من نحو يَعِدِ ويَلِـدِ لوقوعها بين ياء وكسرة أصلية وحُمل أخواته نحو : : (تعدُ ونعد وأعدُ) وصـيغة أمره عليه ، ولذلك حملت فتحة (يَسَعُ ويصنعُ) على العروض ... "[2]فالعامة فـي منطقة الدراسة يخالفون القياس فيثبتون حروف (أنيت) بدلاً من حذفها يقولـون : (يوعد ويوصل ويوقف ويوطِّئ) ويقولون : وصِّف لي المكان بدلاً من (صف) فلا يعرفون (يعد ويصل ويسع ويطأ) .

أما فيما يختص بعامية دارفور وبخاصة الجزء الشـمالي منهـا – منطقـة الدراسة فقد أثر فيها الإيقاع الهابط كما يسميه أستاذي الدكتور إبـراهيم أو الميـل إلى الكسرة أو الكسرة المشوبة بالإمالة ، فأثرت في إعلال بعض الكلم فيها بالياء. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الصوت الممال (e) خاصة في تلك الكلمات المنتهيـة بتاء التأنيث من نحو فاطمة وخديجة وسخيلة وحميلة (تصـغير سـخل وحمـل) ونحوها فتراهم يقولون فانى أو فاطمَى ، خديجى ، حميلى ، سخيلى وهكذا .

هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فيما أحسب يرجع سبب ميلها للكسـر والإمالة لميلها إلى إطالة أواخر الكلمات وذلك لحاجتهم إلى التصويت في كلامهـم وهي سمة تنتظم الكثير من العاميات المتكلمة في بوادي السودان عامـة ، وهـذه الإمالة أكثر ما تكون شيوعاً عند أهل البادية ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٥٤ .

(٢) انظر : الاستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج٣ ، ص٨٧.

أنيس في حديثه عن الفتح والإمالة ، وقد نسب الإمالة إلى تلك القبائل التي تغلب عليها روح البداوة فقال : " وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقها ، وأشهرها : تميم وأسد وطيئ وبكر بن وائل وعبدالقيس وتغلَب "[١].

ومن ثم أدت هذه البداوة لأن تميل العامية المتكلمة في دارفور كلمات كثيرة هي في عامية السودان الآخرى غير ممالة فتراهم يقولون : دى في (ذا) و(إنت) في (أنت) بكسر الهمزة وإمالة حركة التاء ، بعد إبدالها كسرة ، كما قالوا (أنِ) أو (أني) بكسر النون من (أنا) ونحوه وقالوا (إمى) يريدون العمة أو العمامة و(بى)[٢] في (به) و(لى) في (له) يقول عابدين : "والإمالة ظاهرة شائعة في لهجات السودان وفي دارفور بخاصة يقولون : تلاتي في ثلاثة ، وفاطمى في فاطمة فيميلون ما قبل الهاء أو تاء التأنيث وبخاصة عند البقارةوالبديرية وبعض الكبابيش في غرب السودان "[٣]، وأعلوا كذلك (توأمان) فقالوا فيه تيمان في التثنية كذلك على هذا النحو من الإيقاع الهابط ، وجمعوا باباً على بيبان وتوباً على تيبان للثوب ، وكوماً على كيمان وروقاً و(الصف) على ريقان [٤] وهكذا .

وقد قسم إبراهيم آدم إسحق الكلم التي تحتمل الإعلال إلى قسمين :

أ/ قسم أعلوه لأسباب صرفية أو لأسباب إيقاعية مقطعية .

ب/ قسم تركوا إعلاله مع ما فيه من الأسباب الموجبة للإعلال .

من أمثلة القسم الأول : حين تضيف العامة في دارفور كلمة (أخ) إلى ضمير المتكلم فإنها تعمد إلى حذف أحد حرفي العلة في مصغرها (أخيو فُعَيلٌ) كما تحدث فيها إبدالاً حتى تصير (أخيى) ومن ثم فإن هذه الكلمة بهذا البناء تحتمل أحد وجهين من قول الدكتور إبراهيم آدم إسحق : " أحدهما : أنها في الأصل

---

(١) أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٦٠ .

(٢) تستخدم (بىَّ) عند بعض قروي شمال دارفور بمعنى (مع) فتقول إحدى الجارات وهي تنادي جارتها في الصباح (فانىَّ بىَّ عيالك أصبحتواكيبين

(٣) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٧٠ .

(٤) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٥٥ ، بتصرف .

تصغير (أخ) أي أنها كانت (أخُيوى) فاستثقلوا اجتماع الواو والياء متجاورتين في بناء واحد ، ففروا إلى التخفيف بحذف الواو ، فصارت أُخىْ + ى " لكنهم أبدلوا ضمة فائها فتحة طلباً للتخفيف فصارت (أخيى) كما نقلوا حركة ضمير المتكلم وهي الكسرة إلى الياء الساكنة قبلها فصارت (أخُيى) لكنهم نقلوا حركة ياء المتكلَّم إلى الياء الساكنة قبلها فصارت (أخُيى) ثم طردوا فيها القياس حين أضافوها إلى الضمائر فقالوا : أخيُو وأخَيَك ، وأخَيْنَا ، وأخَيْهُم وأخَيْتِيوأخَيْتُو وأخَيَتْنَا ونحوها .

وثانيهما أنه ربما لاجتماع الواو والياء في بناءٍ واحد أى (أخوي) كما ينطق بها عامة السودان الأوسط ، أبدلوا واوها ياء جرياً على القاعدة الصرفية المعروفة فصارت (أخُي) ثم أبلوا ضمة الخاء فتحة طلباً للخفة والمجانسة فصارت (أخيي) كما هو شائع في نطقهم اليوم " [١] .

والمثل الدارفوري : (أبوٌ قدح بعرفى محل بعضِّي أخَيُّو) : أي أن تترك الأمور لأصحاب الشأن والاختصاص . وعبارة (أخَيَك مالو تقْتُلي ؟!) .

كذلك مما يلاحظ في العامية المتكلمة أنهم يؤثرون التخفيف فيحركون عين الكلمة في الثلاثي الأجوف بالفتحة بدلاً من إسكانها فقالوا في (صَغِير صَغَير) وقالوا (ضَيَقَ في ضَيِّق) وكلها جرياً وراء التخفيف ، وهذه عرفت في لهجات عربية قديمة يقول في ذلك إبراهيم نجا : " ولكن طيئاً تقلب الكسرة فتحة تمهيداً لقلب الياء ألفاً ، يقولون : بقى ، وهَوى ، ورَضى " [٢] في حين تنقل العامية المتكلمة في شمال دارفور الكسرة إلى فاء الكلمة ، وتميل عينها ، وهذا كثير في كلامهم فيقولون : (بِقى ورِضى وتِلى ونِسى) ، يردون بقىَ ورضىَ وتلى (وتلَى) من التالي وتستخدم عندهم بمعنى بقي أو باق وهكذا .

من ناحية أخرى فقد آثروا الإعلال بالياء على الإعلال بالواو تبعاً لميلهم إلى الإيقاع الهابط ، كما سبق في نحو (توم) في التثنية على تيمان وفي الجمع (تيمانات) ، وحي التيمانات من الأحياء العريقة في (الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة الفاشر) ، وكذلك جمعوا (سوط على سيطان) و(لوح على ليحان) وهكذا .

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٥٦ .

(٢) إبراهيم محمد نجا ، اللهجات العربية ، ط١ ، مكتبة السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص٨٦ .

القسم الثاني : قسم تركوا إعلاله مع ما فيه من موجبات الإعلال :

مما تركت عامة دارفور إعلاله جمع (أفعل) ، الذي مؤنثه فعلاء مما جاء معتل العين من الصفات الدالة على الألوان كأبيض وأسود ، فهم يجمعونها على (بُيُض وسُوُد) بضم فاء الكلمة وعينها معاً ، إبراهيم آدم إسحق : " وذلك فيما يبدو طرداً للقياس على وتيرة واحدة ذلك أن جمع (أفْعَل) الدال على الألوان إنما القياس أن يجمع على (فُعْل) بضم الفاء وإسكان العين نحو أحمر حُمْر أزرق زُرْق إلاّ أبيض فإنهم أعلوه حين جمعوه على (بِيْض) بكسر الياء مع إسكان الياء "(١)، قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(٢)غير أن عامية دارفور المتكلمة ، وكثير من عاميات السودان تحرك عين الكلمة بالضم ، فتراهم يقولون حُمُر وصُفُر وبُيُض وسُوُد والوجه عند ابن يعيش : أن يجمع أبيض على (بيْض) بكسر الباء وإسكان الياء من قول ابن يعيش: " إنَّ بيضاً أصله (فُعْل) لأن (أفْعل) الذي لا يكون نعتاً ، ومؤنثه (فعلاء) يجمع على (فُعْل) كحُمْر وصُفْر وهذا هو القياس في (بيْض) إلا أنهم أبدلوا من الضمة كسرة لتصحّ الياءُ "(٣) .

لكن العامة لا تعرف فيها إلا الضم بُيُض، وصُفُر ، قالوا : (فلان عيونه حُمُر وقراود بُيُض) أي تلال بيضاء ، وقد ينتقلون إلى فتح فاء الكلمة إذا سموا بها يقولون : (بَيُّوض) للبهائم إذا غلب عليها اللون الأبيض ، فهم في ميلهم إلى الضم بالإضافة إلى طردهم للقياس في هذه الألوان على وتيرة واحدة – أحسبهم – راعوا كذلك الجانب الصوتي لتكون أظهر في السمع ، لأنهم يستثقلون السكون في وسط الثلاثي فيؤثرون تحريكه مثلما في(جَبْر– ونَصرْ – وصَبْر) فإنهم يقولون بدلاً عنها : جَبُر ونَصُر وصَبُر ، هرباً منهم من المقطع المزدوج الإغلاق .

كذلك مما تركته العامة دون إعلال بناء (مفعول) نحو (مكيول ومبيوع ومديون) فالعامية المتكلمة لا تعلّها مع وجود سبب الإعلال فيهن ، يقول إبراهيم نجا : " في لغة الحجازيين إعلال عين اسم المفعول من كل فعل ثلاثي معتل العين

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٧٠ .

(٢) سورة فاطر، الآية : (٢٧) .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج١ ، ص٦٧ .

بنقل حركتها إلى ما قبلها وحذف واو مفعول سواء أكانت العين ياءً أو واواً نحو مبيع ومدين ، وهذه لغة أكثر العرب ، وبنو تميم يعلُّون الواوى بحذف إحدى الواوين ولعل ذلك لثقل الواو ، ويصححون الياء لخفتها فيقولون : مبيوع ومديون ومكيول "[١] وهو ما أشار إليه ابن يعيش بقوله : " وقيل في لغة بني تميم : مبيوع وثوب مخيوط ، ومزيوت ، وبلغتهم أنشد العباس بن مرداس :

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيدٌ معيون[٢]

فهذه – أحسبها – من اللهجات التي هاجرت مع أهلها إلى بوادي السودان فالكثير من العاميات المتكلمةلا تستخدم القياس الصحيح في هذه الحالة فيقولون مكيول ومبيوع بدلاً من مكيل ومبيع ، وقالوا : مخووت[٣] لمن لا يحسن التصرف في الأمور ، أو مرووش ، ومهووس[٤] وكله في التصرف الطائش غير السوي . يقول د . إبراهيم : " ومثله في المعنى مرووش حيث إنهم أبدلوا الدال راءً ، وهو كثير في كلامهم ، وكذلك مخووت ، وهو ضرب من المسّ خفيف ، أو لمن كان في خلقه شيء من السفه والطيش [٥] والشاهد فيما سبق أنهم أبقوا على حرف العلة دون إعلال ، وإن كان التصحيح ورد عند العرب أيضاً ، قال ابن يعيش : " ذكرنا أن الضمة على الواو تستثقل ، لا سيما وبعدها واو أخرى ، فلذلك لا يتمون مفعولاً من الواو فلا يقولون : مقوول هذا هو الأشهر ، وحكى سيبويه أنهم يقولون : ثوب مصوون وأنشدوا :

والمسك في عنبره المدووف ...

---

(١) إبراهيم محمد نجا ، اللهجات العربية ، ص٨٦ .

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج١٠ ، ص٧٩ .

(٣) من فات البازى واختات ، انقض على الصيد ، وفات الرجل نقض عهده ونقص ميرته(القاموس المحيط، ط١ ، دار الجيل ، ج١ ، ص١٥٣) .

(٤) هاس الذئب في الغنم بالدوران والتحريك ، والهوس الطوف بالليل والمشي والإفساد والهوس طرف من الجنون ، وهو مهموس كمعظَّم (القاموس المحيط ، مادة هاس ، ج٢ ، ص٢٧٠) .

(٥) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٣٧ .

والأشهر المصون والمدوف ، وأجاز أبو العباس إتمام مفعول من الواو وحكوا : مريض معوود وفرس مقوود ، وقول مقوول[١].

يقول ابن مالك :

ونحو مبيع ومصون ونَدر تصحيح ذى الواو وفي ذى الياء اشتهر

فتقول في مفعول من (باع وقال) : (مبيع ومقول) ، والأصل مبيوع ومقوول، فنقلت حركة العين إلى الساكن قبلها ، فالتقى ساكنان : العين وواو مفعول ، فحذفت واو مفعول فصار مبيع ومقول ، وقالوا : ثوب مصوون ، والقياس مصون ، ولغة تميم تصحح عينه ياء (مبيوع ومخيوط)[٢] ، ولهذا قال المصنف ندر أي يندر تصحيح ذى الواو .

فالعامية المتكلمة أبقت عل الكثير من الكلم في لغتها دون إعلال ، مع توافر أسبابه فيها ، وإن كانت تميل في بعض كلامها إلى الإيقاع الهابط . كما ذكر أستاذي الدكتور إبراهيم ، فإنها في كلا الحالتين تبتغي زيادة المقاطع في الكلمة لتظهر في السمع وتتضح ، وهو ما عاد فأثبته بقوله : " وذلك فيما نرجِّح لأمر صوتي هو : إبقاء المقطع في مثل هذه الكلم طويلاً بدلاً من تقصيره ، حتى تتضح الكلم في نطقها للسامع ، أي أنهم يبقون المقطع (قو) بدلاً من (ق) .. وبيع بدلاً من (بع) ، وسير بدلاً من (سر) ، وهكذا فإن عامية دارفور كغيرها من عاميات السودان لا تلتفت إلى الأسباب الصرفية الموجبة للإعلال في مثل هذا البناء "[٣].

ثانياً : الإبدال :

جاء في اللسان : أبدل الشيء من الشيء ، وبدّله : اتخذه بدلاً ، وأبدلت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمناً ، وتبديل الشيء تغييره ... والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حالته ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر[٤] .

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج١٠ ، ص٨٠ .

(٢) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص٥٧٥ .

(٣) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٧٣ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بدَّل) ج١١ ، ص٤٨ .

وفي الاصطلاح : جعل حرف مكان حرف آخر مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة [١]وعند ابن فارس : إبدال الحروف إقامة بعضها مقام بعض[٢] غير أن العلماء يشترطون لصحة الإبدال أن تكون هناك علاقة صوتية بين الحرفين ، كقرب المخرج أو الاشتراك في الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة ، وكذلك عدم تساوي اللفظين في التصرف ، فإذا تساويا فليس أحدهما بدلاً عن الآخر بل كل منهما أصل قائم برأسه[٣] وقد أورد ابن جني في الخصائص : " هتلت السماء وهتنت هما أصلان ، ألا تراهما متساويين في التصرُّف ، يقولون هتنت السماء تهتن تهتاناًوهتلت تهتل تهتالاً ، وهي سحائب هتنٌ وهتلٌ " [٤] ويفهم من كلام ابن جني السابق وجهة نظره فيما إذا تساوت الكلمتان في التصريف والاستعمال ، فكل منهما (لهجة) وليس هذا من الإبدال ، ومن هذا الباب أيضاً ما روى لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سواداً من ماذا ؟ قالت : من حلك[٥] الغراب ، فقيل : أفتقولينها من حنك الغراب ؟ فقالت لا أقولها أبداً " [٦] ومن العلماء من هو على غير ذلك ، ويرى أن الإبدال يمكن وقوعه في البيئة الواحدة ، وعند القبيلة الواحدة ، غير أن أكثرهم يعد بعض هذه الكلمات من الإبدال وبعضها الآخر من اللهجات فقد تّضطر الظروف اللغوية جماعة لغوية ما أحياناً إلى اللجوء إلى الإبدال كما سبق في ظاهرتي المماثلة والمخالفة الصوتيين وغير هذه الظروف فيما أشارت إليها الدراسات اللغوية الحديثة . يقول عون الشريف قاسم : " فإن كثيراً من أوجه إبدال الحروف وإعلالها كامنٌ في طبيعة اللغة ذاتها التي تمتاز بالمرونة والتيسير ، في موضوع تتابع الحروف وتبادلها ، والميل في ذلك إلى توخى سهولة النطق ، مما جعل كثيراً من الحروف المتقاربة

---

(١) أبو الطيب عبدالواحد اللغوي ، كتاب الإبدال ، تحقيق عزالدين التنوخي ، ط١ ، دمشق ، ١٩٦٠م ، ج١ ، ص٩ .

(٢) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص٢٦٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨٢ .

(٥) الحلكة : شدة السواد .

(٦) ابن فارس ، من أسرار اللغة ، ص٢٧ .

في المخارج تتبادل في واقع الممارسة ففي كلمات من نحو : أربون وعربون ، مكة وبكة ، هرش وحرش بجباج وفجاج[١]عنوان وعلوان ، مكان ، بكان..." [٢] لكن إبراهيم أنيس يرى أنه لا يعدو أن يكون أثراً من آثار التطور الصوتي ، فيقول : " حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً أو من تباين اللهجات حيناً آخر ؛ لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي ، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يتجاوز حرفاً من حروفها نستطيع أن نفسرها بأن إحدى الصورتين هي الأصل ، والأخرى فرع لها أو تطور عنها ، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه " [٣]وهو ما صرَّح به الدكتور شاهينبقوله : "لا يكون الإبدال إبدالاً حقاً إلاَّ إذا كان بين المبدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية ، كالجهر والهمس والشدة والرخاوة"[٤] وهذا ما نجده في كثير من الكلمات المبدلة مثل (جبريل وجبرين) (ذبح وضبح) ، (ازرائيلوازرئين) ، و(مسيد ومسجد) و(شجر وشدر) وهكذا .

والإبدال نوعان : مطرد عند العرب جميعاً ، وهذا إذا استوفى شرطه وجب تنفيذه ، وهو الخاص بحروف (هدأت موطيا) وقد نص عليه ابن مالك في الألفية بقوله :

أحرف الإبدال (هدأت موطيا) فإبدال الهمزة من واو ويا[٥]

---

(١) قال الزمخشري في أساس البلاغة : " فلان فجفاج بجباج أي : نفَّاح هو الذي يقول ما لا يفعل ويفتخر بما ليس فيه ، مهذار ، وعند العامة في دارفور يوصف بها الشخص غير المتزن في تصرفاته ، الذي يخبط خبط عشواء ، وكذلك الذي يبدد ويبذر المال ، فالفجفاج والبجباج هذا لا يستقر المال في يده " .

(٢) عون الشريف قاسم ، اللغة العربية بين الفصيحة والعامية ، ص٢٧ .

(٣) إبراهيم أنيس ، اللهجات العربية ، ص٥٩ .

(٤) عبدالصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،دار العلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ص٧٣ .

(٥) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص٦٠٨ .

وهذا الإبدال المطرّد قد تكفل علم الصرف بدراسته ، حيث يشترط في صوغه الالتزام بأحكامه الضابطة ؛ وضرورة مراعاة التجانس في العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه ، وقد أشار إلى هذه العلاقات الصوتية جورج فندريس واضعاً في الاعتبار طبيعة المتكلمين بهذه اللغة واختلاف طبائعهم وبيئاتهم يقول : " في لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، فهي تكون نظاماً متجانساً مغلقاً تنسجم أجزاؤه كلها فيما بينها ، هذه أول قاعدة من قواعد الصوتيات وهي ذات أهمية قصوى ؛ لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة ، بل من نظام من الأصوات ... والانسجام والتآلف يقتضيان بعض التبدلات الصوتية ويختلف باختلاف الناطقين وبيئاتهم ، وطبعاً لنواح طبيعة وفسيولوجية ونفسية معاً "(١).

أما الإبدال غير المطرد ، وهو الذي لا يخضع لشرائط خاصة ، بحيث إذا لم ينفذَ عدّ مخالفه مرتكباً سبيل الشذوذ ، وهذا لا يكون عند العرب جميعاً ، ولكن بتنوع القبائل ، فقبيلة تقول (أن) وأخرى (عن) وهذا هو الذي تتنوع عن طريقة اللهجات العربية(٢) وهو تمام رأي ابن عقيل حين قال : " وأما غير هذه الحروف فإبدالها من غيرها شاذ ، أو قليل ، فلم يتعرض المصنف له ، وذلك كقولهم في (اضطجع) (الطجع) وفي أصيلان : (أصيلال) "(٣).

والإبدال اللغوي أو غير المطّرد أوسع من الإبدال الصرفي ؛ إذ يشمل حروفاً لا يشملها الصرفي ، ويكون من لفظتين متناسبتين في المعنى مختلفتين في حرف واحد من حروفها ، بشرط أن يكون الحرفان المختلفان متناسبين في المخرج نحو (نحق ونهق) ، ويقتصر هذا الإبدال على النقل أو السماع دون أن يكون قياساً يسمح للناطق بصوغ أمثلة جديدة في اللغة ، وحروفها اثنا عشر حرفاً يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته)(٤)أي بزيادة (ج ، ل ، ن) .

---

(١) انظر : جورج فندريس ، اللغة ، ص٧٧ – ٧٩ .

(٢) عبدالغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، ص٨٧ .

(٣) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٢ ، ص٦٠٨.

(٤) عبدالصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص٧٣ .

وإذا كانت العربية الفصحى قد طردت الإبدال في حروف بعينها كما سبق فإن العاميات قد توسعت في الإبدال فطردتها على الأحرف التي أبعدتها من أنظمتها الصوتية لصعوبة النطق بها . يقول د . إبراهيم آدم إسحق : " ولهذا فإن الثاء مثلاً في كل عاميات السودان ومن بينها عامية دارفور – صارت تنطق (تاءً) فتراهم يقولون تور في (ثور) وتوب في (ثوب) ، وتوم في (ثوم) ... ونحوها "(١).

وهذا ما قد سبق في الدراسة تحت عنوان (الأصوات المعدولة عن مستواها الصوابي في الفصحى) ، هذه من طرائق الإبدال التي تسلكها العاميات ، تبتغى من ورائها السهولة والتخفيف في أصوات الكلمة ، وإذا كان ابن جني قد ذكر شروطاً يراها مسوغة للتبادل بين الحروف ؛ فإنه في مواضع أخرى لا يرى لاطراد الحروف ضرورة حين يقول : " والقلب (٢)في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك : الدال ، والطاء ، والتاء ، والذال والثاء والهاء والهمزة والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه " (٣).

والعاميات في السودان تذهب في الإبدال أبعد من هذا ، فتبادل بين الواو والهمزة والميم والهمزة وقد أشار إلى ذلك عبد المجيد عابدين من قوله : غير أن هناك ظاهرة من هذا القبيل تشيع في لهجات السودان ، نرجح أن لها مصدراً معيناً من لهجة قديمة ، وإن كان من الصعب تحديده ، وهو إبدال الواو ميماً في ألفاظٍ معينة مثل : ماخذ من (آخذ) وماب من (آب) اسم فاعل من أبى أي رفض وماكل من (آكل) ففي الخطوة الأولى من الإبدال – فيما نظن – أبدلت الهمزة واواً ، وهو حرف من حروف الشفة ثم تحولت الواو إلى حرف آخر من جنسه (شفوى) وهو

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٧٦ .

(٢) في كتب التصريف تفريق بين الإبدال والتعويض والقلب ، فالإبدال جعل حرف مكان حرف آخر مطلقاً، ... فكل إبدال تعويض ولا عكس ، والقلب هو : جعل حرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منه مثل : قام وقائم ، فكل قلب إبدال ولا عكس ...) انظر : أبو الطيب اللغوي ، مقدمة الإبدال ج١ ، ص٩ .

(٣) ابن جني ، سر صناعة الأعراب ، ج١ ، ص١٩٧ .

الميم ، ولها أمثلة كثيرة منها (وين) من أين . وفي معظم لهجات مصر تبدل فاء (فين) والواو والفاء كلاهما كالميم من حروف الشفة [١].

وفي منطقة الدراسة حروف الشفة هذه تتبادل المواقع في الكلمات التي ذكرت وفي غيرها ، يقولون لمن يكثر من الشكوى مثلاً : " مالك ؟ ماكل وشارب ! " وفي آخذ : (واخِذ) بدلاً من (ماخذ) وفي غير هذا يكثر التبادل بين حروف الشفة ، ففي مكان : بكان و(بندوره) (ومندوره) للطماطم ، و(بنبر) في (منبر) للمقعد الخشبي المعروف (وقهوة البنابر) مشهورة في سوق الفاشر الكبير، حيث يستخدم فيها البنبر بدلاً عن الكرسي . فالعامة في منطقة الدراسة توسعوا في طرائق الإبدال مستفيدين في ذلك من احتكاكهم الواسع باللغات المحلية ، ومن طبيعة اللغة ذاتها التي تمتاز بالمرونة والتيسير فمن طرائق الإبدال عندهم : أن يتم فك التضعيف وإبدال أحد الحرفين المضعَّفين بحرف من حروف الذلاقة ، أو ما في وصفه من الحروف السهلة في النطق منها مثلاً كلمة (شنكل) ، و(حندب) و(صنقر) ، أي شكّل إذا خالف بين رجليه فرماه و(حندب) : حدّب إذا أحنى ظهره ، ويقال عند العامة في دارفور لمن تماسك في مواجهة الصعاب .

أما (صنقر) : أي اعتمد على أصابع رجليه في الجلوس ، وتدل غالباً – فيما أحسب – على عدم الاطمئنان والاستعداد لمواصلة السير ، وفي شمالي مدينة الفاشر قرية صغيرة اسمها (صنقر فوت) في مكان قاس يعمها الجدب وقسوة الطبيعة يصعب المكث فيها فترة طويلة .

ومن الكلمات كذلك (واحد تك) بمعنى (قط) أي حسب ، وكثيراً ما تأتي كلمة (تك) مقرونةٌ عندهم بالعدد واحد ، فتراهم يقولون (واحد تك) يريدون واحد قط أي حسب لأن من معاني (قط) في فصيح العربية (حَسبَ) يقال : (ما عندك إلا هذا قط .. وماله إلا عشرة قط يا فتى)[٢].

يقول د. إبراهيم آدم إسحق : " وعامة دارفور كما ترى أبدلت من القاف في قط كافاً ، فصارت (كط) ، وهذا الإبدال كثيرٌ في كلامهم نحو (كتال) من قتال

---

(١) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٣٤ .

(٢) الفيروز ابادى ، القاموس المحيط ، طبعة الرسالة ، ص٨٨٢ .

وكتار في (قتار) وهو رائحة الشواء ، ثم أبدلوا من الطاء في (قط) تـــاءً ، وهـــو كثيرٌ في كلامهم أيضاً ، فصارت (كت) ثم عكسوا فجعلوا التاء موضـــع الكـــاف والكاف موضع التاء ، فقالوا : " واحد تك في (كت) أي قط كما بيَنا آنفاً " [١].

تقول عامية دارفور (كندس) لمن يغلبه النعاس في جلوسه ، فيميل رأســـه يمنة ويسرة ، كأنما يسقط من كتفيه (فلان كندس أو بكندس) . والوجه أن يقال في فصيح العربية كدّس يكدّس : غلبه النعاس يقول عون الشريف قاسم : وفي عامية دارفور : غلبه النعاس وهو جالس فيتمايل رأسه وهي من كدس الفصيحة[٢] ومثلها كذلك (حندك) في (حدّق) إذا أمعن النظر في الشيء ، و(جندل) في جدّل ، وجدّله صرعه أي قتله فأحكم قتله) وعند الصبية في دارفور الجندلة أن توضع دمية فـــي مكان مرتفع ثم يتسابقون في الرمي أيهم أكثر مهارة ، فتسمى عندهم (الجندلـــة) ، وغالباً ما تكون الآلة المستخدمة في الرمي (السفروك) ، وهو نوع مـــن العصـــى المحدبة التي تنشر بطريقة معينة تزيد من سرعتها ودقتها في التصويب والرمي ، وقد تلجأ العامة مع الإبدال إلى الزيادة والحذف تبتغي من ورائها التخفيف في نطق الحروف يقول عون الشريف قاسم : " وقد يضطرنا دافع التخفيف أن نغيّـــر مـــن وضع الحروف عن طريق القلب فيسهل نطق الكلمة ، ... وقد نلجأ أحيانـــاً إلـــى الحذف نصف (نص) بنت (بت) وذلك امعاناً منهم فـــي الـــتخلص مـــن المقطـــع المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) أو إبدال وإدغام قت في قلت ، و(قنّا) فـــي قلنا ، وقد تستدعى ضرورة التخفيف زيادة حرف أو أكثر فتقول (طـــوطح) بـــدل طوّح ، ولولح بدل (لّوح) مثلاً ... وقد نذهب أبعد من ذلك في ســـبيل الســـيرورة ورفع الحرج عن اللسان ، فنمزج الكلمات العديدة في كلمة واحدة بعـــد أن نزيـــل بعض حروفها ، مما يسميه العرب بالنحت فتقول مثلاً (معليش) في ما عليك شيء و(بلاش) في (بلا شيء) ... " وهذه تعتبر من صـــور اللهجـــة المصـــرية التـــي استوعبتها اللهجة المتكلمة في دارفور من وقت مبكر خلال العلاقـــات التجاريـــة قديماً عبر درب الأربعين .

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص١٧٩ .

(٢) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٨٦٢ .

وشواهد الإبدال هذه التي أشار إليها د. عون الشريف قاسم ماثلة في عامية شمال دارفور المتكلمة ، حيث الحذف والزيادة بغرض التخفيف ، وقد يقع العكس إذا قصدوا توكيد الفعل ، فالفعلان(يصف ويقف) تحذف فيهما فاء المثال من (يوصف ويوقف) خوفاً من الاستثقال تحذف فاء الكلمة ، ولكن العامة في منطقة الدراسة تعيد الحروف المحذوفة ، يقولون(يوطِّى) الأرض برجله بدلاً من يطأ ، وهذا الاستخدام لا يقتصر عليه العامة في دارفور بل ينتشر في مواضع أخرى في العامية المتكلمة في السودان . والزيادة عندهم كذلك في الكلمات التي تدل على الحركة وتكرار الفعل ، من تلك الكلمات كلمة (أرتش) بمعنى عطس فتراهم يقولون : (فلان أرتش جنس أرتيشه !) أي عطس عطساً شديداً يقول د. إبراهيم: " وكلمة أرتش : إنما هو عطس أحدثوا فيها إبدالين أحدهما : أنهم أبدلوا من العين همزة ، وهو كثير في كلامهم . وثانيهما : أنهم أبدلوا من الطاء تاءً ، وهذا كثير في كلامهم أيضاً ثم إنهم زادوا في بناء (عطس) راءً كما زادوها في كلمات أخرى مثل برقع أي بقع[١]وفرتق[٢]أي فتق وخربش[٣] في خمش[٤].

والإبدال يتعدى أحياناً الحروف إلى الحركات ففي (خِفت) : خُفتَ فالعامة في (خِفتُ) يقولون : (خُفتَ) : بفتح تاء المتكلم بدلاً عن ضمها ، فيستثقلون الكسر ويضمون الحرف الأول أقرب عندهم من الكسر ، وقد يعكسون فيرجعون في كلمات أخرى إلى القاعدة في (بِعتُ) من باع ، و(سرت) من سار وهكذا .

فهذه بعضٌ من أنواع الإبدال تشترك العامية المتكلمة في منطقة الدراسة فيها مع العامية المتكلمة في مناطق السودان المختلفة في بعضها وتسلك في بعضها الآخر مسلكاً مغايراً متأثرة في ذلك بما يحيط بها من ظروف خاصة من

---

(١) يقال بقع السقى : انتضح الماء على بدنه ، فابتلت مواضع فيه ، القاموس المحيط ، ج١١ ، ص٨٢ .

(٢) فرتق : انفتق الغيم عن القوم : انجلى عنهم (القاموس ، ج١١ ، ص٨٢) و(فرتق) في عامية دارفور وفي مناطق أخرى من السودان تفرق وتناثر ، ويقال للشجاع المغوار فرتاق للصفوف أي مفرق لجمع الأعداء .

(٣) خربش في خمش : يقال خمش وجهه : خدشه ولطمه ، وقطع عضواً منه (القاموس المحيط ، ص٧٦٥) ، وخربشنى القط : جرحني بأظافره ، وفي العامية السودانية (البلعب مع الجريواتبخربشنو) .

(٤) عون الشريف قاسم ، قاموس العامية ، ص٢٨٩ .

اختلاف البيئات وتداخل القبائل ، يقول عون الشريف قاسم في ذلك : " إذ إن اللغات كالآدميين تتأثر بعوامل البيئة والمناخ الاجتماعي الذي تنتقل إليه ، وقد اختلف تأثر اللغة العربية في السودان باختلاف المناطق والقبائل " (١).

(١) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٢٧ .

المبحث الثالث : صيغ التصغير والنسب في عامية شمال دارفور

أولاً : التصغير :

التصغير هو تحويل الاسم المعرب إلى صيغة (فُعَيْــل أو فُعَيْعِلأوفُعَيْعِــل) للدلالة على صغر حجمه ، أو حقارة شأنه أو قلته ، أو قرب زمانه أو مكانه ، أو تدليله أو تهويله[١]وجاء تفصيله في قول ابن جني : " اعلم أن التصغير هو تقليــل كثير وتحقير عظيم ، وتقريب شيء من شيء ، فأما تقليل الكثير فقولك في تصغير (دراهم دريهمات) وأما تحقير التعظيم فقولك في سبع سُبيع ، وفي رجل رُجيــل ، وأما تقريب الشيء من الشيء فقولك هو دوين السقف وفويق الأرض وبعيد الظهر وقبيل الغروب " [٢].

أما صيغ التصغير القياسية فقال عنها صاحب الكتاب : " الاسم المتمكن إذا صُغر ضُم صدره وفتح ثانيه ، وأُلحق ياء ساكنة ثالثة ، ولم يتجاوز ثلاثة أمثلــة : (فُعيل وفُعيعيل) ك (فُلَيْس ودُرَيْهم ودُنَيْنير)[٣].

وقد وردت هذه الصيغ في بيتي ابن مالك من قوله :

فُعيلاً اجعل الثلاثى إذا صغرته نحو (قُذَيٌّ) في قذى

فُعَيْل مع فُعيعيــل لما فاق كجعل درهم دريهماً[٤]

أما فوائد التصغير فخمس هي :

الأولى : تصغير ما يتوهم كبره نحو جبيل تصغير جبل .

الثانية : تصغير ما يتوهم عظمه نحو سُبيع تصغير سبع .

الثالثة : تقليل ما يتوهم كثرته نحو دريهمات تصغير جمع درهم .

الرابعة : تقريب ما يتوهم بعده ؛ إما في الزمن نحو قبيل العصر ، وإما في المكان نحو : فويق الدار .

---

(١) السيوطي ، همع الهوامع ، ج٢ ، ص١٨٥ .

(٢) ابن جني ، اللُّمَع في العربية ، ص٢٧٥ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج١ ، ص٢٠٠ .

(٤) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٤ ، طبعة١٤ ، ص٤٧٧ .

وإما في الرتبة نحو : أُصيغر منك[١]

والخامسة : التعظيم كما ورد في قول لبيد بن ربيعة :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دُوَيْهيةٌ تصفرُّ منها الأنامل[٢]

وأنكر هذه الفائدة البصريون ، وزعموا أن التصغير لا يكون للتعظيم لأنهما متنافيان ، وإن كان السياق في عجز البيت يشير إلى التعظيم ، فإن ابن يعيش يرى أنها للتحقير من قوله : " وإن المراد : أصغر الأشياء قد يفسد الأصول العظام "[٣]

وللهجات السودان ولعٌ خاص بصيغ التصغير ، وهي كثيرة ومتنوعة عندهم منها ما هو مألوف في سائر اللهجات العربية الحديثة كقولهم : "وليد وبِنية ، وشُوَيّة وجِرِيْو) تصغير (ولد ، وبنت ، وشيءُ ، وجرو) ومنها ما يضمون أوله ويشددون فيه الحرف الثاني مثل (حميّد) تصغير (حمد أو حامد)[٤].

ومنها ما يرد في السودان على وزن (فعول وفعوله) ، ويختص غالباً بأسماء الأعلام ، ويقصد به التمليح مثل : حسّون وحسّونة وعلّوب وعلّوبة وفطومة وعشوشة تصغير حسن وعلى وفاطمة وعائشة أو عاشة ، وهي صيغة معروفة في لهجات مصر والمغرب وبلاد الشام [٥]، ويبدو أنها جاءت إلى السودان من بلاد المغرب والأندلس فمن أسماء الأعلام عندهم : زيدون وعبدون وحسون وحمدونه وغيرها .

والعامية المتكلمة في دارفور وإن التزمت قواعد التصغير وأحكامه ؛ فإنها خالفت بكسرها للحرف الأول عند التصغير بدلاً عن ضمه ، ويشاركهم في ذلك مناطق أخرى في كردفان لعامل الجوار ، فصيغ التصغير عندهم (فِعيل وفِعيعلوفعيعيل) بكسر الحرف الأول وإمالة العين . يقولون ولِيد وجِميل سِخيل عِجيّل وجِليد في (وَلَد وجَمَل وسَخَل وعَجِل وَجلْد) .

---

(١) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج٤ ، طبعة١٤ ، ص٤٧٨ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت ، د. ط ، ١٩٩٦م ، ص١٣٢ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، تحقيق أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ، ٢٠٠١م ، ج٣ ، ص٣٩٥ .

(٤) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص١٠٧ .

(٥) المصدر السابق والصفحة .

ومنها هذه الأغنية لإحدى بنات الكبابيش في منطقة أم بادر بشمال كردفان :

يا طبيــق الريحة

الريدة ليك صحيحة

إنتِ كان جافيــتىْ

كلِّمنى بالنصيحــة

الشاهد في (طبيق) تصغير طبق[١] بكسر وإمالة وفي بادية شمال دارفور يغني أحد شبان البادية مخاطباً راحلته قائلاً :

كربد يا الجِمُيل لا ترمى لى مستورة

مرة تابعة الدريب ومرة داقش البورة

الشاهد في الجميل تصغير (جمل) ، وفي السطر الثاني (الدِريب) تصــغير (درب) والكربده أو الكربته : صوت وقع أقدام الجمل في الجري الخفيف[٢] وكلمة داقش فيها إبدال ؛ إذ الأصل داغش : زاحم وتداغش القوم اختلطوا[٣] وأحسبه هنــا قصد بالمداغشة مزاحمة الحشائش في الأراضي البور ، بدليل اســتخدامه عبــارة (تابعة الدريب) للطريق الممُّهد .

والعامة في دارفور أبدلت الضمة في (فُعيل) كسرة (فعيل) لميلهم فيما يبدو إلى التخفيف ، حولت الضمة إلى كسرة لتجانس الكسرة الممالة /o:/ التــي هــي حصيلة تحول الحركة المزدوج /ay/ إلى /jibe:u/e:/ – ubayl والكسرة أخــف عندهم من الضمة ، فخالفوا بذلك ما ذهب إليه ابن يعيش من قوله : " فإذا قيــل : ولم كان إذا صُغِّر الاسم يضم أوله ؟ قيل لأنا إذا صغرنا الاسم فلا بد من تغييــره بعلامة تدل على المصغر إذا كان الضم أولى ، لأن الفتحة للجمــع فــي نحــو : (مساجد) (ضوارب) فلم يبق إلا الكسر والضم ، فاختاروا الضم لأن الياء علامــة

---

(١) حسن نجيلة ، ملامح من المجتمع السوداني ، طبعة أولى ، دار الخرطوم للطباعة والنشر ، السودان .

(٢) عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص٩٧٣ ، ١٩٩٤م ، ص٣١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص٣٩١ .

للتصغير ، وما بعدها مكسور فيما زاد على ثلاثة ، فكرهوا كسر الأول لثقل اجتماع كسرتين مع الياء وكانت عنه مندوحة إلى الضمة " [١].

ولما كان أغلب صور التصغير في العامية المتكلمة ترمي إلى تصغير الحجم وتقليل الشيء ، وهذا ينافي في نظرهم وظيفة (الضم) مالوا بها إلى التخفيف فكسروا الحرف الأول ، فلما أحسوا بالثقل في اجتماع الكسرتين خففوا ذلك بالإمالة لتبقى الغاية من التصغير بادية في نحو رويجل ، إصيفر ، إِغيبش تصغير راجل ، وأصفر ، وأغبش ، فالوصف هنا يحكي عن الحال وهكذا .

إلى جانب هذا نجد أن العامية في دارفور استخدمت صيغاً للتصغير مثل (فعلاي وفعيلاى) تكاد تختص بها وحدها من بين عاميات السودان ، فمن الأول نحو آدماى ، وأحمداى ، ويوسفاى ، وأبكراى ، وشطاي ، وملحاى تصغير (آدم ، أحمد ، يوسف ، أبكر ، شطة ، ملح) وهكذا .

أما صيغة (فعيلاى) فلتصغير المصغر مثل (وليداى ، وبنياى ، أمونـاى ، قميلاى) تصغير (وليد ، بنية ، أمونة ، قميل (تصغير قمل) وقميلاى ، اسم منطقة في جنوب دارفور تم تغييره في التسعينيات من القرن الماضي إلى عسلاى أو عسلاية .

أما من أضافوا هذا المقطع للتصغير (آي) إلى صيغة (فْلون وفعيلون) للتمليح فقالوا : " صغيروناي ، سمحيوناي " في صغيرون وسميحون ، ومن تصغير المصغر تصغير سكّر إلى سكيكر ثم سكيكراى، ثم سكيكراتلجمع القلة ، وسكيكراى مبالغة منهم في تحقيره وهذا تحدث عنه سيبويه في باب الجمع الذي لا واحد له ففي التصغير أن يصغر على المهمل القياسي نحو سرويلات في سراويل [٢] ويصغرها يونس (سريبيلات) و(سريويلات) .

وهذه إحدى فتيات البادية تغني في لعبة (الحجوري) التي يتخللها التصفيق بالأيدي والقفز دائماً : " سميحوناى أب رقباً قزازه " أي تشبه الزجاجة وهكذا . وقالوا (أموناى) و(مريوماى) في أمونةومريومه مصغر أمنة ومريم ، ويطلق غالباً

---

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج٣ ، ص٣٩٦ .

(١) انظر : السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج١ ، ص٢٥٣ .

للحفيدة التي سميت لجدتها وهي صغيرة ، فتسمى في وجود جدتها كذلك للتمليح وللتفريق بينهما .

فهذه الصيغ التي سبق ذكرها من نحو (فعول وفعولةوفعيلونوفعيلاى) التي استخدمتها عامية دارفور والتي أشار إلى بعضها الدكتور : عبدالمجيد عابدين أنها استخدمت في اللهجة المصرية والبصرية من نحو : " كبيرون ، وقليلون،وشويتون " للشيء القليل جداً وقالوا : " هنومه، وزنوبة ، وأمونة تصغير هانم وزينب وآمنة " هذه الصيغ التي سبقت بالذكر ، والتي اختصت بها عامية دارفور دون سائر عاميات السودان والتي تحدث عنه أستاذي الدكتور إبراهيم آدم إسحق : بأنها أثر للصلات التاريخية القديمة بين دارفور ومصر، وذلك من قوله : " غير أنه من الراجح أن صلة دارفور القديمة بمصر ، عبر درب الأربعين ، وذهاب المحمل والصرة من دارفور إلى الكعبة المشرفة عبرها كذلك ، وإقامة رواق دارفور بالأزهر الشريف ، إلى جانب انقطاع فرقة كاملة من المعسكر المصريين تابعة لجيش أسرة محمد علي باشا بمدينة الفاشر عقب قيام الثورة المهدية ، فصاروا بعد ذلك جزءاً من كيانها السكاني المعروفين الآن (بأولاد الريف) ،عزز من شيوع هذه الظاهرة " [١] فأكثرت عامية دارفور من التصغير على صيغة (فعول) من نحو : الدوم والدومه في آدم ، وقدوره في عبدالقادر ، وعبود في عبدالله ، كما صغروا الصفات (حمور) في أحمر (وبيّوض) في أبيض وهكذا ، وأكثروا كذلك من صيغة (فعلاى) (وفعيلاى) ، (فعيعيلاى) فقالوا : " قشاى" تصغير (قش) أو قشة (وزولاى) تصغير (زول) وقد أنشد شاعر التراث الدارفوري المعروف محمد السنوسي في مطلع قصيدته التراثية والتي وجدت الاهتمام من قبل أهل دارفور ، فكتبت على رقاع من الجلد تحتفظ بها دواوين الحكومة قوله :

تراثُ قومي وددتُ اليوم أجمعه كيما أخلده شعراً على فرخاى[٢]

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٠١ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٩٦ .

الشاهد في كلمة (فرخاى) وأصلها ورقاى من ورقة ، أبدل فيه الواو في أول الكلمة بحرف شفوى من جنسه هو الفاء وأبدل حرف القاف في (ورق) خاءً وهذا كثير في كلامهم أيضاً من نحو إساخ في إسحق وغير هذا كثير .

ويظهر كذلك من خلال هذه الدراسة أن العامية المتكلمة لا تأبه في التصغير بتاء التأنيث ولا بألف التأنيث الممدودة . ففي حمراء وصفراء تصغر على (حميره وصفيره وبَيضه أو بيّوض وحمّور أو صفّور) فالنبر ينوب عندهم هنا عن علامة التأنيث ، وهو مسلك العربية مع التصغير ، يقول أحمد قبش : " لا يتأثر التصغير بتاء التأنيث ولا بألف التأنيث الممدودة ... ولا بعلامة التأنيث والجمع ولا بعجز المركب أو المضاف "[١] وكذلك فعلت العامية في تصغير (عبود وسلوم) من عبدالله وسليمان ، وقالوا (برهوم) في إبراهيم للتمليح ؛ فحذفت بذلك الزائد واستغنت عنها وقال ابن جني : " اعلم أن العرب استثقلت الاسم الخماسي لكثرة حروفه ، فلم تضع له مثال جمع ولا مثال تصغير ، فإذا أردت جمعه أو تكسيره حذفت من آخره ... فقالوا في جمع فرزدق (فرازد) وفي تصغيره (فريزد) ... "[٢] واستخدمت للتمليح والتحقير صيغاً متنوعة مثل (فِعيلى) والإمالة هنا تحمل زيادة في المعنى لتحقير الشيء وتقليله ، فقالوا في طفل (طفيلى) وفي حمل حميلى وفي عجل عجيلى ونحوها .

ثانياً : النسب :

تعريفه : هو الاسم الملحق بآخره ياءٌ مشددة مكسور ما قبلها علامة للنسبة إليه كما أُلحقت التاء علامة للتأنيث ، وذلك قولك هاشميٌّ ، وبصريٌّ[٣].

يقول سيبويه : " اعلم أنك إذا أضفت رجلاً إلى رجلٍ فجعلته من آل ذلك الرجل ألحقت ياءي الإضافة ، وكذلك إذا أضفت سائر الأسماء إلى البلاد ، أو إلى

---

(١) أحمد قبش ، الكامل في النحو والصرف والإعراب ، دار الجيل ، بيروت ، طبعة٢ ، ١٩٧٩م ، ص٣٠٨ .

(٢) ابن جني ، اللّمُع في العربية ، ص٢٧٥ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٣٨ .

حي أو قبيلة " [١].

فسيبويه يطلق على النسب الإضافة ، وذلك لجهة العلاقة بينهما والتي شرحها ابن يعيش في قوله : " فهي إضافة من جهة المعنى ، وإن كانت مخالفة لها من جهة اللفظ ، وذلك أنك في الإضافة تذكر الاسمين وتضيف أحدهما إلى الآخر نحو : (غلام زيد)، و(صاحب عمرو) ، وفي النسب إنما تذكر المنسوب إليه وحده ، ثم تزيد عليه زيادة تدل على النسب ، وتكتفي بتقدم الموصوف عن ذكر المنسوب ... نحو قولك في النسب هاشم هاشميٌّ " [٢] وذلك بزيادة ياء مشددة في آخر المنسوب ، وكسر ما قبل الياء . يقول ابن مالك :

ياءً كيا الكرسيَّ زادوا في النسب وكل ما تليه كسره وجب[٣]

فإن قيل : ولم كانت الياء هي المزيدة دون غيرها ؟ فالجواب أن القياس كان يقتضي أن تكون أحد حروف المد واللين لما تقدم من خفتها ، ولأنها مألوف زيادتها ، إلا أنهم لم يزيدوا الألف لئلا يصير الاسم مقصوراً فيمتنع من الإعراب ، وكانت الياء أخف من الواو فزيدت ، فهذه الياء اللاحقة شبيهة بالتاء اللاحقة بالمؤنث وذلك من قبل أن الياء علامة لمعنى النسب [٤] .

والنسب على ضربين : قياس مطرد ، كثر وروده في كتب العلماء ، وآخر على غير قياس أو ما لا يطرد فيه القياس ؛ بل يسمع من أقوالهم في غير تجاوز .

قبل الإشارة إلى النسب في اللهجة ،لا بد من الإشارة إلى نماذج في القياس المطرد ، وذلك حتى تسهل المقارنة ، وكذلك الوقوف على قدر التجاوز في اللهجة، فمن ذلك مثلاً تحذف لهذه الياء أمور في الآخر وأمور أخرى متصلة بالآخر منها :

أ/ الياء المشددة الواقعة بعد ثلاثة أحرف فصاعداً سواء كانتا زائدتين أو كانت إحداهما زائدة والأخرى أصلية ، فالأول نحو (كرسي وشافعي) فتقول في النسب

---

(١) سيبويه ، الكتاب ، ج٣ ، ص٣٣٥.

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٣٨ .

(٣) عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج١ ، ص٥٧٨ .

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٣٩ .

إليهما كرسيٌّ وشافعيٌّ ، فيتحد لفظ المنسوب والمنسوب إليه ، ولكن يختلف التقدير.

والثاني نحو : (مرميّ) وأصله (مرموي) : ثم قلبت الواو ياء والضمة كسرة وأدغمت الياء في الياء ، فإذا نسبت إليه قلت (مرميٌّ) ، وبعض العرب تقول (مرمويّ) بحذف الأول لزيادتها وإبقاء الثانية لأصالتها .

ب/ في التأنيث تقول في مكة (مكّى) والعامية في وسط السودان استخدمت بدلاً عنها (مكاوي) وتسموا بها ؛ وقول المتكلمين في ذات : ذاتيّ .

ج/ الألف إن كانت متجاوزة للأربعة (كحبارى وحبركى) فإنها ملحق بسفرجل والألف المنقلبة عن أصل كمصطفى يجوز فيه الأصل كمصطفيّ ، أصله مصطفى +يّ والقلب : مصطفويّ.

د/ يا المنقوص المتجاوزة أربعة كمعتدّ ومستعل ، وأما نحو (مسعى وملهى) فالحذف أولى .

هـ/ أما علامة التثنية وعلامة جمع تصحيح المذكر فتقول في مثل زيدان وزيدون (زيدى)[١] وهكذا .

أما النسبة إلى (فُعيلة وفعولةوفُعيلة) يقول ابن يعيش : " ومن التغيير اللازم حذف الياء والواو من (فعلية وفُعيلة ومفعولة) وذلك[٢] إذا نسبت إلى مثل : حنيفة وربيعة وجهينة فتقول (حنفيّ وربعيّ وجهنيّ) ، وذلك بحذف تاء التأنيث ونقل كسرة العين في فتحه "[٣] .

فهذه بعض من قواعد النسب التي طالعنا بها اللغويون القدماء ، إلا أن تلك القواعد لم تسلم من عثرات الخروج عليها ، مثل التصرف في أصوات اللين الواقعة قبل الحرف الأخير ، أو التصرف في بنية الكلمة بالزيادة أو النقص أو إجراء الإبدال والإعلال بالقلب من غير موجب لهما ، وقد ذهب اللغويون القدماء إلى تأويل بعض ما عنٌّ لهم من المسائل الشاذة .

---

(١) انظر : ابن هشام ، أوضح المسالك على ألفية ابن مالك ، ج٤ ، ص٣٣١ .

(٢) انظر : ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٤٦ .

(٣)

وما يلفت النظر إلى العامية المتكلمة في السودان ، ومنها عامية دارفور أنها مع التزامها ببعض هذه القواعد في النسب عمدت إلى أساليب أخرى منها ما هو جار على القياس ومنها ما هو غير ذلك .

فمن النسب الذي يجري على القياس في عامية المنطقة مثلاً النسب إلى القبائل مثلاً يقولون : (رزيقى وعريقى ، ومسيرى وفلاتى وسلاماتى) في النسب إلى الرزيقات والعريقات والمسيرية، وكلها قبائل عربية ، تنتشر في دارفور شمالاً وجنوباً . وهذه تشترك فيها العامية في السودان تقريباً يقولون : (جعلى وشايقى وبديرى) في النسب إلى الشايقيةوالجعليينوالبديرية. وإن كان الدكتور إبراهيم إسحق قد أشار في هذا النسب المطرد أنهم يخصون به القبائل العربية ثم يقول : " وحين ينسبون إلى القبائل المستعربة ، أو إلى القبائل الأعجمية فإنهم يضيفون في كثير من الأحيان إلى المنسوب إليه المقطع (آوى) فتراهم يقولون : فلان فوراوى ، وهو زغاويوبرتاوي ... إلخ "[١] . ولكن هناك من الأسماء العربية ما وردت على هذا المقطع من نحو : (معلاوى ، وهلباوى) وذلك في النسب إلى المعاليا والبنى هلبة : فالفرق ربما يأتي من بنية الكلمة أو الاسم أكثر من النظر إلى غيره من الفوارق ، فقد ورد في النسب إلى العالية علوى ... وإلى الروح روحانى[٢]وأشار إلى هذه الطريقة في النسب ابن يعيش من قوله : في باب النسب إلى الممدود :" ملهاوىومغزاوى ، وخنفساوىومعيرواىوزكرياوى في النسب إلى ملهى ومغزى وخنفساء ومعيوراء وهي جماعة الحُمر وزكرياء"[٣]

وهذا المقطع (آوى) ربما استخدمته العامية المتكلمة في كل ما لا ينصرف عندهم أو شبهه ، أو من باب زيادة الحروف في المنسوب ، يقولون : بيضاوي وحمرواي وزرقاوي وهكذا [٤]. ومن باب الزيادة في الحروف قالوا :

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٥٣ .

(٢) الزجاجى ، الجمل في النحو ، تحقيق على توفيق الحمد ، طبعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٨٥م ، ص٢٥٢ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٥٩ .

(٤) آوى : موجودة في بعض اللهجات العربية ، والزرقاوي : أحد المنشقين لتنظيم القاعدة .

فوراويوقوّازي ، للذي يسكن القوز ، وجبالي لقاطنى الجبال ، وقالوا غرباوى للقادم من الغرب ، و(أم رياحى) للقادم من دار الريح (وأم هنا حميرية بمعنى أل) ، وقالوا (دمبارى) للذي يزعم أنه يطرد الجراد والآفات ، ومثل هذا النسب لا تأباه العربية ، يقول ابن يعيش : " فإن نسبت إلى ما لا ينصرف نحو (حمراء وصحراء) فالباب أن تقلب الهمزة واواً فتقول (حمراوى) و(صحراوى) ... ولم تكن لتحذف لأنها لازمة تتحرك بحركات الإعراب "[١] .

وأما في زيادة الحروف فقد أشار إلى ذلك أبو حيان من قوله : " ومن أساليب العرب في النسب أنهم يقحمون حرفاً أو حرفين في بنية الكلمة على غير قياس فقد سمع قولهم في النسب إلى (مرو)[٢] (مروزي)[٣] ومن باب الزيادة تنسب العامية لصاحب الخصلة التي اشتهر بها فتقول (شراني) لصاحب الشر (وحقاني) للذي يقف إلى جانب الحق دائماً .

ومن صيغ النسب التي انفردت بها عامية المنطقة صيغة (فعَّالي وفعَّاله) فيستخدمون (فعالي) لصاحب المهنة أو الحرفة الملازم لها يقولون : فلان جمَّالي وفلان حمّاريّ وغنّاميّ ، لصاحب الحرفة ، فإذا أرادوا الجمع استخدموا صيغة (فعَّالة) فقالوا : (حَّماره ، وجَّماله ، وغنَّامه) يقول أستاذي إبراهيم آدم اسحق : " ونسبوا بـ(فعّالي) أيضاً إلى صاحب الشيء الملازم له ، فقالوا فلان حَّماري ، وهو من يستأجر لحمل الأشياء على حماره ، ومثله جمالي ، وغنّامي لصاحب الأغنام وللذي يتجر فيها ... ونسبوا بفعالي كذلك إلى الجهات فقالوا فلان جبّالي وهو الذي يسكن الجبل والمراد جبل مرة وقوّازي لمن يسكن الأقواز ، وهي الكثبان الرملية المنتشرة بشمال دارفور بخاصة وقالوا فلان (امرياحى) لمن يسكن

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ج٣ ، ص٤٦٠ .

(٢) المرو : حجار بيض براقة تورى النار ، والمرو بلد بفارس ، ومرو جبل بمكة ؛ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾سورة البقرة ، الآية ١٥٨ ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٣٣٧ .

(٣) أبو حيان الأندلسى ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق د . رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

دار الريح وهي الجهة الشمالية من دارفور في اصطلاحهم "[١] وتقول العامية كذلك : (رجاّله ودكّاره) ، لجماعة الرجال ويستصحب هذه الكلمة غالباً تقديمهم فعالاً يحمدون عليها في النفير بخاصة ، وهذه الصيغة معروفة في النسب من قديم يقول أبو حيان في ارتشاف الضرب : " وللفرق بين الواحد والجمع في الصفات نحو حمّار وحمّاره ، وبغال وبغاّله ، وجمّال وجمّاله ... وزعم أبو زيد أن هذا مطرد في باب الجمع الذي يؤخذ من لفظ الفعل "[٢].

ومما انفردت به عامية دارفور كذلك استخدامها للمقطع الفوراوي (نقا nga) للدلالة على النسبة ، وهو أثر للتداخل اللغوي الذي نشأ بين العربية ولغة الفور وانعكس هذا الأثر في العامية المتكلمة ؛ فكما استخدمت لاحقة صرفية للجمع استخدمت كذلك في الحرف والمهن مثل : (مندانقا) لتجار التجزئة أو التشتاشه[٣])يقول أستاذنا إبراهيم : " ومن هذا الباب أيضاً (دبنقا) أي المنسوبون إلى الدبّة من السكان ... ومن ذلك أيضاً (دير منقا) : وهم المنسوبون إلى حرفة دباغة الجلود بطريقة مخصوصة ، (ودير نقا) وهم المنسوبون إلى دار الريح ... وهكذا "[٤] .

ومن هذا الباب أيضاً أن عامية دارفور في مجال النسب إلى القبيلة تضيف القبيلة إلى الاسم المراد نسبته إلى القبيلة نفسها فتراهم يقولون : (أحمد برتى ، وآدم فور ، وأبكر تامه ، ويعقوب مساليت ، وعمر تنجر) تماماً كما قالت العرب : تيم تميم ، وزيد سليم ، وسعد الأوس .

يقول جرير :

ومنتّ علىّ تيم تميم بنعمة وما عند تيم من وفاء ولا شكرُ[٥]

ولم تقتصر النسبة على الأشخاص وقبائلهم وحسب بل تعدتها لتشمل الشُهرة والحرف والصنائع وغيرها مثل مركوب جنينة لنوع المراكيب أو الأحذية الجلدية

---

(١) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٥٥ .

(٢) أبو حيان ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج٢ ، ص٢٥٧ .

(٣) التشتاشه : هم من صغار التجار أو دونهم في المكانة الاجتماعية لذلك تقول احدى العمات في مدح زوجها : " هُوْ بسْ تاجر باقي الناس تشتاشه " دلالة على علو كعبه ورفعة مكانته .

(٤) د . إبراهيم آدم إسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية ، ص٢٥٧.

(٥) ديوان جرير ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٧١م ، ج٢ ، ص٥٩٨ .

المعروفة ، و(سفروكمساليت) : لنوع من العصى المحدبة والمنحوتة بطريقة تزيد من سرعتها حال الرمي بها ، وتستخدم عادة في الصيد ، و(زغاوةتيتل) لمجموعة من الزغاوة هاجروا واستقروا جنوب مليط ، تعلموا العربية ونسوا لغتهم ، و(بقر دينكا) لنوع من الأبقار تمتاز بأقرانها الطويلة وغير هذا كثير .

وعلى العموم فإن النسبة من بين المسائل الصرفية التي حافظت العامية المتكلمة في دارفور بقدر وافر من الأوزان القياسية فيها ، إلى جانب بعض الصيغ التي ربما لعبت اللغات المحلية دوراً في إيجادها مثل المقطع الصوتى (نقا) وأخرى ربما هاجرت إلى المنطقة من المغرب العربي مثل صيغة (فعّاله) التي أشار أبو حيان الأندلسي إلى أنها كانت تعرف في اللغة من نحو حمَّاره وجمَّاله وبغَّاله ونحوها ([1]).

([1])انظر : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ، ج٢، ص ٢٥٧ .

المبحث الرابع : تخفيف الهمزة:

الهمزة العربية صوت شائكٌ صعبٌ استعصى على الباحثين – قدامى ومحدثين – ممن حاولوا فك لغزه وفهم أسراره ، وتهوين صعوباته وهو كغيره من أصوات العربية له مخرج وصفة .

أما مخرجه فقد اختلف علماء العربية القدماء حوله ، فقد وضعه الخليل مع حروف الحلق من أقصاه ، فقال : " أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة " (١) وقال في موضع آخر : " والياء والألف والهمزة هوائية في حيِّز واحد " (٢) فقد تباين وصف الخليل لمخرج الهمزة من خلال الموضعين .

أما سيبويه فقال في وصف مخرجه : " الهمزة بعيدة المخرج في الأصل ، نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجاً " (٣) ، وانقسم العلماء – بعد الخليل وسيبويه – فريقين ، فريق سار على مذهب الخليل ، وأغلبهم جمهور علماء القراءات ، وفريق سار على مذهب سيبويه وأغلبهم جمهور علماء النحو .

أما الرئيس ابن سينا ، فقد حدد مخرجها من الحنجرة ووافقه المحدثون ، وأما كيفية حدوث ذلك فقد شرحه بقوله : " أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهالى الحاصر(٤) زماناً قليلاً لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة (٥) وضغط الهواء معاً "(٦) .

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، ج١ ، ص٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٨ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج٣ ، ص٥٤٨ .

(٤) الطرجهالى الحاصر : هو لسان المزمار .

(٥) قسم ابن سينا العضلات في الحنجرة قسمين : عضلات منفتحة وعضلات مطبقة (ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص١٠٩ – ١١٠) .

(٦) المصدر السابق ، ص٧٢ .

وهذا الوصف للرئيس ابن سينا هو ما ذهب إليه الكثير من المحدثين في كيفية حدوث الهمزة ، لذلك حدد الدكتور كمال بشر ثلاث مراحل لحدوث الهمزة الأولى : قطع النفس ، الثانية : الانطباق والثالثة : الانفجار[١] .

وبقدر اختلاف العلماء – قدامى ومحدثين – حول مخرج الهمزة اختلفوا كذلك حول صفتها ، فتأرجحت آراؤهم بين انفجارى مهموس ، وشديد مجهور، فهي عند عبدالصبور شاهين : صوت انفجارى مهموس ، ينطق بأن يلتقي الوتران الصوتيان أحدهما بالآخر التقاءً محكماً ينفس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين ، ويسمع صوت الهمزة عندما يزول هذا الالتقاء فجأة [٢] فهو إذن يحتاج إلى مجهود عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه صوت آخر مما يجعل من الهمزة أشق الأصوات نطقاً ، لذا أطلق عليه اسم النبر ، يقول ابن منظور : " والنبر بالكلام : الهمز وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره والنبر مصدر نبر الحروف ينبره نبرة همزه " [٣] .

أما عبدالغفار حامد هلال فيقول في وصفها : " الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى ، ولا مجهور ولا مهموس – على أرجح الآراء في العصر الحاضر – وينطبق معها الوتران الصوتيان تماماً ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوى وانفجار ، وفرقعة شديدة ، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلي كبير حال نطقها ؛ فوجدنا منهم من يحققها ، ووجدنا منهم من يخففها بإبدالها حرفاً من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها "[٤] .

مشكلة أخرى تعرض للهمزة هي عدّها ضمن حروف العلّة عند بعض أهل الصرف حال تناولهم لظاهرة الإعلال والإبدال باعتبار تحوّلها إلى إحدى حروف العلّة الثلاثة (الألف والواو والياء) يقول عباس حسن : " الاتجاه الغالب في معالجة

---

(١) كمال محمد بشر ، الأصوات اللغوية ، ص١١٢ .

(٢) عبدالصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي) ، د.ط ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٠م ، ص١٧٢ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نبر .

(٤) عبدالغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، ص١٤٩ .

الصرف التقليدي لظاهرة الإعلال هو عد الهمزة ضمن حروف العلة (الألف والواو والياء) لما يحدث للهمزة من تغيير ، ولمشاركتها هذه الثلاثة في تحوّلها إلى كلّ وتحوّل كلٍّ من الثلاثة إليها " [١] ثم يتصدى للمشكلة فارقاً بين الهمزة وحروف العلة بقوله : " وهذه التسوية في الخواص بين الهمزة وما اصطلح عليه بحروف العلة (الألف والواو والياء) تسوية تتنكر للاختلاف التام البيّن بين الهمزة وهي حرف صحيح صامت ، وبين (الألف والواو والياء) وهي حركات طويلة أو أصوات صائتة فالاختلاف بينهما في النوع ؛ فالهمزة صوت صامت في مقابل (الألف والواو والياء) وهي أصوات صائتة ، أو صوت صحيح في مقابل حركات طويلة ، واختلاف كذلك في مكان الإنتاج وكذلك في طريقة الإنتاج ، فالهمزة صوت صامت حنجري ... يختلف عن الواو والياء والألف ؛ فإن تخصيص مصطلح تخفيف لما يعرض لها من صور التغيير يصبح مطلباً منهجياً " [٢] .

ولما كانت الهمزة حرفاً شديداً مستثقلاً يخرج من أقصى اللسان – كما سبق وصفه – ويحتاج إلى مجهود عضلي كبير ، آثر كثير من اللهجات العربية التخلص منها طلباً للسهولة والتخفيف ، وقد نسب العلماء الأوائل تخفيف الهمزة إلى الحجازيين وإن كانت القبائل العربية تأثر بعضها ببعض في الهمز والتسهيل ، وقد قال عيسى ابن عمر : " ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب نبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا " [٣] .

وقد أشار ابن جني إلى إنكار النبي (ﷺ) همز كلمة (نبي) فقال : " ألا ترى إلى قول الرسول (ﷺ) وقد قيل : يا نبئ الله : فقال : لست بنبئ الله ولكن نبيّ الله وذلك أنه (ﷺ) أنكر الهمز في اسمه فرده إلى قائله " [٤] . وفي رواية : إنّا معشر

---

(١) عباس حسن ، النحو الوافي ، ط١٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص١٥ .

(٢) عبدالصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص١٧٢ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج٣ ، ص٥٣ .

(٤) ابن جني ، الخصائص ، ج١ ، ص٣٨٣ .

قريش لا ننبر [١] ، والنبر همز الحرف ، ولم تكن قريش تهمز في كلامها [٢] ولكن يرى بعض العلماء أن تخفيف الهمزة لم يكن مقصوراً على منطقة دون سائر مناطق اللهجات القديمة ، وإنما كان فاشياً في كثيرٍ منها ، وفي ذلك يقول عبدالمجيد عابدين : " وقد نسب عدد من العلماء الأوائل تخفيف الهمز إلى الحجازيين ، وأوردوا في ذلك شواهد كثيرة ، من القرآن والحديث والشعر ، كما نسبوا تحقيق الهمز إلى التميميين ولا يجوز أن نأخذ هذا الحكم مأخذ الصحة المطلقة لاعتبارين : أحدهما أن بعض الأخبار تدل على أن بعض الحجازيين كانوا يحققون الهمزة ، وأن بعض التميميين كانوا يخففونها ، وإن كانت لهجات الحجاز بصفة عامة – أكثر ميلاً إلى التخفيف " [٣] وهو ظاهر كلام عيسى بن عمر السابق ، وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أمثلة كثيرة جاءت فيها الهمزة مخففة في بيئة نجد ، والعكس في بيئة الحجاز ، فقد قرأ أهل الكوفة : " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً بالياء والتخفيف (من يوت) [٤].

ولهجات السودان كسائر اللهجات الحديثة تميل إلى تخفيف الهمزة بالإبدال أو بالحذف ما وجدت إلى ذلك سبيلاً ، فهي الغالب الأعم تحذف الهمزة في سياق الكلام فتقول مثلاً : (ياسماعيل خوى) في يا إسماعيل أخى ، وتحذف همزة الاستفهام باطراد كما تحذف الهمزة إذا جاءت متطرفة في نحو : (السما والهوا وجا) أي السماء الهواء جاء [٥] .

---

(١) أورد الزمخشري في كتابه أساس البلاغة : نبرت الشئ رفعته ... وأنبر الخطيب ارتفع على المنبر ، وفي الحديث : لا تنبروا باسمى : أي لا تهمزوه ، الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، مج١ ، ص٦١٤ .

(٢) ابن الجزرى ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٥ ، ص١٦ .

(٣) عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان ، ص٣٤ .

(٤) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تحقيق على محمد الضباع ، دار الفكر ، القاهرة ، ج١ ، ص٣٨٩ .

(٥) المصدر السابق ،ج١ ، والصفحة .

والعامية المتكلمة في منطقة الدراسة تلتزم الكثير من قواعد وشروط التخفيف للهمزة ، وتسلك في بعضها الآخر مسلكاً مغايراً ، فتجد فيها الحذف والإبدال والتسهيل بين بين ، أي (بينها وبين حرف حركتها ، أو حرف حركة ما قبلها) وقد أشار إلى هذه القواعد ابن الجزري ، وعدد أحوال التخفيف للهمزة في القراءة ؛ فذكر الهمزة الساكنة وهي تأتي على ثلاثة أقسام باعتبار حركة ما قبلها مضموم ما قبلها نحو : يؤمنون ، يؤتي رؤيا ، مؤتفكة ... ومكسور نحو : بئس ، جئت ، شئت ... و(الذي ائتمن) ، ومفتوح نحو : (فأتوهن فأذنوا وأمر أهلك ... والهدى ائتنا) ، فقرأ أبو جعفر جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبلها إن كانت ضمة فواو أو كسرة فياء أو فتحة فألف ، واستثنى من ذلك كلمتين هما (أنبئهم) في البقرة ، و(نبئهم) في الحجر والقمر ، واختلف عنه في كلمة واحدة وهي (نبئنا) في يوسف [١] أو في حركة ما قبلها [٢] وقد وردت كذلك في شرح شافية ابن الحاجب في نحو : " يستهزءون وسئل" فيجوز أن يجعل يستهزءون بين الهمزة والياء (وسئل) بين الهمزة والواو وكذا في وصف سيبويه للتخفيف حين قال : " أما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين وتبدل وتحذف "[٣].

وأما تخفيف الهمزة في الدرس الصوتي فهو التقاء حركتين (أي صوتي لين قصيرين) بعد سقوط الهمزة ، والاستعاضة عنها بإطالة صوت اللين قبلها حين تكون ساكنة بعد حركة (راس) في رأس أو بعد سقوط الهمزة فقط دون الاستعاضة عنها بأي شيء حين تكون متحركة بعد ساكنة مثل (يسل) في يسأل .

أما شروط تخفيفها ألا تكون الهمزة في ابتداء الكلام ، قال ابن الحاجب : " وشرطه ألا تكون مبتدأ بها ، فكرهوا أن يُبتدأ بما يقرب من الساكن ، أنه مرفوض في كلامهم أو متعذر " [٤] . وقد استدل الكوفيون بهذا الشرط في

---

(١) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج١ ، ص٣٨٩ .

(٢) الاستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ج٢ ، ص٨٧ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ج٣ ، ص٥٤١ .

(٤) ابن الحاجب ، الايضاح في شرح المفصل ، تحقيق د . موسى العليلى ، مطبعة الهانى ، بغداد ، ج٢ ، ص٣٣٤ .

احتجاجهم بأن همزة بين بين ساكنة ، قال أبو البركات ابن الانبارى : " أما الكوفيون فقد احتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها ساكنة أن همزة بين بين لا يجوز أن تقع مبتدأة ، ولو كانت متحركة لجاز أن تقع مبتدأة ، فلما امتنع الابتداء بها ، دلّ على أنها ساكنة لأن الساكن لا يبتدأ به " [١].

أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنها متحركة أنها تقع مخففة بين بين في الشعر ، وبعدها ساكن في الوضع الذي لو اجتمع فيه ساكنان لانكسر البيت كقول الأعشى :

أ آن رأت رجلاً أعشى أضَّربه

ريبُ الزمان ودهر مفسد خبل[٢]

واحتجاج الكوفيين في عدم جواز وقوع الهمزة في ابتداء الكلام ، ووصفهم إياها بالسكون لأنه – فيما أحسب – إذا ابتدأ الكلام بها فقدت بعض خصائصها كالضغط والانفجار والشدة التي وصفت بها .

ويحسن من الوجهة المنهجية في تتبع تخفيف الهمزة في منطقة الدراسة البدء بالهمزة في أول الكلمة وفيها الحذف أو الإبدال .

أ/ تحذف إذا كانت متحركة وما بعدها ساكن (همزة وصل) في نحو : (اسبوع ، امرأة) ، تحذف الهمزة من أول الكلمة يقولون (سبو ، مره) ، فالحذف هنا طال الهمزة ، وكذلك العين في كلمة (أسبوع) : لأنهم لما حذفوا للتخفيف وجدوا العين أولى في الحذف ، فصارت الكلمة (سبو)[٣] يقولون : (سبو عيال فلان) ، لحفلات الزفاف أوالختان والعيدين ، أما كلمة (امرأة) فالكثير من اللهجات المتكلمة في السودان تشترك في حذف الألف والهمزة ، فأهل دارفور يقولون : (وليد مره أجواد) ، إذا اشتهر بالكرم والجود ، و(وليد مره فارس) في الشجاعة ، و(بنى مره

---

(١) أبو البركات ابن الأبارى ، الانصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق حسن حمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ج٢ ، ص٢٣١ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، والصفحة .

(٣) كلمة (سبو) تستخدم في عرف أهل دارفور لحفلات الزفاف والعيدين وختان الأنجال ، فالاحتفال عندهم يستمر أسبوعاً كاملاً ، ثم تقلصت لثلاثة أيام في منتصف الثمانينيات ثم إلى يوم واحد أو جزء من اليوم في الوقت الحاضر ربما لضيق ذات اليد أو لانشغال الناس ومجافاتهم لأنواع اللهو القديم .

أملس) إذا كانت جميلة ، وهكذا ويقولون (صُبا) في اصبع و(حسّ) في (أحس) ، وحذفت هنا بتأثير صوت الحاء و(سُمَئين) في إسماعيل ، و(سمى) في اسم يقولون لمن تسمى لجده (سَمِي جدو) ، فالشاهد أنهم تحايلوا على أسماء الأعلام السابقة بحثاً عن التخفيف فحذفوا ، وبدلوا يقول عباس حسن : " وذلك أنهم قرروا جواز تخفيف الهمزة وجواز حذفها بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها في مثل المرأة وأسأل ... نقول (المره وسل) بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الراء في (المره) وإلى السين في (سل)[١] والأخيرة (أسال) خالفت العامية المتكلمة هذه القاعدة وسنتعرض لها في موضعها من الدراسة .

ب/ تبدل الهمزة واواً إذا كانت مفتوحة قبل حرف مدغم ، حيث تبدل واواً ، في نحو (وكّد) للشيء من (أكّد) ، وتأتي (وكّد) في العامية بمعنى أبصر عند قروى شمال دارفور ، يقولون (وكّدى) أي انظر إليه ، وكذلك يقولون (وريته وأوريتو) بمعنى (أريته) أي أعلمته ، ويقولون كذلك (وصّف) في أوصف ، وإبدال الهمزة في أول الكلمة لغة أهل الحجاز ، واليمن وطئ [٢] من ذلك قولهم : " أرّخ الكتاب وورخه وأكدت العهد ووكدته ، وآخيته وواخيته "[٣].

ومن غريب الإبدال في منطقة الدراسة رد الهمزة وإثباتها بدلاً من تخفيفها وذلك حين قالوا في يده : (إيدو) وفي يديه (إيدينو) ، وقالوا : (رجلينو) في رجليه وإلى الشمال من مدينة الفاشر حتى مناطق غربي مدينة (مليط) عند قبائل البرتي بخاصة ، يقولون : (إيديانتو ، رجليناتو) ، في يديه ورجليه ، وهي ذاتها المناطق التي تضغط على المقطع الأخير من الكلمة فتظهر عليها نغمة خاصة كالزجرة الخاطفة كما وصفها عابدين ، والتي أشار إليها سيبويه حين روى عن بعض قبائل العرب تقول : رأيت (رجلاً) فتهمز[٤] ، وهم يقولون خدجا في خديجة وفتيأ في فتحية ، ولعل تحقيق الهمزة في أول الكلمة عند هذه المجموعة يسنده أصل قديم

---

(١) عباس حسن ، النحو الوافي ، ص١٨ .

(٢) ابن جنى ، سر الصناعة ، ج٢ ، ص١٩٢ ، والسيوطى ، المزهر ، ج٢ ، ص٢٧٧ .

(٣) السيوطى ، المزهر ، ج١ ، ص٤٦٢ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ، ج٢ ، ص٢٨٥ .

فقد حكى ابن جنى عن بعض قبائل العرب في الجزيرة قولهم : " ... وقالوات قطه الله إديه ويريدون يديه فردوا اللام ، وأبدلوا الفاء همزة " [١] وقد أشارت نوال بنت إبراهيم الحلوة في دراستها عن لهجة القصيم في الجزيرة العربية أن هذه الظاهرة ما تزال فاشية في لهجة هذه المنطقة فقالت : " فبدلاً من حذف الهمزة أو تخفيفها بإبدالها واواً أو ياءً قالوا في يديه : إديه وإديناتو ... " [٢] .

ج/ كذلك تبدل الهمزة واواً في (أين) : وين بإمالة الواو وهذا شائع في العامية السودانية المتكلمة وفي كثير من اللهجات العربية الحديثة .

ثانياً : الهمزة في وسط الكلمة : ليس هناك خلاف يذكر في طرائق تخفيف الهمزة في وسط الكلمة بين منطقة الدراسة وعامية السودان المتكلمة بين اللهجات العربية الحديثة فالهمزة الساكنة تبدل بحرف حركة ما قبلها في نحو (رأس وفأس ، وجئت وبئر) يقولون (راس ، فاس ، جيت ، وبير) على الترتيب ؛ وقد ورد عن سيبويه قوله : (إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً ، وذلك كانت الهمزة قولك : رأس ، فأس وقرأت : راس ، فاس ، قرات) [٣] غير أن العامية المتكلمة تخالف في إبدال الكلمة الأخيرة (قرأت) ، فتبدل فيها الهمزة ياء بدلاً عن الألف يقولون : قريت وبإمالة حرف الراء ، وفي غير هذه من الكلمات المسبوقة بحركة قصيرة ؛ فإن الهمزة في جميعها تقلب ياءً مع إمالة الحرف الذي قبلها فيقولون (بديت ومليت) في بدأت وملأت .

د/ أما الهمزة المتحركة والمتحرك ما قبلها في نحو (كأنه وكأنك) فإنها تحذف يقولون (كُنْهْ وكنَّك) ، ويبدو أن هذا الاستخدام وافد إلى المنطقة من الجماهيرية الليبية ، وهذه العبارات تستخدم كثيراً عند القادمين من الجماهيرية يقولون : " كنك يا راجل ! في حالات الدهشة والاستغراب ويقولون (كنّك باهى) : أي أنت في

---

(١) ابن جنى ، سر الصناعة ، ج١ ، ص٩٢ .

(٢) نوال بن إبراهيم الحلوة ، من الظواهر الصوتية في لهجة القصيم ، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث ، العدد الأول ، مج٧ ، ٢٠٠٥م ، ص٢١ .

(٣) ابن الجزرى ، النشر في القراءات العشر ، ج١ ، ص٩٢ .

أحسن حال وهكذا وقد أشارت الدكتورة نوال بنت الحلوة لهذه الكلمة في لهجة القصيم ، حيث تحذف فيها الهمزة ولكن مع كسر الكاف يقولون في (كأنه: كنّه)[١]

ومما هو داخل في هذا الباب كذلك همزة اسأل ، وسأل يسأل ، وجأر يجأر، فالعامية في منطقة الدراسة بدلاً من حذف الهمزة هنا أو إبدالها تركت الهمزة محققة ، وربما بالغوا في تحقيقها لتتجاوز إلى ظاهرة العنعنة عند عرب البادية بخاصة ، فتسمع في كلامهم : (والله دى مسعلة!) أي هذا أمره غريب ، وقد يقولون : مُنو المسعول أي أيكم المسؤول ؟ أو مسعول من الخير وهكذا ، وعن هذه الظاهرة يقول أنيس : " وقد تبدل الهمزة عيناً في مثل (سعل ، يسعل وجعر يجعر) في سأل يسأله وجار يجأر وهي سمة في لهجات قضاعة التي أشبهت تميماً في صفة البداوة "[٢] ثم قال وهو يعلل لجوء اللهجة إلى العنعنة في مثل سأل يسأل : " فعندما أرادوا أن تكون أوضح في السمع وأجهر في الصوت استبدلوا بها العين ، لأن العين صوت مجهور وهو أقرب أصوات الحلق للهمزة مخرجاً[٣].

ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال : لماذا في هاتين الكلمتين على وجه التحديد يبالغون في التحقيق ، وهذه القبائل مع ما فيها من صفة البداوة تخفف الهمزة في أغلب المواضع ؟

هذه الكلمة (اسأل) توقفت عندها الدكتورة نوال في دراستها عن لهجة القصيم ، ووقفت عند كلام سيبويه وجمهور اللغوين في تخفيف الهمزة في (اسأل : سَل) ، لكنها عللت تمسك أهل القصيم بتخفيف الهمزة فقالت : " ولعل أهل القصيم لجأوا إلى تحقيقها خوفاً من أن تلتبس بالفعل الأجوف (سال) "[٤] .

فهذا التعليل وإن استند إلى منطق سليم فيما أحسب، فإنه إن صدق على منطقة القصيم ، فإنه لا يصدق على بيئة بدوية لا تعتمد في لغتها إلا على السماع

---

(١) انظر نوال بنت إبراهيم الحلوة ، من الظواهر الصوتية في لهجة القصيم ، ص٢١ .

(٢) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٩٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص٩٨ .

(٤) انظر : نوال بنت إبراهيم الحلوة ، من الظواهر الصوتية في لهجة القصيم ، ص٢٦ .

، لذلك فإن الذي يجمع بين هاتين البيئتين – فيما أحسب – بالإضافة إلى صفة البداوة التي أشار إليها أنيس فإنها بيئات ما تزال تحتفظ ببعض الأصول اللهجية القديمة .

ثالثاً : الهمزة المتحركة الساكن قبلها : وليس هناك خلاف يذكر في هذا القسم من طرائق تخفيف الهمزة في كثير من عاميات السودان المتكلمة ، ومنطقة الدراسة عن القاعدة في العربية سوى بعض العادات الكلامية التي تأتي من تأثير البيئة وما تعارف عليه الناس من عادات مثل الإمالة والنحت في بعض الكلمات .

أ/ فإذا كان الساكن قبلها مما لا يجوز تحريكه ؛ فإن تخفيف الهمزة يتم بنقل حركتها إلى ما قبلها أو حذفها [١] ففي كلمات من نحو : (جزء ، ودف ، وسُوء ، وشيء) ، فهي على الترتيب جزو ، دَفُو ، سُو ، شِي . فالشاهد هنا أن الخلاف في كلمتى (دفء) تم الحذف وفتح حرف الدال بدلاً عن الكسر ، والعكس في (شيء) يقولون شِيْ بحذف الهمزة وكسر الشين وهكذا .

ب/ أما إذا كان الساكن قبلها ألفاً ؛ فإنها تحذف أو تجعل بين بين ، فإذا جاءت بعد فتحة طويلة تحذف مثل (جاء ، ووراء ، وصفراء ، وكساء) فإنها على الترتيب ، جيْ وجو في جاؤا (جاؤوك) جوك ، وجوكم في جاؤوكم بإمالة الجيم ، وكذلك في كلمات من نحو صفراء وكساء وراء يقولون صفراء ورا أما في (كساء) فإنهم يخالفون إذا لا يعرفون فيها إلا (كِسْوى) بكسر الكاف وإمالة الواو .

وللتخفيف أثره في كثير من الكلمات المنحوتة مثل جابوه : أي جاؤا به و(مكتر) في ما أكثر للتعجب ، فالصيغة عندهم وإن تحولت إلى مضاف ومضاف إليه فإنها في عرف اللهجة هكذا ، فهي لا تعنى عندهم غير التعجب ، كأن يقول أحدهم في الوصف مدحاً وقدحاً : (مَشْنَةْ مَعْرِفْتَكْ) يعني ما أشنه أي أقبح من شأن الشيء ومَكْتَر بَرَارِيقُو : أي ما أكثر فحذف المد والهمزة تخفيفاً .

رابعاً : أما عن الهمزة المتحركة والمتحرك قبلها فيقول صاحب الشافية : " تقلب واواً إذا جاءت بعد ضم خالصة ، وتقلب ياءً إذا جاءت بعد كسرة خالصة " [٢] فلا

---

(١) الاستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، ص٨٧ .

(٢) انظر : الحاجب ، الإيضاح في شرح المفصل ، ج٢ ، ص٣٤٣ – ٣٤٦ .

توجد في العامية المتكلمة ما يخالف القاعدة ، فهي تقلب عندهم ياء ، يقولون (ميَّة في مائة) و(فايدة في فائدة) ، وقالوا مالوا سايب : أي سائب إذا فقد الإدارة وحسن التدبير، ويقولون : مُوَدّب في مؤدب ، وتوديباً في تأديب ، لمن أحكم الشيء وأتقنه ، وربما أبدلوا الدال ضاداً خروجاً على القاعدة عندهم فقالوا (موضَّب تَوْضِيب تمام) في مؤدب ، وتعني كذلك مرتب ومجهز أي معد إعداداً جيداً ، ويوالف في يؤالف ويونِّس في يؤانس ، يقول أنيس : " وفي مضارع الأفعال التي تبدأ بالهمزة في مثل يؤانس ، ويؤاخى ، يؤالف قد تحذف وقد تبقى على حالها : يوانس يوافى ، يوالف " [1] وتميل العامية غالباً إلى حذف الألف وتشديد الحرف الذي يليه يونِّس ويولِّف وهكذا .

---

(١) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص٩٨ .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له علـــى امتنانـــه وتوفيقـــه وتيسيره ، وبفضله رأى هذا البحث النور ، أما أهم النتائج والتوصيات التي اشتمل عليها البحث فتتلخص في الآتي :

أولاً النتائج :

– إنَّ العامية المتكلمة في دارفور نتاج لتفاعل وتداخل وتـــأثير متبـــادل بـــين تيارات لغوية متنوعة ، أسهمت جميعها في تفردها وصبغتها بهذه الميزات .

– أثرت اللغات الحامية في منطقة الدراسة في أصوات هذه العامية المتكلمة ،ومن ثم اكتسبت طرائق جديدة ومغايرة في التصريف لما هو معروف في الفصحى.

– إن بيئة دارفور – ومنطقة الدراسة بخاصة – رغم تأثرها باللغات المحليـــة التي استوطنتها منذ وقت مبكر ، فإن عاميتها المتكلمة ما تزال تحتفظ بقدر وافـــر من الكلم العربية العتيقة التي خلت أو كادت تخلو منها بيئات عربية كثيرة .

– إن اللهجة العامية المتكلمة في دارفور ، رغم التقائها في الســـمات العامـــة ومعرفتها بها ؛ فإنها في واقع الاستخدام ، تنقسم إلى مستويات ، تعتمد على فعالية المجموعات العربية وأثرها في المنطقة من جهة ، واللغات المحلية وتأثيرها على عامية المنطقة في أصواتها وطرائق تصريفها بكلماتها من جهة أخرى ، فالجهـــة الشرقية من منطقة الدراسة تختلف عن غربها وعن جنوبها ، وهكذا .

– من العوامل التي تركت أثراً في عامية دارفور العربية المتكلمـــة ، والتـــي نحسب أنه قد ترك أثراً في مستوى اللهجة المتكلمة في الإقليم ، هو اختلاف القبائل العربية التي هاجرت إلى دارفور ، فهي ترجع إلى بيئات لهجاتها مختلفة .

– حافظت العامية المتكلمة في دارفور على قدر وافر من الأوزان القياسية في النسب والتصغير، وانفردت بصيغ أخرى جديدة ، لعبت اللغات المحلية دوراً فـــي إيجادها ، مثل المقطع (نقا) في النسب إلى القبيلة مثلاً .

– إذا كان للنبر أثره في تحديد القيم الصرفية ، والتي من خلالها يـــتم تحديـــد الدلالة في بعض اللغات ، وهو مظهر صوتي تتضح من خلالـــه الفـــروق بـــين المتكلمين باللغة الواحدة ؛ فإنه من العسير الحكم على المزاج العام للعامية المتكلمة

في منطقة الدراسة ، وذلك إذا وضعنا في الاعتبار مقدار التداخل والتنوع الناتج عن امتزاج تلك اللغات بعضها بعضاً ، ولكن تبقى هذه العامية رغم ما يظهر عليها من تباين في طرائق النبر وتبدل مواضعه في الكلمة الواحدة تحمل سمات خاصة تميِّزها عن غيرها من اللهجات العربية في السودان .

– كذلك من مظاهر انتقال مواضع النبر في هذه العامية وتبدلها ما يجده المتكلمون من صعوبة في نطق بعض الأصوات العربية ، فيضطرون في التصرف فيها – أحياناً –بزيادة المقاطع ، أو بتغيير التنغيم في الكلمة ، فإذا كان النبر يقع على المقطع الأول من الكلمة ، عند من يجيد التحدث بالعربية ، فإنه ينتقل عند بعضهم إلى المقطع الأخير فيها مثلاً في محتاج / موتاج ، وفي معقول / ماقول ، وهكذا .

ثانياً : التوصيات والمقترحات :

– على الباحثين الالتفات إلى اللهجات الحديثة قبل اندثار الأصالة فيها ، فالأمانة التاريخية للعصر الذي نعيشه توجب علينا التوثيق اللغوي لمستويات اللغة الحية ولهجاتها ، وقد سبق إلى ذلك القدماء ، فأثبتوا الكشكشة ، والتلتلة ، والعنعنةوالطمطمانية، وغيرها من مظاهر اللهجات العربية القديمة ، ورصدوا المولَّد والدخيل ، وقاموا بكل ذلك وهم في أشد مراحل الشغف بالفصحى والذب عنها ، والتشدد لها ، فالعاميات المتكلمة اليوم ميدان خصب وبكر يستحق من الدارسين فهماً واسعاً وجهداً عظيماً ، أولاً لجمع ما يمكن جمعه مهما قل ، فمن الخيوط الواهية يتكون الحبل المتين ، وأحسب أن المبسوط منها في بيئاتنا يصلح لأن يكون موضوعاً كافياً ومشجعاً للدرس .

– لا بد من دراسة تغطي مستويات العامية المتكلمة في دارفور ، خاصة في بيئات امتزجت فيها اللغات الحامية باللهجات العربية ، ففي الجزء الشمالي الغربي من منطقة الدراسة ، تجد القرية الواحدة تتكلم ثلاث لغات مختلفة : لغة (الفور، ولغةالزغاوة، وعامية دارفور العربية) .

وفي الختام فإن كنت قد وفقت إلى شيء ، فذلك بفضل الله ، وإن كنت قد أخطأت ، فما عن قصد كان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأشعار
- فهرس القبائل
- المراجع والمصادر

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة		
١.	﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾	٦٨	٩٢
٢.	﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾	١٩٦	٩٨
٣.	﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾	٢١٣	١٦٠
٤.	﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾	٢٨٢	١٦٤
	سورة النساء		
٥.	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۗ﴾	٩٢	١٤٦
	سورة المائدة		
٦.	﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣١	٨١
	سورة التوبة		
٧.	﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾	٣٨	١٦٢
	سورة الحجر		
٨.	﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾	١٥	٩١
	سورة النحل		
٩.	﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾	١٠٣	٩
	سورة الكهف		
١٠	﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾	٤٥	٩١
١١	﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾	٦٣	١٦٣
	سورة الأنبياء		
١٢	﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	٩٥	١١

سورة الحج			
١٣	﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾	١٩	٩١
سورة الفرقان			
١٤	﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾	٥	١٦٤
١٥	﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾	٧٢	٦
سورة النمل			
١٦	﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ﴾	١٩	أ
١٧	﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ ﴾	٤٧	١٦٢
سورة القصص			
١٨	﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾	٨١	١٦٣
سورة الروم			
١٩	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٢	أ
سورة لقمان			
٢٠	﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ﴾	١٩	١٠٩
سورة فاطر			
٢١	﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾	٢٧	١٨٢
سورة يس			
٢٢	﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ ﴾	١٨	١٦٢
سورة الأحقاف			
٢٣	وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا ﴾	١٢	٧
سورة الفتح			
٢٤	﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ ﴾	١٠	١٦٣

سورة الحجرات			
٢٥	﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾	٩	٩٥
سورة المجادلة			
٢٦	﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾	٨	٩٨
سورة الملك			
٢٧	﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	١٣	١٦٠
سورة الشمس			
٢٨	﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	١٠	١٦٤
سورة الهمزة			
٢٩	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	١	١٤٧
سورة الكوثر			
٣٠	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	١	٧٨

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحـــــــــــــــــــــديث	الصفحة
١.	" إنا معشر قريش لا ننبر "	٢٠٨
٢.	" إن مال الله مسؤول ومنطي ، وإن اليد العليا هي المنطية "	٧٨
٣.	" لا مانع لما أنطيت ، واليد المنطية خير من اليد السفلى"	٦٩
٤.	" لست بنبيء الله ولكني بني الله "	٢٠٧
٥.	" ليس من امبرامصيام في امسفر "	٦٩
٦.	" ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر"	٨
٧.	" من قال في الجمعة صه فقد لغا "	٦
٨.	" ناولني السكين "	٣٨

فهرس الأشعار

الرقم	الأشعار	الصفحة
	حرف الباء	
١.	فإن أَهجه يَضْجَرْ كما ضجر بازل*من الأُدم دبرت صفحتاه غاربه	٨٦
	حرف التاء	
٢.	ينفع الطيب القليل من الــرزق * ولا يــنفع الكــثير الخــبيث	١٣١
٣.	يا أيها الراكب المزجي مطيَّته * سائل بني أسد ما هذه الصوت	١٠٩
	حرف الدال	
٤.	وما كل مغبون ولو سلف صفقه* براجــع ما قد فــاته بَــردَاْد	٨٧
	حرف الراء	
٥.	ومنتّ عليّ تيــم تميم بنعــمة * وما عند تميم من وفاء ولا شكرُ	٢٠٣
	حرف اللام	
٦.	ولا أكول لكدر القوم كد نضجت * ولا أكول لبال الدار مكفول	١٢٤
٧.	وكل أناس ســوف تدخل بينــهم * دُويهية تصغرُّ منها الأنامل	١٩٤
٨.	أ آن رأت رجلاً أعشى أضرّ به * ريبُ الزمان ودهر مفسد خبل	٢١٠
٩.	ثلاثة أحباب فــحــب علاقــة * وحب تملاق وحب هو القــتل	١٧٢
	حرف الميم	
١٠	أعن ترسمت من خرقاء منزلةً * ماءُ الصيابة من عينيك مسجوم	٨٣
	حرف النون	
١١	ألا رُبَّ مولود ولــيس له أب * وذي ولد لم يلده أبوان	٨٦

١٢	قد كان قومك يحسبونك سيدا * وإخال أنك سيد معبون	١٨٣
حرف الهاء		
١٣	ذاك خـــليلي وذو يواصـــلني * يرمي ورائي بامسهموامسلمة	٨٠
حرف الياء		
١٤	تراثُ قومي وددت اليوم أجمعه * كيما أخلده شعراً على فرخاي	١٩٧

فهرس القبائل

الرقم	القبيلة	أماكن وجودهم ومراكزهم الرئيسة في منطقة الدراسة
٠١	البديات	مجاورون لقبيلة الميدوب ، هاجر جزء منها ، واستقر حول المدن الرئيسة في الفاشر ، وكتم .
٠٢	البرتي	مقر إدارتهم مليط ، وتمتد مناطقهم من الصياح ، وجبال تقابو شمالاً حتى الجزء الجنوبي الشرقي لشمال دارفور ، ومن مدنهم الطويشطة ، واللعيت ، وأم كدادة ، وجبل الحلة .
٠٣	البرقد	يسكنون شمال نيالا ، وشرقها ، ومن مراكزهم برنجيل .
٠٤	بنو حسين	من مراكزهم السريف بني حسين ، وكبكابية .
٠٥	التعايشة	من مركزهم الرئيسة رهيد البردي ، ومندوه قرب الكلكة .
٠٦	التنجر	ومركزهم مدينة كتم ، وكفوت والفاشر .
٠٧	الداجو	توزعت مواطنهم بين كردفان ، ودار صليح (وداي) ، ومن مراكزهم الرئيسة شعيرية ، ونيالاً .
٠٨	الرزيقات	يوجدون في مساحة واسعة من دارفور ، وكردفان ، وتشاد ، ومن مراكزهم الرئيسة مدينة الضعين .
٠٩	الزغاوة	يوجدون في الجزء الشمالي ، والشمال الغربي من دارفور ، ومن مراكزهم الطينة وكرنوي ، وأمبرو ، والفاشر ، وحول مدينة كتم .
٠١٠	الزيادية	يسكنون بين الميدوب ، والبرتي ، ومن مراكزهم مليط ، والكومة ، والفاشر .
٠١١	الفلاتة	من مراكزهم تلس ، وقريضة ، ومنطقة كريو ، ودار السلام (كتال سابقا) ، وفي بركة غرب الفاشر .
٠١٢	الفور	يوجدون في معظم مناطق دارفور ، ومن مراكزهم

		الرئيسة : جبل مرة ، وجبل سي ، وزالنجي ، وكبكابية ، والفاشر .
١٣.	القِمِر	حاضرتهم مدينة كلبس في الشمال الغربي ، وامتدت جنوباً ، ومن مراكزهم كتيلة .
١٤.	المحاميد والنوايبةوالمهار ية والعريقات	هي أقسام من قبيلة الرزيقات ، ويوجدون في الجزء الشمالي الغربي لمدينة كتم ، ودامرة الرحل ، وأم سيالة ، وحول مدينة كبكابية .
١٥.	المساليت	مركزهم الجنينة ، ويجاورون القِمِر من ناحية الجنوب .
١٦.	المعاليا	من مراكزهم كركور شمال الطويشة ، ومن مدنهم الرئيسة عديلة ، وشارف .
١٧.	المناصرة وبنو فضل	تعيشان في المثلث الواقع بين الفاشر ، والطويلة ، وجبل الحركة ، ومن مراكزهما ساني كرو إلى الجنوب الشرقي من مدينة الفاشر .
١٨.	الميدوب	ومن مراكزهم المالحة ، ومليط ، والملف ، وكتم ، والمناطق الواقعة بين المالحة ومليط .
١٩.	الميما	من مناطقهم هشابه في الجزء الشمالي من كتم ، مدينة ودعة .
٢٠.	الهبانية	مركزهم الكلكلة (برام حالياً) ، وتوجد مجموعة صغيرة منها في كردفان ، والنيل الأبيض .

المراجع والمصادر

١- إبراهيم آدم اسحق ، الأصول العربية للهجة دارفور العامية(العروبة) ط١ ، الخرطوم ، ٢٠٠٢م .

٢- إبراهيم إسحق إبراهيم ، هجرات الهلالين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان ، ط١ ، الملك فيصل والدراسات ، السعودية ، ١٩٩٦م .

٣- إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٤- إبراهيم السامرائى ، في اللهجات العربية القديمة ، ط١ ، دار الحداثة ، بيروت ، د . ت .

٥- إبراهيم على طرخان ، الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٩٦٩م .

٦- إبراهيم محمد نجا ، اللهجات العربية ، ط١ ، مكتبة السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

٧- إبراهيم موسى محمد ، المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية ، مجلة البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد السابع ، ١٩٩٧م .

٨- أحمد عبدالقادر أرباب ، مضارب ومشارب قبائل جهينة وبني مخزوم وحلفائهم في جمهورية السودان وتشاد .

٩- أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، د.ط ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٨م .

١٠- أحمد قبش ، الكامل في النحو والصرف والإعراب ، د.ط ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١١- أحمد الميداني ، نزهة الطرف في علم الصرف ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨١م .

١٢- إدريس يوسف أحمد ، لغة الفور (القواعد والمعجم والأصول والتراث) ط٢ ، دار المفتاح للنشر والتوزيع ، تورنتو ، كندا ، ٢٠٠٥م .

١٣- آدم محمد عبدالله عيسى (آدم تاجر) ، الزغاوة تراث وأعراق ، ط١ ، الجماهيرية الليبية ، ١٩٩١م .
١٤- الإستراباذى ، شرح شاحبة ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون ، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م .
١٥- ابن الانبارى ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .
١٦- بشرى السيد محمد هاشم ، أصوات اللغة بين القدماء والمحدثين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الخرطوم ، العدد السابع ، ٢٠٠٨م .
١٧- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
١٨- جابر محمد جابر ، ظواهر لغوية في لهجة الحوازمة السودانية ، مجلة الدراسات الافريقية ، العدد السابع عشر ، ١٩٩٧م .
١٩- - جابر محمد جابر ، التنوع الثقافي والتداخل اللغوي ، ط١ ، دار جامعة القرآن الكريم ، أم درمان ، ٢٠٠٠م .
٢٠- الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، د.ط ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
٢١- جريجورىشرباتوف ، دراسة مقارنة لبعض مظاهر الاشتقاق في اللغة الفصحى واللهجات ولغة المخاطبة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مج٥٤ ، ١٩٨٤م .
٢٢- ابن الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، محمد طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناجى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م .
٢٣- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع ، د.ط ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت .

٢٤- جعفر ميرغنى ، جرس اللسان العربي ، د.ط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الخرطوم ، ١٩٨٥م .
٢٥- جمال الدين بن هشام الأنصاري ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
٢٦- جمال الدين بن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق د. مازن المبارك و..... دار الفكر ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٥م .
٢٧- جمال الدين بن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالمجيد ، دار الجيل ، بيروت . د.ت .
٢٨- ابن جنى ، اللمع في العربية ، تحقيق حامد المؤمن ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥م .
٢٩- ابن جنى ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق علي الجندي وآخرين ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
٣٠- ابن جنى ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٣ ، الهيئة العربية للكتب ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
٣١- جورج فندريس ، اللغة ، تعريب عبدالرحمن الدواخلى ومحمد القصاص، د. ط ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د. ت .
٣٢- الجوهرى ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .
٣٣- ابن الحاجب ، الإيضاح في شرح المفصل ، تحقيق موسى العليل ، مطبعة الهانى ، بغداد ، د. ت .
٣٤- حسن عيسى أبو ياسين ، الفصحى بين نظريتين ، مجلة جامعة الملك سعود ، كلية الآداب (١) ، نشرة عمادة شؤون المكتبات ، مج٤ ، ١٩٩١م .
٣٥- حسن نجيلة ، ملامح من المجتمع السوداني ، ط١ ، دار الخرطوم

للطباعة والنشر ، ١٩٩٤م .
٣٦- حسين عباس الرفايعة ، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي ، ط١ ، دار جديد للنشر ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٦م .
٣٧- أبو حيان الأندلسى ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق رجب عثمان ورمضان عبدالتواب ، ط١ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
٣٨- خالد محمد فرح ، غريب القرآن واللهجات العربية المعاصرة ، مجلة دراسات إفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، الخرطوم ، العدد ٢٣، ٢٠٠٠م .
٣٩- الخليل بن أحمد الفراهيدى ، كتاب العين ، تحقيق د . مهدى المخزومي وإبراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨م .
٤٠- خليل محمود عساكر ، طريقة كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، مج٩ ، دورة ١٩٩٥م .
٤١- ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
٤٢- ديوان جرير ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٧١م .
٤٣- ديوان ذى الرمة ، بشرح أحمد بن حاتم الباهلى ، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح ، د. ط ، طربين ، دمشق ، ١٩٧٢م .
٤٤- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، د. ط ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
٤٥- رجب محمد عبدالحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، د. ط ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
٤٦- ركس أوفاهي ، الدولة والمجتمع في دارفور ، ترجمة عبدالحفيظ سليمان عمر ، ط١ ، هيلو بولس ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٤٧- رمضان عبدالتواب ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط٢، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
٤٨- رمضان عبدالتواب ، اللهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر الهجري ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، العدد (١ ، ٢) ، ١٩٧١م .
٤٩- رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، د. ط ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨١م .
٥٠- رمضان عبدالتواب ، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، العدد (٣٣) ، ١٩٧٤م .
٥١- رمضان عبدالتواب ، فصول في فقه العربية ، ط٢ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
٥٢- سيبويه ، الكتاب ، تحقيق وشرح عبدالسلام هرون ، ط٣ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
٥٣- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط١٢ ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة، السعودية ، ودار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
٥٤- ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق د. طه عبدالرؤوف سعد ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، د. ت .
٥٥- صبحى الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ط١٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٩م .
٥٦- طه حسين ، في الأدب الجاهلى ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٦م .
٥٧- أبو الطيب عبدالواحد اللغوي ، كتاب الإبدال ، تحقيق عزالدين التنوخى ، ط١ ، دمشق ، ١٩٦٠م .
٥٨- عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ ، لغتنا والحياة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
٥٩- عادل الشيخ عبدالله ، منزلة عربية السودان من لغة التنزيل ، مجلة

التأصيل ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم ، العدد ١٢ ، ٢٠٠٤م .

٦٠- عباس حسن ، رأى في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٥١م .

٦١- عباس حسن ، النحو الوافي ، ط١٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٦٢- عبدالحميد محمد أحمد ، الإنسان واللسان السوداني ، د. ط ، دار عزة للنشر ، الخرطوم ، ٢٠٠٥م .

٦٣- عبدالصبور شاهين ، علم الأصوات ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٦٤- عبدالصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي) .

٦٥- عبدالصبور شاهين ، القياس في الفصحى الدخيل في العامية ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٦٦- عبدالعزيز أحمد علام ، علم الصوتيات ، ط٢ ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٨م .

٦٧- عبدالعزيز مطر ، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية (دراسة لغوية) د. ط ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٦٨- عبدالغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ط٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

٦٩- عبدالغفار حامد هلال ، الأصوات اللغوية في لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الملك سعود ، العدد السابع ، ١٩٧٧م .

٧٠- عبدالغفار حامد هلال ، التنوَّعات اللغوية ، ط١ ، دار صنعاء للنشر ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٧م .

٧١- عبدالغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأةً وتطوراً ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٧٢- ابن فارس ، الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
٧٣- أبوالفداء الحافظ بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرين ، دار الشعب ، القاهرة ، د. ت .
٧٤- فوزى الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، ط١ ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، إربد ، ٢٠٠٤م .
٧٥- أبوالفضل جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ، د. ط ، دار صادر ، بيروت ، د. ت .
٧٦- أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق طارق ابن عوض الله وآخرين ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ .
٧٧- عبدالفتاح الجبور ، ظاهرة القلب المكاني في العربية ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
٧٨- أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م .
٧٩- عبدالله بن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٢ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
٨٠- أبو عبدالله القزويني محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت .
٨١- عبدالمجيد عابدين ، من أصول اللهجات العربية في السودان (دراسة مقارنة في اللهجات العربية) ط١ ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
٨٢- عبده الراجحى ، فقه اللغة في الكتب العربية ، د. ط ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٦م .
٨٣- عبدالهادي محمد عمر تميم ، بعض الظواهر الصوتية (الفنلولوجية) في العربية السودانية ، ط١ ، دار جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٧م .

٨٤- على أبو سن ، مذكرات أبى سن عن مديرية دارفور ، دار الوثائق السودانية ، ١٩٦٨م .
٨٥- علي العتوم ، قضايا الشعر العربي في العصر الجاهلي ، ط١ ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، ١٩٨٢م .
٨٦- على عبدالواحد وافي ، فقه اللغة ، ط٤ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د. ت .
٨٧- علي عبدالواحد وافي ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، ط٣ ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧١م .
٨٨- عون الشريف قاسم ، عرض أولى لبعض مظاهر الفصحى في عامية السودان ، مجلة الدراسات السودانية ، شعبة أبحاث كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، العدد الأول ، ١٩٧١م .
٨٩- عصام عبدالله علي ، الزغاوة اللغة والتاريخ ، التأصيل (مركز الدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، ٢٠٠٣م .
٩٠- عون الشريف قاسم ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، ط٣ ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، ٢٠٠٠م .
٩١- عون الشريف قاسم ، اللغة العربية بين الفصحى والعامية ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، مطبعة التمدن ، الخرطوم ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م .
٩٢- قاسم عثمان نور ، الصعوبات التي تواجه تعليم اللغة العربية في مناطق التداخل اللغوي ، مركز قاسم للمعلومات والمكتبات ، الخرطوم ، ١٩٩٧م .
٩٣- محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) تحقيق مصطفى ديب البقا ، ط٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت، ١٩٨٧م .
٩٤- محمد خليفة التونسي ، كلمات في الدارجة أصيلة لا دخيلة ، من مجلة العربي ، مطبعة الكويت الحكومية ، الكويت ، ١٩٨٥م .

٩٥- محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل محمود عساكر ، ومصطفى محمد مسعد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
٩٦- محمد بن سالم المعشنى ، القاف بين القدامى والمعاصرين ، مجلة الدراسات اللغوية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، السعودية ، العدد الرابع ، ٢٠٠٦م .
٩٧- محمد سالم محيسن ، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، ط١ ، مكتبة القاهرة ، ١٩٧٨م .
٩٨- محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت .
٩٩- محمود عكاشة ، أصوات اللغة ، ط٢ ، مكتبة دار المعرفة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
١٠٠- مصطفى مسعد ، سلطنة دارفور ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد (١١) .
١٠١- محمد محي الدين عبدالمجيد ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ط١١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
١٠٢- أبو موسى عيسى بن عبدالعزيز الجزولى ، المقدمة الجزولية ، تحقيق شعبان عبدالوهاب ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
١٠٣- موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ط١ ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٦٤م .
١٠٤- نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ط١ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م .
١٠٥- نوال بنت إبراهيم الحلوة ، من الظواهر الصوتية في لهجة القصيم ، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث ، العدد الأول ، ٢٠٠٥م .
١٠٦- ابن يعيش ، شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د. ت .
١٠٧- يوسف الخليفة أبوبكر ، لهجة جوبا العربية ، من جريدة الصحافة

السودانية ، العدد (٥٠٤٦) ، ٢٠٠٧م .
١٠٨- يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠ – ١٨٢١م) ط٢ ، الدار السودانية للكتب ، ١٩٧٢م .
١٠٩- H . A. Mac Michael : Note on the Tribes of Darfur (Type witten) (١)